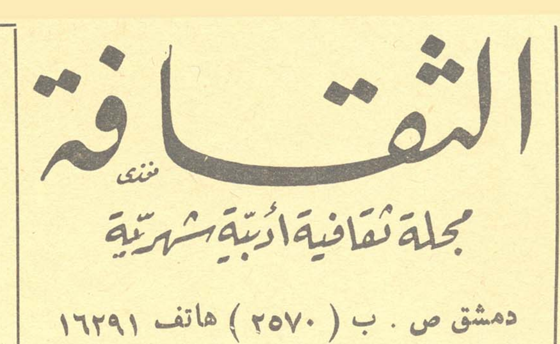
صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE



دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد السادس
تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٨
السنة الاولى

من المواطن العربي الاول الى الشاعر القروي



نص الكتاب الذي بعث به فخامة المواطن العربي الاول الى الشاعر القروي :

الشاعر العربي الكبير الاستاذ رشيد سليم الخوري

تحية عربية وبعد :

فقد تلقيت ديوانكم بكل سرور وشكرت لكم هديتكم الغالية التي احتفظ بها ذاكراً لكم ابدا ما سجلتموه في ديوان الشعر من خالد القول وما سطرتموه في تاريخ العروبة من عظيم المآثر فكنتم في المهاجر رائداً من روّاد النضال العربي المجيد ورفعتم رأس امتكم عالياً بين الامم وساهمتم - مع اخوانكم الاحرار الذين تغنوا بالعروبة والعربية وسارت بأناشيدكم الركبان - خير مساهمة فيما بلغناه اليوم من عزة ومجد وكرامة فأشكر لكم وأرجو الله أن يمتعكم بالصحة والعافية والهناء .

دمشق / ١ / ٩ / ٩٥٨

شكري القوتلي

مع الشاعر القروي
من اللاذقية الى دمشق

بقلم

الدكتور أمجد الطرابلسي

رن جرس الهاتف في منزلي اصيل اليـــوم الثاني من آب المنصرم وسمعت صوت صديقي الاستاذ فؤاد الشايب يدعوني باسم سيادة الاستاذ صلاح الدين البيطار وزير الدولة الى السفر عشية اليوم نفسه الى اللاذقية بصحبته وصحبة الاخ الاستاذ منصور الاطرش لاستقبال الشاعر القروي .

نبأ عظيم ؛ فلطالما تمنيت أن اشهد مثل هـذا اليوم . ألم تتجه اولى فـكري في فرحة اعلان الجمهورية العربيـــة المتحدة الى الشاعر القروي وزميله فرحات في مهجرهما ؟ ألم أقل في حديث لي اذيع من محطة دمشق بعد قيام دولتنا الكبرى : « ان من حق رفيق الالم ان يشترك في فرحـة العيد ، ومن حق زميل المعركة ان يسير في مواكب النصـر . » ؟ اجل ، وما زلت أعتقد أن الوطن العظيم الجدير بالبقاء انمـا هو الوطن الذي يبر ابناءه البررة . وما أعرف بين شعرائنا المعاصرين من كان ابر بوطنه وعروبته من القروي وفرحات ، الشاعرين الكبيرين النازحين .

نبأ عظيم حقاً ؛ ولكن صديقي الاستاذ الشايب يعلم انني في هذه الايام لا أكاد اجرؤ على مفارقة الدار ، فليس فيها سواي لتعهّد اولادي في مطعمهم وملبسهم ومنامهم ودراستهم بعد ان سافرت زوجتي الى اوروبا للاشراف على معالجة ابنتنا الصغرى .

ولم يكن لي بد مع ذلك من ان اكحل عينّي برؤية القروي العائد في اللحظة التي يكحل بها عينيه بمرأى بلاده . انها لحظة لا يجوز ان تفوتني .

وتركت اولادي الصغار في رعاية الله يحلمون في اسرتهم ؛ وانطلقت بنا السيارة ليلاً الى اللاذقية .

وفي صباح اليوم التالي كان احد زوارق شركة المرفأ يتجه بنا وبوفد ضخم من رجالات اللاذقية برئاسة محافظها نحو الباخرة (محمد علي) الرابضة في عرض البحر .

واحتشد على شرفة الباخرة ركابها وبحارتها يتوسطهم القروي بقامته الفارعة النحيلة وشعره الابيض المهيب ، ملوحين بأيديهم ، بينما كان الزورق يقترب على مهل ليقف بحذاء سلّم الباخرة .

* * *

وجلسنا في بهو الباخرة نستمع الى الشاعر العائد يحدثنا عن رحلته . وما ازال اذكر حديثـه عن توقف الباخرة في ميناء بيروت وصموده هناك في وجه رجال الامن وهم يحاولون اقناعه بالنزول الى البر ؟ ياويحهم ! أيُنزلون الشاعر القروي في ارض أنزلوا بها قبل ايام جنود امريكا ؟ ويأبى الشاعر بعناد ان يهبط الى البر الحبيب من حيث عبر الواغل الجـديد . وتضيق برجال الشرطة سُبُلُ الحيل فيخيّرون الشاعر بـين قبول الدعوة أو النزول على حكم القوة ، فيجيبهم على الفور : « انني اختار القوة » ؛ قالها بصوته الهادىء الواثق ، فتجلت لعينّي من خلال هـذه العبارة القصيرة صورة مازالت تملأ مخيلتي منذ الصغر ، صورة شاعر الاعاصير الذي يقول :

ان ضاع حقك لم يضع حقان
لك في نجاد السيف حق ثان

ويمضي القروي في حديث رحلته وحديث شوقه الى بلاده ، بينما يضيق بهو الباخرة على رحبه بالركاب والبحارة ، وقد تحلقوا حولنا حلقات يشربون كل كلمة تنفرج عنها شفتا الشاعر . لقد رأيت في تلك الجلسة عجباً . كان الحاضرون جميعاً ينصتون الى الشاعر وهو يتكلم ، وفي عيونهم فرحة من ورائها دمعة ، فرحة للشاعر أن بلغ الشاطىء الذي طالما حن اليـه ، ودمعة لعلمهم ان الباخرة ستمضي بهم عما قريب فيفارقون هـذا الانسان العظيم الذي احبوه كل الحب حين تعرفوا خـلال الرحلة الى منابع العظمة في قلبه الكبير . أحبوه حباً ارتعش له رجال أمن بيروت انفسهم ، أولئك الذين هددوه باستعمال القوة : لقد ارتعشوا حين رأوا ركاب السفينة وبحارتهـا الاشداء يحيطون بالشاعر سوراً منيعاً ويقولون لهم : « لن تنزلوه الا على اجسادنا ! » .

* * *

لا أستطيع ان أدوّن هنا تفاصيل رحلتنا بصحبة الشاعر القروي من اللاذقيـــة الى (صلنفه) ، ثم من (صلنفه) الى (اللاذقية) فدمشق . فهي على قصرها غنية بما تركته في نفسي من انطباعات قوية وكثيرة لو رحت أذكرها كلها لتجاوزت حدود مقال ينشر في مجلة . فلأكتف ببعض هذه الانطباعات احدّث بها قراء هذا العدد الخاص من (الثقافة)

اخذت السيارة تهبط بنا أصيلاً من (صلنفة) الى اللاذقيـة بين ثنايا الجبال التي تبعثرت فوقها القرى وتناثرت الاحراج . فسمعت القروي يقول وهو مأخوذ بكل هذا الجمال العبقري :

« وأي أمنية تبقى للانسان اذا اتيح له ان يعيش في هذه الجنة ؟ اما انا فما أسعدني اذا قدر لي ان اقضي هنا بقيـة عمري ! انني سأمضي كل صباح الى احد هذه الاحراج وبصحبتي كتاب ودفتر وقلم وزجاجة ماء وبعض الفواكه وقليل من الخبز ، فلا اعود الى غرفتي حتى المساء » .

ومضت بنا السيارة ... لا أدري كم مرة توقفت بنا وقد انفجرت احدى عجلاتها ولكنني اذكر ان صديقي الاستاذ الشايب كان في كل مرة تتوقف بها يزداد ثورة عليها وعلى سائقها المنكود الحظ . ثم كنا نهبط من مقاعدنا مكرهين ونجلس على جانبي الطريق ننتظر ، بينما ينصرف السائق الى اصلاح الخلل .

وقلت للشاعر مداعباً . وقد توقفت بنا السيارة في ارض جرداء : « ربما اضطررنا الى قضاء الليلة هنا ، فمـا رأيك ؟ » فأجاب على الفور : « بشرط ان تسمحوا لي بافتراش الارض طوال الليل وضمي الى هـذا التراب ! » ، عبارة انفرجت عنها شفتاه عفواً وهو يبتسم ،فعرفت منها كيف يكون حب الانسان لوطنه ولاول ارض مسّ جلده ترابها ، كما عرفت منها ان الواحة الخضراء والحرة السوداء والارض الجرداء ، كلها في نظر من يحب وطنه سواء .

وتوقفت بنا السيارة مرة ثانيـة ، ونزلنا ، ونزل السائق لمعالجتها ، وجلسنا على حافـة الطريق نستمع الى المذياع وهو يرسل في حواشي الليل الهادىء بعض الاناشيد الوطنية ، وما أزال حتى هذه اللحظة التي اخط فيها هذه الكلمات ارى القروي وهو يصغي الى نشيدي « الله اكبر » و « يا الهي » ، لم يكن يعرف كلمات هذه الاناشيد بعد فهو يسمعها للمرة الاولى ولكنه كان يدمـدم متابعاً نغمة النشيد ، ثم لا يلبث ان يعصف به الحماس فيلوّح بيديه ويرقص على ايقاعها الحماسي . وهو يقول : « اجل هكذا فلتكن اغاني الشعب ! » ..

واستمرت رحلتنا طوال الليل بفضل سيارتنا التي (احسن !) صديقنا الاستاذ الشايب انتقاءها . وكان الشاعر بين فترة واخرى ينثر علينا اقاصيصه الحلوة المرحـة وينشدنا اشعاره التي نحفظ معظمها ، فيخيّل الينا وهو ينشدنا اياها اننا نسمعها للمرة الاولى . ووصلنا دمشق في الخامسة صباحاً ، بعد عشر ساعات قضيناها في الطريق من (صلنفة) الى (دمشق) ؛ كل ذلك في عصر السرعة المجنونة ، وبصحبة شاعر يعود الينا من العالم الجديد !

* * *

وبعد ، ايها الشاعر العظيم :

لقد لقيتك للمرة الاولى وجها لوجه في هذه الرحلة القصيرة بعد ان طال لقائي اياك في ديوانك الضخم المجيـد . اننا لنلقى كثيراً من الادباء فنود لو لم نعرفهم الا في آثارهم . اما انت فلم اجد في طلعتك ونبراتك وحركاتك واحاديثك الا شعرك النابض الحي وقـد تمثل بشراً سوياً . فازددت بك اعجاباً ، وعلمت انك حين صورت في شعرك جهاد امتك العربية طوال اربعين عاماً انمـا صورت كل ذلك من خلال رعشات اعصابك المرهفة ، وخلجات نفسك الثائرة المجاهـدة الصابرة ، فكنت الشاعر الوفي الصادق ، المخلص لذاتـه وامته وانسانيته ، الذي يقول ليرضي ضميره ويهز الدنيا ؛ ولم تكن الشاعر القوال الذي يقول ليقال انه قال !

ايها الشاعر العظيم

عندما تفضلت منذ اسابيـع قليلة بزيارتي في داري ، سألتني ابنتي الكبرى - وهي بعد في الثانية عشرة من عمرها - : من هـذا الرجل المهيب الذي صافحـني ؟ فلمـا قلت لهـا من انت - وكانت قد قرأت وسمعت عنك منـذ عودتك الى وطنك الشيء الكثير - رأيت وجهها يتلألأ فرحـاً وفخراً . فقلت لها : أجل ياصغيرتي ، لك ان تفرحي وتفخري وتتيهي فقد صافحت اليوم كبير شعراء العروبة .

وانت ايها الشاعر الصديق ، ألم تلمح على وجوه جميع مواطنيك كلما طلعت عليهم في محفل من المحافل ، مثل هذه الاشراقة التي لمحتها انا في اسارير ابنتي ؟

لقد احببت وطنك حقاً ، فأخلصك الحب ، وحفظت ذمة عروبتك فاعتزت بك العروبة . فهنيئاً لك !

طبعت في

مطبعة الجمهورية

دمشق -- بوابة الصالحية

بناية الحجار

هاتف ٢٣٥٥٦

كيف عرفت الشاعر

بقلم

فؤاد الشايب

عرفت الشاعر القروي في الاعاصير. ثم عرفت في الشاعر مواطنا عربيا من لبنان، يطوي وراء الشاعر الثائر اسم رشيد سليم الخوري كأنه لا يريد ان يعرف بين الناس الا بأحسن ما يعرف به الجندي المجهول ...

ثم عرفت انهم قد عيروه — الاكابر . . . — بأنه قروي، فتحداهم بأن خرج اليهم بمسوح القروي الاصيل، ولا خروج ابن جلا وطلاع الثنايا.

ثم خرجتُ وخرجتْ جماهير الشباب ذات يوم من غبار الثورة السورية، ننشد للشاعر القروي، المتدفق الينا من مكان قصي في ارض البرازيل، نشيد الثورة، تلك الارجوانية العبشمية [1] التي القاها على كتفي سلطان الاطرش وثوار الجبل الاشم، عندما كانوا ينفضون عن اذيالهم غبار المعركة، ويكتبون بالسيوف حلقة جديدة من تاريخ البطولة والاباء.

. . . كان كورس الشباب الجديد، ينشد ارجوانية الشاعر المسيحي من قرية صغيرة في لبنان، عرج بروحه الى جبل العرب ومشى كالمتنبي في موكب سيف الدولة. كانوا ينشدون له، وقد تجمعوا لروحه المتجلية في خيالهم، قائدا ومبشراً ونذيرا:

> اذا حاولت رفع الضيم فاضرب
> بسيف محمد واهجر يسوعا
> فيا حملا وديعا لم يخلف
> سوانا في الورى حملا وديعا
> . . . الا انزلت انجيلا جديدا
> يعلمنـــا اباء لا خنوعا
> أجرنا من عذاب النير لامن
> عذاب النار ان تك مستطيعا
> . . ويا لبنان مات بنوك موتا
> وكنت اظنهم هجعوا هجوعا

وبينما كانت جموع الشباب العربي تهيم وراء مواكب جبران، تقرع صدورها، وتنفش شعورها، وتغيب وراء سحر الكلمة المجنحة، وروحانية المسيح الجديد، قفز من الافق بغتة .. هكذا . . . كما تقفز الفهود المستنفرة، الشاعر القروي فتفرقت الجموع، ومال بعضها اليه، وبعضها الى جبران .. وما هي الا بعض جلجلة، وغمغمة اضطراب، حتى كان القروي على رأس الموكب وحده... يقود جيلا، وفكرة، وأمة ويصرخ بلا انقطاع: « لقد وزعنا حبنا على اهل الدنيا، حتى لم يبق منه فضلة لذواتنا!! . اننا سلس المطايا قيادا، والينها شكيمة، واحناها ظهرا، وانعمها مركبا. »



« ... مادمنا عبيدا ضعفاء فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة في في شيء اكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار. حجة الذليل اللئيم. فلنصافح السيوف فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء.

لو كنت شاعرا فرنسيا او انكليزيا لحبست النفس على التبشير بالسلام .. اما وانا سوري ومن لبنان فاني لاغرض لي في الحياة اشرف من دعوة شعبي الى بغض الشعوب ولا مثل عندي اعلى من استنهاض امتي لمحاربة الامم وانه لبغض اسمي من الحب، وانها لحرب اقدس من السلم. !»

وهكذا عرفنا الشاعر القروي، منذ بواكيره، واعاصيره داعية نضال، وموقظ عزائم، وموقد نار، حربا على الذل والهوان والصغار، وسيفا على التخاذل والتصاغر والهزيمة ينطلق الى انسانيته من وطنيته وهذا هو الانطلاق الصحيح، ويحب الحياة من خلال حياته، وهذا هو الحب الصادق، يطل على الدنيا من نافذة دنياه، ولا يعرف فضيلة اعظم من تلك التي تزاحم الاقوياء لتتصدر المائدة، لا لتلتقط الفضلات. انما العروبة طموح قومي الى مشاركة انسانية في صنع مصير الانسان،

---

(١) قصيدة عنوانها سلطان الاطرش والتنك

ولن يستقيم للانسانية مصير كريم ، بينما يرزح الانسان العربي في اصفاد العبيد ، وذل الاجراء .

هكذا عرفنا الشاعر القروي ، مع الثلاثين الاولى من القرن العشرين عروبة مؤمنة مبشرة منذرة ، وقت ان كانت العروبة ، فكرة رجراجة مضطربة ، حتى في اذهان الكثيرين من ابنائها ودعاتها انفسهم ، لان المرتقى المنزه الذي يبلغه الشاعر بقلبه ووجدانه ، قد اراه من رؤى الحقيقة العربية المنبسطة لناظريه ، مالايراه الذين يعيشون في السفوح بين الحدود وحواجز العصبيات الصغيرة ، فكان سباقا الى المشاهدة ، سباقا الى المعرفة ، سباقا الى الجهر بما شاهد وماعرف ، فكان اقدامه بجرأته ، وعناده ، اعظم من شعوره في شعره ونظمه ، ولقد كان صادقا كل الصدق ، حينما كتب في مقدمة دواوينه المجموعة يؤرخ لحياته ، ويصف خلجات ذاته قائلا : أراني في حياتي اشعر مني في شعري) .

لقد عرفنا الشاعر ، منذ ايامه الاولى في زعازع الاعاصير فعرفنا فيه قبل ان نتعرف اليه ، روح القائد في اهاب الشاعر . ولقد كان شعراء كبار يعيشون في لذاذاتهم ، وسكرات خيالاتهم وهم في ارض لبنان ، وكان الشاعر المسيحي من قرية لبنانية صغيرة ، خارج لبنان يعيش وحده مصيبة لبنان ونكبة العرب في لبنان . فما هو بالشاعر فحسب في اعاصيره وزمازمه ، بل هو الرائد ، صاحب الرسالة ، والعربي ، باعث روح العروبة . وماهو بالشاعر الذي يتمسح بالمناسبات ، ليبدّد غفلة الجمهور ، وينتزع اعجابه ، ويعود الى برجه راضيا قانعا ، بل هو المناضل العنيد ، يخوض الى فكرته الاذى والعداء ، ويلقي في سبيلها العنت والاضطهاد ، وغضاضة الرزق ، وهوان المنبوذين ، ولو شاء لعنت له سبل الحياة الهنيئة ، وركب من المنابر صهوات المجد ، واكتفى من الجمهور بالترحيب والتصفيق ، وهتاف الرضى والاعجاب ، وظفر من مقام الحاسدين بمكانة الصدارة . ولكنه الشاعر الذي اضرم النار ، وادرك بها الصراصير في الاوكار ، فايقظ ، واغلظ ، وابهظ ، وصال بشعره وبكفه ، صولات من يحارب ، لا من ينشد المجد على رأسه تاج من السلامة الذليلة وجال في جبهات العدو جولات بارعات ، ليست في اصغرها من جولات من يتقي الجراح ، بل من يفتح الجراح ، وينكؤها ويفجر فوهاتها . واذ بمعركة اربعين عاما من الحياة العنيدة الشديدة ، تتكشف عن قامة الفارس الشاعر في ميدان النضال العربي . واذا بتاريخنا المولد ، تاريخنا العجيب ، تاريخنا المبدع كاتب المعجزات ، يسجل لرشيد سليم الخوري ، الشاعر المسيحي من قرية صغيرة في لبنان ، مجد (فارس العروبة) في المهاجر السحيقة ، وبذلك تخطى بعيدا مجد (شعراء العروبة) .

من ينبىء الملأ الذين احبهم
فيكافئون الحب بالعدوان
اني على دين العروبة واقف
قلبي على سبحاتهـــا ولساني
انجيلي الحب المقيم لاهلها
والذود عن حرماتها فرقاني
ارضيت احمد ، والمسيح بثورتي
وحماستي ، وتسامحي وحناني
يامسلمون وبانصارى دينكم
دين العروبة واحد لااثنان

ثم ماذا أروي من شعره وماذا أترك ؟ !

وماذا اقول في معركته الرهيبة ، في وسط وزمن يظن به اهله واترابه ، وأربابه ، ان شاعرا مسيحيا ، من لبنان ، يجب ان يكون من طينة انسانية وشعرية وقومية ، غير طينة العربي المسلم ، المؤمن ، بعروبته ، ومجدامته .. ؟

داء التعصب في بلادك دونه
في الغرب داء السل والسرطان
تُغري المريض به لذاذة حكةٍ
بين الضلوع كحكة الجربان

* * *

لم يُعْنِ هذا الشعب اني شاعر
حر يحب بـــلاده متفاني
بل كل مايعنيه هل أنا مسلم
لله ، ام انا لم ازل نصراني

وللقارىء والمترنم بشعر القروي .. ان يقرأ ، فصلا صغيرا من مأساة المناضل الرائد في هذه الكلمات من عجز البيت الاخير ... (أنا لم أزل) !

* * *

هكذا عرفته ، على البعد ، وعلى هذه الآثار ترسمت خطى حياته اليومية في بلاد الاغتراب مع روايات الراوين ، والعائدين والاصدقاء . وكان اصغائي اليه ، ابدا ، يصدني عن ان اكتب اليه ، كما فعل المئات من تلامذته ومحبيه . فلم اتصل به اتصال خطاب وكلام ، الا يوم فتح لنا القدر ابواب المهاجر في بعثة

رسمية يرأسها الاستاذ صلاح البيطار تنفيذا لارادة الرئيس جمال عبد الناصر ، . فكانت اول بعثة رسمية عربية ، يوفدها رئيس عربي ، اوفدت البطولة اسمه الكبير الى اقصى ديار الاغتراب .

كان الاستقبال جديرا باسم المجد البطولي الذي ظفر به رئيسنا وموفدنا . وكانت الجاليات في المهاجر يرتقب وصول الوفد بالالوف المتجمدة ، وكان المستقبلون في مطار سانباولو وكان الاخوة العرب يفتشون عن اعضاء الوفد ليحملوهم على اكتـــافهم ، وكنت افتش عن شبح رجل بين الناس يدعى رشيد سليم الخوري . ولم يكن الشاعر بين الزحام ، لانه قيل متوعك .. ولانه قيل لايحب التظاهرات العنيفة ولا يستطيع بالسبعين من سنيه ان يتسابق الى مصافحـة الزائرين . ورحت اسأل ابن الشاعر . وكانت المقالات تقول انه مقبل علينـــا ، ولكن يد الشاعر لاتريد ان تصافح وتمر ، بل تبقى ... تبقى بين ايدينا . وقال لنا صديق للشاعر أنـه في غمرة من النشوة والطرب ، لانه رأى في اعضاء الوفد اطيافاً صغيرة ترف اليـه من اجواء حلم كبير ، طالما سجد له الشاعر وسبـح لرؤاه .

وكان اليوم الثاني ملتقانا الكبير مع ابناء الجالية في النادي ليتعرفوا الى الوفد ويستمعوا الى خطبه وبياناته . وصعدنا الى المنبر حول الوزير البيطار ، وامامنا جمهور الجالية المتدفقة ، وقيل لي ان الشاعر مع الجمهور ، وكنت اتصفح الوجوه المجهولة أمامي ، وانشد وجه الشاعر الفارس .. كيف يكون وكيف ينظر الينا ؟!

كنت اتمثله كما وصف لنا قد تخطى السبعين ، وكنت اسمع انه غدا شيخا متهدما ضعيفا ، منحجبا عن الناس وكنت اتوقع ان أرى شبح عجوز يقبل فيحيي بقليل الكلام ، وليس في يمينه بعد الان سوى سيفه المغمد . ثم تحدث الوزير الاستاذ البيطار ، وجاء دوري فتحدثت ، وكانت المفاجأة ، اعلان المذيع بأن الكلام الآن للشاعر القروي . فشخصت العيون ووثبت الاعناق ، وخرج من صفوف البهو رجل نحيل طويل القامة ، عالي الجبين ، أسمر الاشراقة ، سريع الخطى ثابتا منتصبا كلما اقترب من المنبر ، سقطت عن قامته الحلوة الاطلالة ، عشر سنوات ، حتى اذا اعتلى الخشبة ، وراح يتلو قصيدة من قصائده المعروفة ...

ثب ياشباب العرب ثب
مشت الشعوب وانت نائم

رأيت الشاعر في اهاب ابن الخمسين ومادونها .. ولمحت في عينيه الواسعتين ، قوة عيني فهد ... متحفز . وعدت بالذاكرة الى جملة صغيرة وصف بها الشاعر شبابه في مقدمة دواوينه يقول فيها : (وما قولك بشاعر غض الاهـاب ، ارشق من النمر اذا وثب ؟!)

في تلك اللحظة الجميلة رأيت على المنبر كل صورة النمر ، الذي سجل بقوة شعره وحياته ، اوسع وثبة في حلبة القضية العربية الكبرى . ولم يكن النمر عجوزاً ، لان الواقف على المنبر الآن يتدفق ، صورة الانسان المصعر للدهر ، الممتنع على على الهرم والعجز ، ولان هالة المجد حول رأس الابطال ، لاتعطي للناظرين من المنظور اليهم سوى قسمات الشباب الخالد .

وتعارفنا مليا ، وتجالسنا ، وكنت لاتحدث للشاعر عن حياته ، وعما اعرفه عنها ، بل كنت القي أمامه كلمات صغيرة من التقدير والاحترام ، وانسحب للتأمل في هذه الصياغة الانسانية الجميلة التي ابدعت فجعلت الشعر جزءا من حياة الشاعر وجعلت حياته اجمل من شعره .

وعندما تدفقت علينا الحكايات كالاساطير عن حياة الشاعر المغترب ، وما لقيه في دنياه من اذى وعنت ذوداً عن عقيدته ورسالته ، وكيف كان سلوكه في مجتمعه ، كالرمح ينكسر أو لا يلين.. وعندما عشنا في تلك الديار بعض الزمن ، وبعض المشاهدات والمعارف ، ومشينا مع الرواة في اسطورة الشاعر ، يرفض هبات القوم تكريماً لشخصه ، وتسهيلا لعيشه ، عندما ارادوا بناء قصر له ، فأعلمهم انه يفضل على القصر في المهجر ، قبراً له في ارض وطنه .. اقول عندما توفرت لنا الانباء عن حياة الشاعر في تلك الديار رسخت ابداً في اذهاننا وخيالاتنا صورة الفارس العربي ، وقد برأه الله ليحارب اعزل من سلاح الحروب وقال له يا مبارك .. بهذا القلم حارب .. لتوفر على المحاربين من امتك كثيراً من معارك الحديد والبارود .

ويستطيع النمر الشاب ابن السبعين ان يقف الان بين يدي بارئه ، وصاقل عبقريته مؤدياً الحساب وهو مطمئن الى انه قد انتزع من جبهة الذئاب انتصارات لقوميته العربية رائعة ، لا يستطيع ان ينتزعها المحاربون بالاسنة ، وسيوف الحديد ، بل لا يمكن ان يبلغها الا كل مؤمن امين ، صاحب رسالة .

* * *

... وفي سانباولو ، انبأ الوزير البيطار الشاعر القروي ، ان حكومة الاقليم السوري باسم سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية ، تدعوه الى العودة ، وتفتح له ابواب الجمهورية

ليقيم اينما شاء، لان كل بقعة من ارض الوطن هي ملكه، ولانه احب السبعين مليون عربي كما احب ذاته، ولانه الشاعر الذي تجسد في حياته وشعره اجزل معاني الشعور بقوميته الخالصة المجردة والاعتزاز بها، ولانه الشاعر الفارس الذي تغنى بامجاد امته وكافح وشقي من اجلها، وكان يزداد مع البلاء عناداً، ومع مر الشدائد ولوعا وهياماً، حتى غدا الحب لديه على البعد عبادة وتقديسا.

ورانت على وجه الشاعر المعنى، ابتسامة الرضى والسعادة وقبل الدعوة، وقال: كنت على ثقة من انني لن اموت قبل ان اصافح مجد بلادي، ولن تبخل علي وقد برح بي حبها ان اجد في ترابها مأوى لعظامي، وسكنا ابديا لروحي.

وعندما بلغت الباخرة التي تقل الشاعر العائد، شاطىء اللاذقية، كنت في استقباله، وكان الشاعر في سدرة السعادة. فأجال في الافق الجميل نظرة اوشكت ان تنفجر بالدمع، وصلى: وشكراً لك يا الهي والحمد لك !!

* * *

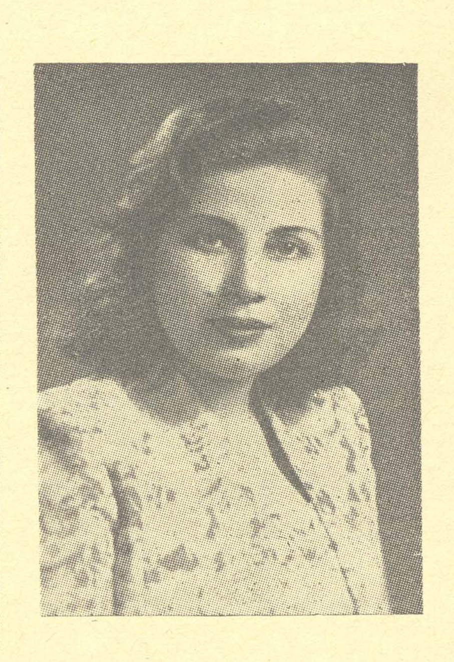
بهذه الكلمات القليلة احيي الشاعر الصديق ولا ازعم انني ادرسه، او احاول دراسته، فالموضوع متعدد الجوانب، بعيد المسالك، وان الغائص في ديوانه، والمترسم آثار خطاه، لمشاهد وراء كل كلمة نبضا، ووراء كل نبض خضما من المشاعر والانفعالات. وان يكن تعليم الاجيال العربية وكشف تاريخنا البطولي لها من الامانات المنوطة باعناق وزارات التربية والتعليم في بلاد العرب، وفي الجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص، فان اولى مايجب ان يوضع بين ايدي الطلاب العرب، ديوان الشاعر القروي وحياته. ففي شعره مدرسة فن اصيل رفيع، وفي عربيته بعث لطاقات اللغة المعجزة الخالدة التي لاحدود لها، وفي حياته كمناضل مجاهد وفي" خير مدرسة للتربية الوطنية، والاخلاق الكريمة. انها سمات الفارس العربي المبعوث على صورة انسانية مشرقة في القرن العشرين.

فؤاد الشايب

تحية الى الشاعر القروي

شعر

السيدة عزيزه هارون



أحييك في الرايـة المشرقةْ

بحلمك بالدمع في مقلتيكْ

بوهج الحنين وعبق الشذا

بلهفة شعب ترفّ عليك

ليهنك انك في المخلصين

وتلك التحية منك اليك

الشاعر القروي

بقلم

الدكتور ابراهيم الكيلاني

عاد الى الوطن من المهجر في امريكا الجنوبية رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي بعد غيابٍ دام خمساً وعشرين سنة لم ينقطع فيها لحظة عن الحنين الى بلاده والبكاء على فراقها وتنسم اخبارها والتشوق الى ارضها وسمائها . وها هي ذي المقادير قد استجابت له وأطفأت لوعته فضم الوطن الى صدره ولداً باراً وفتى يعربياً عمر قلبه الايمان ببلاده . وفاض صدره بالوجد والهيام بها .

يا للوفاء ! اذ ما كادت تكتحل عينا الشاعر برؤية ارض الوطن حتى بكى وسجد لله شكراً على فضله فقبل بعد نزوله من الباخرة اول فلاح وأول جندي لقيهما في طريقه لان هذا يصونها من الاذى وذاك يستنبت منها الخيرات .

ويا للاباء ! فقد أبت عليه نفسه الكريمة ان ينزل لبنان الذي عصفت في ربوعه رياح الفتنة ودنس ثراه المتغلبون المستظهرون بالحراب الاجنبية عندما صعد الى الباخرة في مرفأ بيروت جماعة من اللبنانيين لينزلوه رغبة ثم عنوة فكان من قوله لهم : ان لبنان وطني الحبيب ولكني لن ادخله حتى تود اليه حريته التي سُلبها ويعود اليه الصفاء والسلام !

ويا للشوق والهيام بحب الديار ! عندما ناشد الشاعر صحبه بعدما تعطلت بهم السيارة ليلاً بين اللاذقية ودمشق ان يدعوه يتوسد ثرى بلاده الطيب وانفه وفمه منكبان عليه !

انه شاعر من نوع خاص وطراز نادر في عصرنا ، ووجه هذه الخصوصية وهذه الندرة تتجليان في سيرته وصراحته وابائه وجرأته وحبه لبلاده وتعلقه بعروبته وقوميته .

ولد الشاعر القروي في لبنان في قرية تشرف على البحر المتوسط تدعى البربارة بين جبيل والبترون سنة ١٨٨٧ في ١٧ نيسان وهو يوم عيد الجلاء في سوريا وهو القائل :

ان فاخر الناس بأعيادهم   فعيد ميلاديَ عيد الجلاء

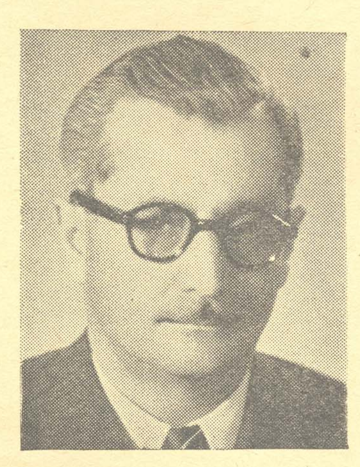
وتلقى العلم في مدرسة قريته وفي الجامعة الاميركية ، ثم علّم سبع سنين في مدارس طرابلس وزحلة والشوير وسوق الغرب حتى « انقضى بذلك ربع قرن من حياته » ثم هاجر سنة ١٩١٣ الى البرازيل هرباً من الضيق المادي والتضييق الروحي والنفسي مستجيباً لقول ابي تمام منذ اكثر من احد عشر قرناً حين قال :

وأصرف وجهي عن بلاد غدا بها   لساني معقولاً وقلبي مقفولا

وان صريح الحزم والرأي لامرى   اذا بلغته الشمس ان يتحولا

فوصل البرازيل في ظروف صعبة مؤثرة تحدث عنها في مقدمة ديوانه فقال :

« حملت « الكشة » وهي صندوق من الزنك يملأونه بمختلف السلع او بسطات من الاقمشة يشدونها رزماً ويعلقونها باكتافهم بسيور جلدية ، وضربت في مناكب ولاية « ميغاس »



ببضاعتي ، متعرضاً لاقسى مشقات الحر والسيول الطامية ، وكنت ارفع بصري الى السماء عمداً لاملأ فمي بالغيث المدرار وانا اغني العتابا في غابات البرازيل المخيفة » . ثم تجول في الولايات الداخلية كمعتمد لبعض المحلات التجارية ثم تعاطى التدريس في البيوت والمدارس وصناعة ربطات العنق فخسرت تجارته فرد اخفاقه الى عوامل عديدة اهمها مبالغته في احسان الظن ببعض عملائه وانشغاله بالمصالح العامة عن مصلحته الخاصة ، والحقيقة ان سبب ذلك الاخفاق انشغاله بالعلم وتثقيف عقله وتهذيب نفسه وهذا كله يؤدي الى الاعراض عن المادة والزهد بالدنيا ومتعها ، ألم يقل في مقطوعة شعرية عنوانها « صرفت شبابي » :

اذا لم أصب مالاً فما عن بطالة   فللعلم اشغالٌ وللمالِ اشغال

صرفت شبابي أطلب العلم ثروة   فقالوا جنون ، والجنون الذي قالوا

وليس الغنى صعباً علي وانما   أضن بمالي ان يضيعه المال

كفاني ثراء انني غير جاهل   واكثر ارباب الغنى اليوم جهال

ولي أجل في صحبة المال واحد   ولكنه في صحبة الفن آجال

ويقول الشاعر : « لما تكونت جنيناً في احشاء أمي ، كان أبي اقوى شباب محيطه عضلاً ، وابعدهم وثبة واعذبهم صوتاً واعلاهم ثقافة ، وكانت امي ارشق بنات جيلها حركة واصفاهن بشرة واعذبهن صوتاً واشدهن توردا ، وقد عقد لهما في الصيف وأسرّة الناس السطوح وقناديلهم النجوم ونوافذ منازلهم وابوابها عُرض الفضاء ، فكنت اشهد روائع السماء بعيني والدي وأوقع نبضات قلبي الخيالي على نبض قلبيهما الفتيين » .

وهكذا نرى ان الشاعر القروي ورث عن ابويه جل صفاتهما ان لم نقل كلها ، ورث عن ابيه متانة البنيان وصلابته وعذوبة الصوت وقوة العزم والارادة التي يتصف بها الجبليون سكان المناطق الفقيرة وورث عن امه دماثة الطبع وبراءة الطوية وصفاء النفس الذي يقرب من الصوفية ، ولم يبعد صديقه جورج صيدح حين وصفه فقال : « كأني عرفت روح غاندي في جسم غير جسمه وزي غير زيه » وورث عن محيطه القروي حب الطبيعة وبساطة العيش وقناعة بالكفاف ورجاء شديداً بالله وخوفاً منه وطبعاً منزهاً عن الافتعال والمراءاة والتصنع فقال عن نفسه : « أحب الاناقة ولا أطيق التقيد بها ، فبينا اتخطر بالقشيب اذ يوشك ان يمسي بعد يوم وليلة لبيساً منمنماً بوشاش عصير البرتقال او مزخرفاً ببصمات أصاغر الاسرة يتألبون على محاولين صرعي وخنقي فانصرع وانقلب معهم حتى تنجلي المعركة عن ثوبي المعفر وقلبي المغسول فأنهض ولسان حالي يقول :

تسل بعشرتهم وتمتع باخلاصهم قبل ان يكبروا

ولا شك في ان هذه العوامل الوراثية قد أدت الى تماسك شخصية الشاعر وعصمتها من التهافت والذوبان في البيئة المهجرية فقد احتقر البؤس وازدى الهوان الذي يلقاه المغترب في بلاد رحل اليها مسترزقاً مستجيراً ولا يمت اليها بسبب من عقلية او لسان او حضارة وظل دوماً شامخاً برأسه الى العلاء رسالته الشعر وعزاؤه الفن ينضح منهما كنوز العزة والارادة والتجمل والسلوان وهو القائل :

بعدت همتي فعفت كنوز الارض لما عرفت قيمة كنزي
لا ابالي شبعت ام جعت والفن شرابي وعزة النفس خبزي

فهو على نقيض كثيرين من المغتربين الذين تركوا اوطانهم وفي اذهانهم صورة سوداء عن بلاد تركوها الى بلاد فيها النعيم والرخاء فهو لم يقل مثلاً ما قاله مسعود سماحة :

سأترك ارض الجدود ففيها حياة الجبان وموت الجري
تقيد اقلام احرارها وتطلق أيدي ذوي الميسر
سأضرب في الارض لاخائفاً من البر او لجج الأبحر
وانزل في بلد دونه سمو المجرة والمشتري
يدب الهناء على تربه ويجري الرخاء مع الانهر

بل قال عندما وقر أذنه كلمة « توركو » يرشقه بها الزنوج سكان البلاد الاصليون .

كن بينهم رجل الزمان تظل (توركو) محتقر
حتى العبيد السود قد سخروا بنامع من سخر
وطني ويالك موطناً قد مزقته يد الغير
يشقى المقيم فيك وليس يسلم من هجر

واما عفته وصراحته وهما انعكاسان عن نفسه الشريفة فقد قل نظيرهما في سير اخلاق العصر ، فما بالك بمن اضحت ثروته بعد خمسة واربعين عاماً في المهاجر عبارة عن عود وكتب « جعلها تحت سريره بينما تنام رسائل الاصحاب والمعجبين تحت وسادته » وما بالك بمن رد شاكراً هدية جماعة من اصدقائه المهاجرين لشراء بيت له بلغت حوالي ثلاثة ملايين غرش لبناني مذيعاً شكره واعتذاره مؤثراً « قبراً في وطنه على قصر في غربته » طالباً رد المال الى المتبرعين حتى زفت البشرى بتحويله الى طبع ديوانه ، فعل هذا ، وهو الذي عضه البؤس بنابه واستحوذ عليه الكرب واكرهته العلل والأسقام على بيع ضنائنه وهو عوده وكتبه النفيسة متمثلاً بقول الشاعر :

وقد تخرج الحاجات ياام عامر كرائم من رب بهن ضنين

ولا تقل صراحة الشاعر القروي شأنا عن عفته وابائه . فقد كتب بقلمه ترجمته في مطلع ديوانه فجرى على خلاف من يذكرون محاسن انفسهم ويخفون مساوئها ، فلم يغادر عيباً او نقيصة او حادثة جرت في طفولته مخلفة من جسمه ندوباً او تشوهياً إلا ذكرها . فقد جرد في هذه المقدمة جسده وقلبه وروحه وفنه وابداعه من كل غطاء او قناع وعرضها جميعاً على الملأ فقطع بذلك الطريق على المتأولين والمحللين مشترطاً عليهم ان « يلجوا المخادع بقلوب نقية والا يستبصروا بغير النظارات البيض المغسولة » . واذا اراد الشاعر القروي معرفة صدى هذا « التجريد » في نفوس قرائه فنقول : انه بذلك قد قضى على تلك الانانية التي تهيب بالفنانين والشعراء ان يجعلوا من حيواتهم سراً من الاسرار ، فكان عرضه لسيرته على هذه الشاكلة الصريحة مظهراً من مظاهر الابانة والتكامل اللذين هما غاية الفعالية الجمالية فعارض بذلك من يفضلون الفن على الحقيقة ، ألم يقل زعيمهم اندره جيد : « اننا نضحي بالحقيقة في سبيل نقاوة الاسلوب واستمرار النسق » وهو يريد بذلك ان من يكتب سيرته بيده يكون قد حدد معالم حياته عمداً بافراده للوضوح والوعي نصيباً كثيراً فيها اذ يكون قد هذب حواشي السيرة ورتبها ونظمها منطقياً فأعطانا — على ما فيها من صدق وصراحة — سيرة مدروسة منمقة بعد ان تكون قد نشدناها في انعكاس الاثر على نفوسنا ومخيلاتنا . ولا اصلح للمرد على هذا الموقف من

قول الشاعر القروي نفسه قال : « رجوت صديقاً من اعلام الادب ان يضع مقدمة الديوان . بدا لي فقلت ! غداً ينفسح مجال النقد والتشريح وتعثر الاقلام بين الحقائق والاوهام ، وليس اعرف بي مني ، فما اولاني ازود الراغبين بما يكفيهم عناء البحث وريب الظنون ومذاهب التأويل » .

وهذا حق لان الشاعر ادرى بمعنى حياته العامة التي هي ملك الجميع ، والخاصة التي يملكها دون سواه فأتاح بترجمته المكشوفة لمؤرخي الادب في المستقبل ضماناً على الاصالة ووسيلة لكشف الجوانب الخفية من خلقه وفنه .

ان حياة الشاعر القروي غنية بالمشاعر والاحاسيس ، وتشعر وأنت تقرأ مقدمة ديوانه بجيشان عاطفي يحملك على الاستجابة لما يقول ، فأنت بين معجب بتلك النفس المجلوة النقية ، نفس البطل الذي يجهد ويناضل للسمو فوق الضعف الانساني والبعد عن التخاذل الخلقي و الانحراف النفسي اللذين يصورهما هذان البيتان :

لو كان يدري حسودي ما أكابده
في الحق ما أكلته جمرة الحسد
اني صعدت الى مجدي على جبل
مما تهدّم من روحي ومن جسدي

وبين نصاعة الاسلوب الكتابي والمهارة التعبيرية في جمل سلسلة سهلة . ولا ريب في ان الشاعر القروي قد حقق مزية كبرى من مزايا الشاعرية ألا وهي الشعور بقوة والتعبير بقوة . وقديماً قارن افلاطون الشاعر بآلة موسيقية تحرك اوتارها أنامل آلهة الشعر . ان الشاعر القروي هو تلك الآلة الموسيقية بل ذلك العود الذي صحبه في غربته ، تتحرك اوتاره لجميع العواطف والهزات والافراح والاحزان وتتجاوب اصداؤها في قلبه وقلوبنا لانه أوتي موهبة الفرح والتألم . ان الهزات هي التي تضع الشعراء وهي التي تهزّ اوتار قلوبهم مفجّرة الحماسة والاعجاب والحب والشفقة وجميع العواطف النبيلة التي تخلع على الحياة قيمتها وبهجتها .

قالوا : ان قيمة الانسان في مدى تأثره وليس الانسان انساناً الا اذا تأثر ، ان القدرة على الحس والتأثر تعطي القدرة على التعبير وقد جمع الشاعر القروي في نفسه الحساسة ينابيع من التأثر والهزات ، فهو يتأثر بكل شيء بطلوع الشمس وغناء الطير وجمال الطبيعة ، كما ان له اندفاعات حماسية للتغني بالفضيلة والحب والصداقة والعروبة والوطن وآلام المغتربين وشقاء الفلاحين والعمال والفقراء والمستضعفين في الارض ، وواضح ان اهتزاز اسلوبه الشعري وقوته متأتيان عن اهتزاز اعصابه المشدودة كأوتار عوده ، ان للشاعر القروي موهبة الفنان .

قال شاعر ينصح شاعراً آخر : ياصديقي لاتكف عن الحب فاذا لم تحب المرأة فأحب الانسانية ، واذا عجزت دونه فأحب الطبيعة .

واذا عجزت عن ذلك فأحب الآله . والشاعر القروي لم يحب بالتتابع المرأة والانسانية والطبيعة والآله بل احبهم جميعاً ان الحياة عنده . وان الكون مرتع خصب لقلبه الكبير :

لي قلب يسع الكون فلا تسألوني ماالذي تهوى ومن؟

وهذه طاقة منوعة من شعره : عناق الوجود

من لنفس تود لو تغمر الكون هياماً بحسنه المعبود
مثلوا لي هذا الوجود بشيء انا لا استطيع ضم الوجود
تطلع الشمس يستبيني بهاها وتلوح النجوم ارعى سناها
اي وادٍ ولم اسامر حصاه وهضابٍ ولم اباكر ذراها
وغصونٍ ولم اغرد عليها ووردٍ ولم امص جناها
غير اني عمري قصير وفي الكون فنون من كل حسنٍ جديد
مثلوا لي هذا الوجود بشيء انني اشتهي عناق الوجود

●

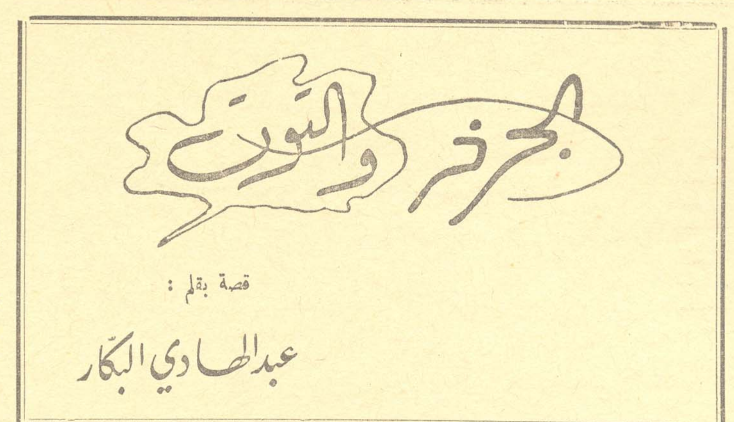
ياسليمى ! جمعتِ حسنَ النهار والدجى والسماءِ والاقمار
والربى والوهادِ والغصن والزهر وقطر الندى وشدو الكنار
فيك معنىً من كل ماابدع الباري بل فيك معنى الباري
لوحةَ المرصد التي يظفر الراصد فيها بكل نجم بعيد
بذراعيك طوقيني أطوق بذراعي كل هذا الوجود

●

وقوله في الفقير المقامر :

جاء الفقير الي ذات عشيةٍ يشكو الزمان كسائر الفقراء
قال : المروءة لي ثلاثة اكبدٍ ناموا على قدر الحصى والماء
فنفحته شيئاً فسالت جمرة من عينه وقعت على احشائي
ومضى فبكتني ضميري قائلاً أقللت . بئس عواطف الشعراء
وذهلت عن فقرى وطرت وراءه
خجلاً احاول ان ازيد عطائي
فوجدته والحزن يكسو وجهه
بسواده في القاعة الخضراء
شاء المعثر ان يجرب حظه بدريهمات اخيه في البأساء
حتى اذا خسر الذي اعطيته لعشائه لعن الفقير مسائي

البقية على الصفحة «١٦»



قصة بقلم :

عبدالهادي البكار

اكاد أنفجر من الضيق . أريد ان أفرغ الاشياء الثقيلة التي ترقص في صدري ككمية من الكلس الجاف . أريد ان اكتب .. ان اكتب أي شيء بالرغم من انه ليست هنالك فكرة معينة غير القلق . انها ساعات الضياع والسأم التي تجعلني أحياناً أفكر بالانتحار ، هي التي أنزع الى الهروب منها لاعيش بعيداً عنها ، حتى ولو بصورة انسان مزيف !

انا الآن في غرفة صديق لي في المدينة، اضطجع على السرير ملتوياً على بعضي كهذه الوسادة الكسول . الساعة المستديرة تدق دقاتها الرتيبة الفاقعة ، والعقربان الابيضان يحددان فترة زمنية : الواحدة والربع بعد منتصف الليل . في الساعة الرابعة ستقلني سيارة (تكسي) الى مطار المزة . في جيبي الداخلية تذكرة سفر بالطائرة . أوصيت السائق برجاء الا يتأخر عن الموعد المحدد ، الرابعة ، وكذلك تعلقت ثقتي بأحشاء هذه الآلة المستديرة أمل ان يهب شيطانها المصعق في الموعد المحدد ، ينزعني من غفوة باهتة ربما غرقت فيها .

قلت لصديقي الطالب الجامعي ونحن في طريقنا الى غرفته :

ــ ضميري يطبخ المأساة . سأقتلع هذا الضمير من مكانه ، وسأفقد عقلي مهمة المحاكمة .

وتصورت من ثم انساناً من غير ضمير يولدُ في" لاول مرة وجاء في فكري ان هذا هو الخلاص ، وقررت على الفور الا" تمتد كفي الى قرص الهاتف المثقوب الذي اعتدت ان انفذ بواسطته الى قلب فتاة طيبة اردتها يوماً ان تكون رفيقة ايامي الى الابد .

قلت في نفسي :

ــ سأسافر .

وبالرغم من انني لم اعد احلم بأنني أطير في الفضاء فان رغبة الارتحال لا تنفك تغلي في مفاصلي . سأسافر .. و .. وفجأة لمعت امامي ورقة مقوّى مستطيلة قذرة كتب عليها : «هاتف للعموم» . وسرعان ماتوقفت دوامة الخيال عند القرص المثقوب المتحرك فوق الارقام .

فجأة اخترقت سكون الليل الكبير في المدينة عدة طلقات نارية متتابعة . قلت :

ــ أسمعت ؟

وأجاب الصديق :

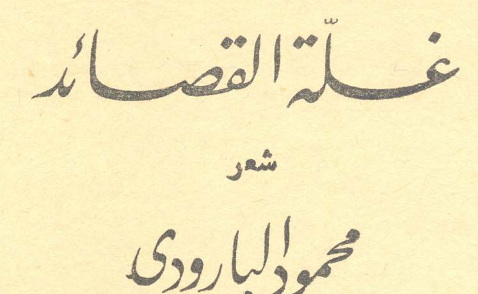
ــ طلقات رشاش !

ولمع الامل في رأسي على الفور . ثمةشيء اتمناه لوحدث: غارة وهمية لا تؤذي . وانما تخيف فقط ، اذن لسنحت لي فرصة فريدة : ان انفرج على أشباح النـاس تتراكض عبر العتمة نحو اوكارها .. تماماً كجرذان ارعدها الضوء . الجـرذان ؟ كانت الفتاة الطيبة تحدثني احياناً عن خوفهـا من الجرذان ، وكنت احس بطرافة هذا الخوف ، وأمارس لذة غريبـة وعارمة اذ انصت لها وهي تعبر عن الجزع ، غير انني مالبثت ساعة تعثرت مصادفة بجرذ هزيل نشيط في مرحاض الدار ذات ليلة مظلمة اشعلت فيها الضوء فجاءة ، مالبثت ان شعرت بنفس القشعريرة التي حدثتني عنها الفتاة التي تسكن في ضميري كزنبقة برية بيضاء نقيـة . وبدأت صلتي بالجرذان تزداد وثوقاً ، بوساطة هذه القشعريرة .

البارحة ، بالذات ، كنت في القرية . لم يكن في السماء قمر مضيء ينشر السلام والطمأنينة على العالم . كان الظلام يضم تفاصيل الارض والبشر في هيكل عام شامل واحد مجهول . وكنت اغوص في رهبـة الليل اقرأ كتاباً لسارتر أضحكني مقطع من الكتاب : . قهقهت بصوت مرتفع كالمجنون . كنت وحيداً في سرير عتيق ذي ركائز رفيعة من حديد مطلي بلون احمر مهترىء ، في غرفة واسعة يصطف في ارضها التي نخرت الرطوبة والملوحة حواليها ، فبدت كلثّة اضناها العلك والحموضة والخمرة ، يصطف طقم كنبات أجرب ، حتى لكأنه على وضعه هذا اضراس (طقم اسنان) عتيق مخرب . وتنبهت من ثم الى انني ربما بدأت اصبح مجنوناً . خرجت من الغرفة الشمطاء الى فسحة الدار ذات الاشجار المورقة . كانت بينها شجرة توت تحمل اغصانها ثماراً كثيرة كالمطر . وسمعت خشخشة ما في مكان معين منها . اضأت المصباح : كان هنالك جرذ فحل يتشبث بغصن عال مائل ، يتدلى ذنبه الطويل الرفيع الملتف النهايـة كمشروع عقدة مرسة ! . خلعت من قدمي فردة الحـذاء الخفيف ، وقذفت بها نحوه ، فأخطأته وصحت :

ــ هس !

البقية على الصفحة «١٦»



تحية للعائد .. للعبقري الخالد
تحية العرب لشيخ ثائر .. مجاهد
لنازح ، مجنح القلب ، عصي ، شارد
رأى الاباء قدهوى ، تحت سياط الجالد
وامة غريقة .. في لجة المفاسد
فهاله ، كالسيف ، ان يصدا بغمد الغامد
فطوح الزورق في ثورة كبر راعد

•

أهلاً — ولم تنزح — فقد ناضلت جهد الذائد
يا موقظ النخوة في قلب البليد الخامد
ولم تزل محتطباً ، ترفد نار الواقد
حتى جلت ثوراتنا ستر الظلام العاقد

* *

الان يقري طارف سلامه للتالد (١)
نحن ، كما ترى ، على درب الاماني الصاعد
حدودنا تمحى ويفنى واحد في واحد
وثورة تهمي رؤى .. على ضفاف الرافد (٢)
والوحدة الكبرى تشير بالبنان الواعد
رايتها تخفق كالضوء بكف القائد
الملهم الموهوب ، كف الالمعي الرائد

. . .

يا حادياً طموحنا في غمرة الشدائد
هذي رؤاك واقع يبهر عين الشاهد
هذي بذورك التي تملأ حقل الحاصد
هذي جنى الديوان ، هذي غلة القصائد

المحامي محمود البارودي

(١) اشارة لتحية الاندلس :
أمن العبدان ترضين سلاماً

(٢) دجلة احد الرافدين .

رد الاستاذ القروي على الشاعر محمود البارودي

سيادة الشاعر المحامي الاستاذ محمود البارودي — حماه

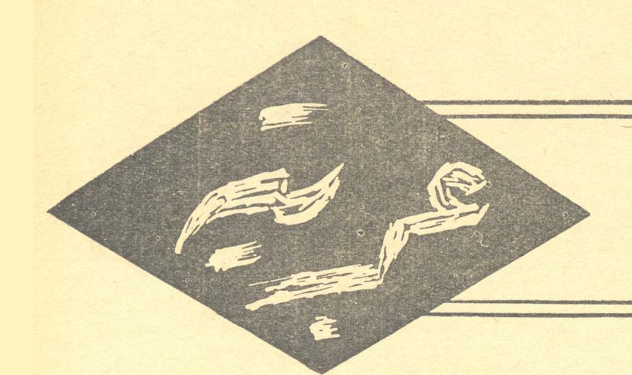
اخي : لن يتأتى للكلمة مهما رقت وصفت ان تشف عن المعنى النابع من القلب تمام الشفوف . فلئن كانت هذه جرتكم فماذا يكون ينبوعكم ؟ واذا كان هذا شعركم فكيف يكون شعوركم ؟ لقد قدرت قصيدتكم الرائعة قدرها . وقدرت عاطفتكم ضعفيها . واني لشاكر لكم يا اخي منة هذه الكأس — بلورها ومعينها — شكراً يربو على قدر ما عُرف به العربي من فضيلة الوفاء .

اما القصيدة فقد كان لي فخر تلاوتها في حلقة ادب فظفرت بها مجلة الثقافة لتنشر في عددها الآتي القريب ان شاء الله . واما الرسالة فاني لمحتفظ بها في اضبارة الرسائل القيمة التي تسلمتها هذه الفترة من أخوان الادب نظيركم ، شهادة لفضلهم باقية ، ووثيقه لجميلهم موروثة .

جزاكم المولى احسن الجزاء عن اخيكم المخلص الشكور .

١٢ ايلول ١٩٥٨

مُناقشَات



واقع وايديولوجية

بقلم : احسان سركيس

منذ حين ، ودنيا الفكر العربي في حركة بناءة هادرة ، لقد اهتز عالم الرمال الساجي والنخيل المتأود الوسنان ، فاذا هـذا العالم الذي تخيله بعض الغربيين لوحة رومانتيكية آسرة تأخذ بمجامع القلب ، أو تأمله غيرهم ، من طغاة المال ، بحيرة من النفط السائب تنادي من يعب منها ، قد اهتز على وقـع الاحداث ، لان احداث العقد الاخير من الزمن ، وما احتملته في تضاعيفها واشتملته من اثبات للشخصية العربيـة في تفتحها وانطلاقها ونزوعها الى التئام شملها ، قد أحالت السكون اعصاراً وهزت ، من جملة ماهزته ، صفحة الفكر الراكدة الساكنة واستثارت ، من جملة ما استثارته ، الوجدان القومي ، فاذا هذه الدنيا الراكدة المتأملة الواجفة منبر كبير للكلام وميدان رحب للمناقشة والبحث ، واذا بعالمنا الفكري يهتف بكلمـة الحق ويتعشقها : لا مكان للتماثيل ولتنطلق الالسنة بالكلام وليكن الكلام حافزاً للعمل وداعياً له .

وكان طبيعياً ، والاحداث على هـذا القدر من الجسامة والمدى التاريخي ، ان يكون خط سيرها الطويل المستمر ، في تعاريجه ومنبسطه ، قبلة تصادم الآراء والافكار . ومن ثنايا الاخذ والرد ، التصويب والتخطئة ، يرتفع الماء ليشق طريقه ويحتفر مجراه ، وقد اراده في طريق غير مطروقـة لم تمر بها قدم ، وفي مسيل لم يند بغير مائه .

في هذا العالم الجديد كل الجـدة ، بما يختلج في ضميره او يتصوره وجدانه ، يقف الواقـع والنظرية وجهاً لوجه ، فثم ميدان الاختبار والتطبيق وثم توضع المخططات والتصاميم وترسم معالم المستقبل . هنا في هذه الدنيا الحائرة الغائرة ، تغدو التجربة ، كل تجربة ، هي الاولى والاخيرة .. وتظل النظرية ، كل نظرية نستلهمها او نصوغهـا هي التصميم الموضوعي للتجربة التاريخية والانسانية التي نعيشها ونعانيها والتي تعيشها او عاشتها شعوب اخرى مرت بمثل تجربتنا او المت بمشبه بواقعنا ، بما يحيل هذا التصميم الى قانون اجتماعي يصح في كل زمان ومكان اذا توفرت اسباب معينة .

ونحن ، هنا ، نجابه الامكان ونفيه ، شأن كل ظاهرة من ظواهر الحياة ، نجابه تجربة حية ، لاتخلص من وطأة هذه الحتمية الا بتمامها في الواقع ، اما التجربة التي مازالت قيد الانجاز او التجربة المرتقبة المتوقعة ، فمجال الصحة والخطأ فيها مرهون بحسن تفهم الواقع وتذليل العقبات التي تعترض سبيل التجربة واعتماد النظرية او النهج المفضي الى تذليل هذا الواقع وتطويره ففي التجارب التي تطبق على المادة الجامدة يستطيع الباحث في مخبره ان يعاود التجربة مثنى وثلاث ورباع حتى تلين قناتها وتستقيم له ، اما في المجتمعات البشرية فالتجربة هي الحياة والمرء فيها مشارك ومراقب لاتنفعه نظرية تغفل الواقع أو تتجاهله لان النظرية كل نظرية لاتغدو سلاحاً يستشرف المستقبل ، الا عندما تلاحظ الواقع ، وكل خلاف يشجر بين النظرية والواقع فالحكم فيه للواقع لا للنظرية .

ونحن ، في انطلاقنـا ، الى ايجاد ايدلوجية نصدر عنها في نهجنا وقبلتنا ، لا نستطيـع صياغة هذه الايديولوجية وتحديد خطوطها مالم نفهم واقعنا الاقتصادي وما يستتبعه من نظام سياسي . وعلى ادراكنا لهذا الواقع يتوقف الكثير في اصابتنا ماتروم ، لان ادراكنا للسنن الموضوعية التي تسير المجتمع ، عرضة دائماً ، للتناقض بين « الذين يعكسون السنن الموضوعية على نحو صحيـح نسبياً واولئك الذين يعكسونهـا على نحو خاطيء نسبياً » .

ان واقع الامة العربية معقد الجوانب متداخل الحلقات يصعب ادراكه دون تعمق ، ولاتمكن الاحاطة به مالم يتوفر

للمرء التفهم الواسع للظاهرات التاريخية والالمام بتطور المجتمعات المماثلة لمجتمعنا . ان مجتمعنا ، في ماضيه الغابر الزاهر الطويل ، هذا المجتمع الممتد على رقعة واسعة من الارض له ميزات خاصة وسمات فرعية موقوفة عليه ، فكأن الاجيال الماضية اذ تتالت ترك كل منها اثراً من نظام اجتماعي جاء في حينه ولا يزال الى اليوم يعيش ويسامت مظاهر الحياة الجديدة . مثل هذه البقايا اذ تعايش الحاضر ، يمكن ان يقبل منها مايصون الحاضر ويمده ويمكن ان يرفض منها مايناهض الحاضر ويقف في وجهه ، فلا بد ، اذا ، لفهم واقعنا والانطلاق منه ، ولا بد من ابراز هذه البقايا والمحافظة على مايمكن المحافظة عليـه ورد ماينبغى رده ودفعه كظاهرة تقضت وفات اوانها . وهنا ايضاً ، في ادراك الواقع وتعارضه ، يقوم تناقض بين الذين يدركون ادراكاً صحيحاً حقيقة السنن الموضوعية والذين يدركونها ادراكاً خاطئاً ولا يضير هذا النقاد اذا اقتصر على مجرد المحاولة والرغبة ولم يخف وراءه مآرب خاصة ، لأن السبل المتفرقه لابد لها من الالتقاء في المرجح على نهج واحد مادامت الغاية واحدة والمرمى واحداً.

والمجتمعات العربية ، وهي وليدة ماض طويل وهبة انظمة شتى تعاورتها وتداخلت فيها .. هذه المجتمعات لم تخل من فروق حملها واقع تاريخي مختلف ، باينت بين قطر وآخر ، من حيث التطور الاقتصادي ، كما باينت بين مألوف قطر وقطر ولم تخل اللغة الدارجة من أثر من هذا التباين فثمه لكنات تكاد تومىء الى هذا الماضي وتشير اليه . والناظر المتأمل ، يـدرك ، من نظرة عابرة ان هذه المجتمعات ليست على قدر متساو من التقدم الاقتصادي وتبعاً لقانون التطور غير المتكافىء ، ومبعثه كما هو معلوم اسباب تاريخية وجغرافيـة واجتماعية ، اصبحت بعض البلدان العربية متباينة في درجة الرقي ، فبينما نرى بلداً آخذاً باسباب الصناعة الحديثة يطل منها على دنيا الرفاه والتقدم بانواعه ، نرى بلداً آخر فريسة التأخر ليس فيه صناعة او زراعة متطورة ولايزال يعيش بادوات انتاج بدائية تخطاهـا الزمن ووقفت عاجزة عن استدرار خير الارض . وتبعاً لذلك كتب على هذه المجتمعات ان تشقى بتأخرها ، فلا تطل من نافذة ، على حضارة القرن العشرين حضارة الصناعة والآلة .

هذا الواقع بما فيه من تباين وفوارق اقتصادية ، وهي الاصل في نتائج انعكاساتها التشريعية والفكرية والفنية ... الخ يضع امام رغبتنا في الوحدة امكانية التوفيق بين هذه الشروط المختلفة ، وما تمليه من احترام المصالح المكتسبة ، مع السير الهادىء المتئد حتى لا يضار احد بعمل هو في حد ذاته نعمة للجميع . ان انظمة شتى تتقابل وارادة الناس في دنيا العروبة تدفع الاحداث في اتجاه الصيرورة ، ولكن هـذه الانظمة وهي وليدة اسس مستقلة عن ارادة الناس ، الى حد بعيد ، لها منطق واجب الرعاية ، تحسن مداراته ونحن ننطلق نحو غايتنا ، وسبيل الارادة الفعالة حتى تستحيل حرية واعية ان تراعي هذه الحقيقة لا ان تذهل عنها .

ثمة انظمه شتى تمر الارض العربية ، من حدود عهد الرق الى تخوم الاشتراكية وهي تصطرع فيما بينها وتنهض فيما بينها ايضاً حواجز لا يزيلها قول او رجاء بل عمل جاهد مضن تواكبه ارادة خيرة مثمرة . ان هذه الانظمة ، وهي وليـدة الف عام ، تبدي تواجدها وتناقضاتها ، ان اخطاء مئات السنين قد واجهتنا اليوم ، دفعة واحدة ، وشعورنا بالتبعة وجسامة المسئولية التاريخيـة يقتضياننا مواجهتها والتماس الحـلول الصحيحة لها .

ان رغبتنا في الوحدة الشاملة قد حملتنا على مواجهة هذا التفاوت ، ومحاولة ازالته لتكون الطريق معبدة مذللة . وقد تعرض ، في هذا المجال ، بعض المعالجات الجزئية ، ولا ينكر ما لكل خطوة بالغاً ما بلغ حفرها ، من اثر في تذليل الكثير من الصعاب ، ولكن الخطة الصحيحة الفعالة ، تظل في معالجة اسباب التباين ، ومحاولة ازالته ، وذلك عن طريق الحـاق المتأخر بالمتقدم ، دون ان يخفف ذلك من انطلاقة المتقدم واندفاعته .

وفي مجتمعنا العربي اليوم ، وكل مجتمع مماثل ، تقف طبقتان طبقة فتية موعودة بالمستقبل هي طبقة المنتجين الحقيقيين لجميع الخيرات البشرية ، وطبقة اخرى ، فات اوانها ، وان يكن لا يزال بمقدورها ، في حالات معينة وظروف خاصة ، ان تلعب في حياة البلاد المتخلفة اقتصادياً دوراً تقدمياً وهي طبقة الرأسمالية . أما بقية الطبقات وماتعكسه من نظم اجتماعية كالاقطاعية والقبلية .. الخ ، فقد اصبح الاجماع منعقداً على انها استنفذت اسباب بقائها وغدا زوالها من مصلحة المجتمع العربي .

ووحدتنا بجانب مالها من مبررات لامجال لايرادها هنا ، تستهدف ان تكون الدولة كبيرة موحدة وافرة الموارد متطورة القوى المنتجة ، وهذه الدولة تشترك في نشدانها الطبقتان الآنفتا الذكر ، فالرأسمالية ، كدابها في تاريخها الطويل تستهدف دائماً ان تكون الدولة اكبر ماتكون واكثرها

مركزية ، والطبقات المنتجة وعلى رأسها الطبقة العاملة ، ترى عند تكافؤ الاسباب ، في الدولة الكبيرة الواحدة سبيلاً الى تطوير القوى المنتجـــة والخروج بمجتمعات مغلقة من قواقعها مجتمعات لايزال يلفها ظلام القرون الوسطى وماقبلها ، وتحويل المجتمع الى طاقة جبارة تصغر امامها العقبات فتزول بأقل كلفة وايسر مشقة . والقومية العربية ، كتعبير فكري عن استهداف الدوله الواحدة ، توقظ الجماهير من رقدة الاقطاعية وسبات الانظمة البالية ، وهذا بذاته ، أمر تقدمي باهر المدى لأنه يشكل خطوة تاريخية واحدة الى الأمام يطل منها مجتمعنا العربي على العالم الأرحب ، عالم يكون فيه العمل سيد المجتمع .

وواقع العالم العربي اليوم ، وواقع شعوب كثيرة من العالم ، يضع هذه القضية موضع الدراسة والتقدير في بناء الدولة الجديدة . ونحن اذا تناولنا على سبيل المثال واقع الجمهورية العربية المتحدة ، وهي اكثر اجزاء الوطن العربي تقدماً من الناحية الاقتصادية ، فنرى ان مجتمعنا ، حتى الآن ، يقوم على وجود شعب اكثره من الفلاحين ولاتزال الصناعة في رأد انطلاقها ولايزال مستوى المعيشة ، من حيث العموم أقل من المستوى الواجب بلوغه ، لقد تناهى الى هذا المجتمع فقر موروث ، فحاول ان يزيل آثاره لينطلق الى بناء غده ، في مجتمع انساني عجلان الخطا كل ساعة له تجديد ..

لقد تحدث الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٦ تموز من عام ١٩٥٧ عن الفروق الطبقية في المجتمع المصري ، فرأى ان امرها مرهون بالمستقبل بالمرحلة التالية ، لأن المجتمع المصري بحاجة الى جميع أبنائه وبحاجة الى جهد رأس المال الوطني وازدهار رأس المال معناه توفير صناعة متطورة ومستوى معاشي افضل .. ولكن تشجيع رأس المال الوطني لايعني فقدان الرقابة عليه ، فاذا كان الاقتصاد وسطاً بين اليمين واليسار ، فتدخل الدولة ورقابتها ، اذا اتخذت لها وضع الحكم بين الطبقات ، يمكن ان يحد من غلواء الفئات المستثمرة عن طريق رأسمالية الدولة وتوجيهها نحو العدالة الاجتماعية اي وضعها في خدمة مجموع الشعب لا في خدمة فئة قليلة منه .

وهذه الخطة الصحيحة ، تظل ، كما المح الرئيس ، ضمن حدود الخطة الموقتة المرهونة بواقع آني عابر ، فالرأسمالية ، مع التوفيق بين مصالحها ومصالح المجتمع ، ومع محاولة الاستفادة من امكانياتها لفترة زمنية ، تظل ، كما هو معلوم ، ظاهرة مؤقتة لم يعد بوسعها عقلاً ومنطقاً وواقعاً ، ان تسير اليوم ، باحتياجات المجتمع الى نهايتها .

ومن هذا الواقع ، ومن تشوفنا المستقبل ومن رغبتنا في تذليل اخطاء مئات السنين نستلهم ايديولوجيتنا .

نحن نعلم اليوم ان الايديولوجية هي انعكاس النظام السياسي والاقتصادي في مجتمع معين ، وهي بدورها ذات اثر فعال في النظامين الآنفي الذكر ، لأن الواقع السياسي ليس ، بدوره سوى تعبير مكثف عن الواقع الاقتصادي .

ان ايديولوجتنا ، حتى الآن ، لاتزال تنبع من العمل ، ودليلها امل بعيد ترك السبل شتى وضرب موعداً مع المستقبل . ولكن خط السير العفوي ، لابد له ، وقد آن الآوان ، ان يخلي طريقه للنهج المدروس والقبلة الواضحة ، وليس يخاف اليوم في شرعة العلم ، التفاعل بين الفكرة المسبقة والواقع واثرها في تطويره . وكل تطور لابد له من فكرة سابقة تستلهم مابلغته القوى المؤثرة ، وتحدد لهـا نهجها وتحدوها على التطور . وقد يقترن التخيل بالواقع ، عندما يأتي دور العقل فيضع هذا التحيل في بوتقة الواقع فيحيله اما خيالاً منتجاً او وهماً زائلاً . ودائماً كان خيال الانسان مساوقاً لرغبته في العمل ، وكان يحمله ، بدوره مصححاً لخياله .

وحتى تكون ايديولوجتنا منتجة ، ينبغي لنا ان لانغفل عن التماس القدوة والمثال . فالمجتمعات الانسانية ، على تفاوت مابينها تتعاصر ، فاذا بينها من التوافق والتماثل مما يطغى على الفوارق الظاهرية ، وعليها ان تكون شاملة ، تلف كافة وجوه المجتمع ، من اصغر خلية اجتماعية حتى اكبر خلية ، كما ينبغي لايديولوجتنا ان تكون موصولة بالانسانية في تطورها لاننا من الانسانية بعض من كل ولان الاسباب التي تشد شعباً الى شعب وامة الى امة بلغت مداها من القوة والارتباط في زمن يسعى فيه الناس لغزو الفضاء واعمار الافلاك .

وعلى ضوء واقعنا وواقع الانسانية ، وعلى ضوء الاضواء الانسانية التي تلهم المعمورة معلنة ان جميع الطرق في عصرنا ، اصبحت تهـــدى الى الاشتراكية ، على ضوء ذلك نصوغ ايديولوجتنا وننطلق بها مما تحمله نفوسنا من شوق الى الاكمل والافضل . الى محو الفروق بين مجتمع عربي وآخر باسرع مايمكن الى توحيــــد الاهداف والمقاصد الى التماس مثل اعلى واحد .

ونحن في انطلاقنا الى التماس هذه الايديولوجية ، لانصدر عن رأي فيه مجال لغير اختيار واحد ، فاما ان نختار ايديولوجية متربصة محافظة تراوح في مكانها ولا تتعرف كيف تتلمس طريق

المستقبل ، وبين ان نختار الايديولوجية الصحية ، وجميع القرائن والشواهد تشير الى انه ستكون عربية في شكلها اشتراكية في محتواها .

اننا نعيش في زمن لا تنفصل فيه الايديولوجية عن مرحلتها التاريخية والانسانية التي يمر بها العالم ، ومنه وطننا العربي ولا نستطيع ، دون ان نغرق في العفوية ، نسيان واقعنا وما للايديولوجية الصحيحة من اثره في تطويره . ونعلم بالمقابل ان هذه الايدلوجية الصحيحة ستقابل بكثير من المصاعب ومن الاعتراضات الوهمية التي تحاول باسم « الأصالة » والتفرد ان تنكر مبادىء موضوعية ثابتة اصبح لها قوة النواميس العلمية . ان غاية المجتمعات بالغاً ما بلغ تباينها واحدة ، وقد يختلف الوصول اليها ، وهذه حقيقة موضوعية تابعة لاختلاف الاسس الاجتماعية ، ولكن كل مزج بين المصير وسبيل الوصول اليه معناه ، النقل من حقيقة علمية ثابتة موضوعية ، بظاهرات جزئية طارئة .. والذين يمزجون بين المصير والسبيل اليه ، هم على الغالب نفر يود الاكتفاء بالقشر دون اللباب او يصرفه عن هذه الحقيقة أرب خاص يجعله يفر من مواجهة المصير .

ان ايديولوجية اشتراكية تسوي الارض لتطوير المجتمع ، هي وحدها القادرة على مواجهة الاحتياجات القومية العربية النامية ، ومثل هذه الايدلوجية ، انما تقوم على سواعد المنتجين الحقيقين الذين طالما شادوا صروح الحضارة لسواهم ، وهم اليوم بسبيل تشييدها لانفسهم وذراريهم .

لدينا القبلة الواضحة ، ولدينا اليد القادرة على العمل وامامنا كالشمس المشرقة ، الثمرة الموعودة ، وثمة قوى عظيمة في امتنا كانت حتى الامس القريب تعمل لمصالح افراد ، واليوم تنطلق هذه القوى ، في معركة التحرر والانعتاق وبناء المجتمع الجديد ومن واجب الاقطار العربية ، وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، ان تستفيد من انطلاقة هذه القوى الخلاقة .

الشاعر القروي « تتمة ما نشر على الصفحة (٨) »

وقوله في العمال :

مضى عصر النخاسة من زمان ولاح على البرية غير شمسه
زمان كان فيه العبد يشقى ليسعد قلب سيده بنخسه
فما بال الغني يعيد عهداً طواه المصلحون بقاع رمسه
اذا ما الجائع استعطاه فلساً يحوله على المولى بفلسه
فلا عجب اذا ما هاج يوماً وحطم رأس سيده بفأسه
وأمعن جمعه سلباً ونهباً ليجنى عنوة اثمار غرسه
فقد حان الزمان لدوس فلس يهدد كل ذي بأس ببأسه
يكلف جمعه قتل البرايا وينفقه الغني لقتل نفسه

●

وقوله في منتزه شتورة وفيه نفحة اندلسية .

وصفصافٍ صفوف كالعذارى
هبطن من العلا والحور حور
اذا غنّى النسيم على ذراها
وأن على جوانبها الغدير
فللأ فنان تأويد قليل
وللأوراق تصفير كثير
كأن غصونها دبق عليه
عصافير ترف ولا تطير

وهكذا نرى ان شعره قد شمل اشياء كثيرة وقد يتناسب هذا التشعب مع القوى العقلية والجسمانية فعند الضعفاء تكون الحياة ضوءاً ضئيلاً متراقصاً تجب حمايته باليدين كي لا تطفئه الريح اما الحياة في البنيان القوي والروح القوية فهي لهيب يندفع من البؤرة ليتصل بجميع ما يحيط به من الكائنات والاشياء .

الجوز والتوت تتمة ما نشر على الصفحة (١١)

ولما لم يتحرك ، وظل يحملق في مكانه ، اطفأت الضوء ببطء ، وتسللت الى السرير أهدىء من روعي !

وفكرت : ان شيئاً ما في العالم قد تبدل !

ان الجرذان تصعد شجر التوت لتأكل نصيب العصافير من الثمر ! أي انقلاب خطير !

ربما لم يعد للضمير من ضرورة بعد الآن !

●

حين جاء الصباح الطري يدلف من النافذة الشرقية ذات الزجاج الملطخ من الخارج بغبار لزج دبق ، شعرت بشيء من الرطوبة .. وبشيء من الخدر .. الخدر الثقيل المضني كالشوق. وبدأت ابني مستقبلاً جديداً ، ومددت اليد القاسية الخشنة لاقتلع الضمير المعذب من جذوره ، كما يقتلع الفلاح درنة اللفت او الجزر ، هكذا .. مرة واحدة .. والى الابد ، وواكبني شعور توجست فيه ان ينبع من مكان الاقتلاع وهج قوي هو وهج المستقبل الذي سأبنيه من جديد ، الا انني لم استطع ايضاً ان اجفف سيل الدموع والحزن ..

●

اليوم هو اليوم التالي ، وبالرغم من ان المدينة النظيفة تختص جرذانها بامكنة معينة ، الا ان فكرة الانقلاب لم تبرح مخيلتي ، يصدها الحنين والذكريات الحلوة الطيبة تارة ، وتذكيها اخرى ، الرغبة في الارتحال الى عالم جديد كبير مجهول ..

عبد الهادي البكار

صراع العربي الإنسان
في شعر القروي

بقلم

عبد الله عبد الدائم

عندما تتفتح الازاهير مغردة لحن الجمال والحب في الكون الفسيح تدمي عينيها رؤى الشوك فتضطرم ، وتجرح لهالتها أسنة القتاد فتئن.

وعندما ينطلق الضياء الوردي حاملاً دفء الحياة وألوانها ، يغزوه الظلام فيستوحش ويتأسى ، ويمر عليه الصقيع فينكمش ألماً .. كذلك النفوس الكبار ، التي رضعت الحياة مع النور ، وشربت الجمال مع المهد ، تدرج الى الكون مصفقة الجناح ، محلقة في كل سماء وهواء ، فيهيض جناحها مرأى البؤس والظلم ، فتجعل من قوادها لهازم ثائرة ، ومن خوافيها أنات عود ..

وهكذا تولد الثورة من الشغاف اللين الرقيق ، وتعصف العواصف في معبد الحب والزهر ، فاذا الحب حقد عميق ، حقد على الشر وعلى اعداء الحب ، واذا النغم الفياض بمحبة الانسان زئير يستعدي الانسان على الانسان في سبيل الانسان .

وهكذا تتقلب هذه النفوس الكبيرة تقلب السليم على الرمضاء : فمن عناق الوردة وتنسم القطرة وارتشاف تنهدات الوادي وتسبيحات الجبل ، تعوج دونما تلكؤ الى ضم المشرفي ولثم السيوف ومداعبة النار والدماء . ومن بارق الثغر تخطر الى بارق السيف ، ومن الكبد السحري التي تفتقت لتغذي الناس طراً ، الى كبد تتمنى لو تمضغ أكباد من لا كبد له .

تلك هي مأساة القلب الكبير في عالم مايزال يراه أصغر من الصغير . انه يود ان يسع بحبه العالم كله ، ويتمنى لو يصدح فيبلّغ ترنياته كل ذي حياة ، بل يتمنى ان تطرب لنغمه حتى الطيور طيور داوود ، وحتى الازاهير ، الازاهير التي يهزها نغم الصبا .

ولكن الكون ينكشف له في سحنته البشعة ، ويريه ظهر الوسام ، فاذا به عدوان وظلم وبؤس ، واذا بوروده دامية وقلب واعف .

من هنا بدأ الشاعر القروي والى هنا انتهى . بدأ من النهر والبحر والمزرعة ، وانتهى الى الثورة ـ الثورة على ظلم الانسان للانسان .

ودرج مع الحب الذي « يكاد ينطق به القلب في خفقانه » . ومع « دعوة الحب أول الدعوات » وانتهى بالبغض ، بغض من لا يؤمن برسالة الحب .

لقد كانت نفسه في صراع دائم وتمزق مستمر . فهو للناي والصعود والحب والزهر ولكنه لا يستطيع ان يجترح المعجزات فيسمع « همس الازهار وسط هذا الضجيج » ضجيج وطنه وعويله الذي « يكاد يقض مضاجع النائمين في المريخ » ولا يستطيع ان يصور « الشفق وراء هذا القتام » :

أنّى يجيد الشعر مضطرب　　أوطانه نهب لمنتهب

وهو فرحة ، فرحة الحياة ترقص في صدره ، ولكنه ان يفرح يأثم قلبه ، فالأفراح « للشعب السعيد » ، وله ولشعبه المستعبد « الهم المستزيد » .

والنفس الكريمة لا تعرف أن ترقص على اشلاء الموتى ، ولا تصوغ من أنات الثكالى في بلادها أنغاماً تثمل عليها عصبة هامت بالكؤوس » حين حام هو « بأم المعالي » . ان الاسى عذاب توقعه النفوس الصادقة على نفسها لتكفر عن خطاياها ، واجترار الالم مدامة من لا يستطيع لآلام قومه دفعاً :

وللنفس حالات يطيب بها الاسى
وتمسي بها الافراح عبئاً على القلب
وقد تهرب الابطال من ساعة الصفا
كما تهرب الانذال من ساحة الحرب

لقد ولد الشاعر فصكت مسمعه منذ ولد أنات أمته ولفحت وجهه زفراتها فطوى جناحه عند سريرها مخضعاً خياله لواقعها الاليم مقدماً واجب تمريضها على التغريد في الخمائل والتنقير بين الحقول . ولو أنه ادرك أمته صحيحة قوية ، على حد قوله ، لحلق مع الاسراب في ألف سماء بعد سمائها .

وولد الشاعر ، في ظل روض ظليل ، عند أم أرضعته « لبان الحب من صدر أحنّ » ، وسقته منه ما « فاض على الورى » في « منزل ساذج البنيان متضع » بلبنان :

كف السلام على أعتابه كتبت
هذا المكان لابناء السلام بُني

أحب الطبيعة وعشقها ، حتى انعطف على الشجرة يعانقها والصخرة يضمها والزهرة يناغيها والموجة يتقلب عليها .

وأحب الكون والناس وكل شيء :

لي قلب يسع الكون فلا　　تسألوني ما الذي تهوى ومن

كل شيء فيه شيء حسن وأناأهوى من الشيء الحسن

ورضي من الوجود «بقلم ناحل وعود» ودان بدين الحب، فرأى الجمال في كل معبد :

عم الجمـــال فقلب عينيك في الكون واكتب

كل الطبيعة شعر لانها كلها حب

ولكن القلب الحي لايعرف ان يعيش في زاوية مغلقة، والنفس المتفتحة تتفتح على كل شيء في الكون. والحب الصادق يريد الحب في كل مكان، ولاقط الزهر يود ان يراه في كل بيت.

فليدع الاغاريد اذن ولكن الى حين. بل قل ليرسل صيحة جهورية ليغرد الكون كله بعد ذلك، وليثر ليهدأ العالم، وليبغض ليؤمن الناس بالحب..

لقد حرم الظالمون الناس زهرهم، وسلبوهم هواءهم، فلا سكر اليوم ولاصحو غداً.

ان الشعر صدق وحرية وايمان :

من لم يكن حراً فليس بشاعر ولو أن مانظم الارق الانفس

وهل يصدق الشاعر اذا أطلق القوافي نشوى طروبة، وترك أمته العربية تئن، وترك سيف أبناء جبل العرب يضرب خد الأعجمي، بينما يأوي هو الى دمقس وحرير.. وهل من حقه ان يحتفل بعيد المساخر في البرازيل، وينعم بالحفلات والطعام والشراب وبنات بطل الجبل، بنات «سلطان»، يحتسين التراب! وهل يستطيع ان يفتح قلبه للفتاة الانكليزية «مود» وقد أغلق الانكليز قلوب قومه. ان هواها حرام عليه مادامت في وطنه «صيحة للجهاد». ان قلبه «عند أقدام ابنة العرب»، فلا غرابة ان قال :

نفور في منكن غريب يا ابنة الغرب

فسبحان الذي شاء فأآكن عن قلبي

ولا عليه بعد ذلك ان رمي بخشونة الحاشية وان رمي شعره بالعنف :

فغدى استقلال قومي شهرتي وأغاريدي وشعري وخلودي

جعـــلوا الرقة مقياساً وما أبعد الرقة عن تلك الكبود

أرأيتم شاعــراً تطربه أنة الثكلى على رطب وحيد

ويرى اخـــوانه تنثرهم زعزع البغي على كل صعيد

وهو لاه ينسب الشعر على رنة الكأس بقـد وبجيد

ولا عليه ايضاً ان اتهمه الناس بالثورة وشكوا فيه طول شكاته، فلقد انعقد مصيره بمصير قومه، وتبعت لذته لذتهم :

لا أبالي شبـــعت ام جعت والفن شرابي وعزة النفس خبزي

ذل قومي ذلي وان كنت أغنى الناس طرأ وعز قومي عزي

وهل للقوافي من قيمة بعد ذل الاوطان، وهل يطهرها الا احتراقها في لظى أمته الجريح :

جميــل رحماك دعني من القوافي العقيمة

جميــل هل بعد فقد الاوطان للشعر قيمة

وبعد هذا وذاك، حسبه ان لم يقل شيئاً، ان قال كلمة الحق ودعى الى مايصون الكرامة :

لئن لم أكن أشعر الشاعرين ولم أجن من أدبي فائدة

فحسبي ان صنت ماء الجبين وتلك قصيــدتي الخالدة

ذلك هـــو الشاعر القروي : قلب نابض بالحياة عامر بأحاسيس الكون وبما وراء الكون، تصطرع فيه البواعث المتضاربة، ويقفز بين اللانهائيين ولكنه لايضل في نهاية الامر ولا يحار : انه يجد الحل، حل الرجل المؤمن. انه سوف يركب المركب الخشن في سبيل الوصول الى أسعد مركب، ويمتطي البغضاء في سبيل الوصول الى الحب، وينادي بالثورة في سبيل شـــم الزهرة وضم الشجرة. انه يؤمن بالانسان، ومن أجل ذلك يؤمن بحق الانسان في الحياة الكريمة. فليناضل في سبيل هذا الحق، وليبغض كل من يقف في سبيله.

وانه يؤمن بالمساواة بين الناس، يؤمن بالانسانية كلها، ولا يفرق بين بلد وبلد، فليناضل في سبيـــل هذه المساواة وليحارب اولئك الذين يعادون الانسانية. ان ايمانه بالانسانية لايتزعزع، وان ايمان قومه العرب بالانسانية ايمان عريق، وان رسالتهم «رسالة تكبير وتوحيد ودعوة تعاون على البر وآيات انبيائهم واسفار حكمائهم تشهد بأن لهم من فيض العاطفة الاجتماعية وحرارة الروح الانسانية وسطوعها ماليس لسائر الامم بعضه». ولكن اتعس الحب ما كان وحيد الطرف، واقسى الايمـــان ما كان من جانب واحد. لقد آمن العرب بالسلام والحب وارادوا «السلام للعالم كله» فـــلم يعمل به احد سواهم. ولقـد احبوا وفتحوا صدرهم واسعاً حنوناً، فألقى فيه اعداؤهم النبـــال لا الأزهار وزرعوا فيه الفتنة لا الورود :

نهوى السلام فنسعى بالحب بين الانام

نروم للناس نفعاً اقصى مرامي المرام

لكن اخو الشر افعى سروره في الخصام

فمن هزل الدهر ان تكون دعوتهم الى السلام خـدين «الاستسلام» على حد تعبير زعيم العروبة اليوم. ومن السخف

ان تصبح الدعوة الى السلام بضاعة تصدر الى الدول الضعيفة لتستكين وتخضع وتذبح ذبح النعاج . فالقوي قبل الضعيف ينبغي ان يؤمن برسالة السلام . اما الضعيف الذي يدعو قومه الى السلام والذئاب تنهش جسده ، فهو اعدى اعداء السلام . وهل نحن « اكلف بالسلام من مسيح السلام ؟ » وهل نحن « اودع من حمــل الجلجلة ؟ اما غضب فنهال بالصوت على الصيارفة وباعة الحمام يطردهم من الهيكل غيرة على بيت ابيه » ؟ وهل يغدو السلام من احتكار الضعفاء دون الاقوياء :

الى مَ الى مَ نحتكر السلاما واهل الارض قد عبدوا الحساما

انذير للأبالسة المجرمين في ارضنا خدنا الايسر ويصلوننا نيران حقدهم .

اتيناهم بانجيل المسيح فجاؤونا بآلات الفتوح

الا اننا احق برحمة انفسنا من عدو نرحم . فما ابسط عربياً يدعو — وبلغته العربية — الى السلام انسانية تأبى ان تعترف به انساناً » :

اما السلام فاننا اعداؤه حتى يدين بحبه اقوانا
لم يعترف حر بانسانية الا اذا اعترفت به انسانا

وهل من الانسانية في شيء « ان تنكر الحياة على اقرب الانسانية الينا » على قومنا وبني عشيرتنا ؟

نعم ان قلوبنا التي ترتعش لنسمة الصباح ، تعرف ان تقسو كالجلود في عــالم لاحرية فيه ولا عدالة . أليس البغض سبيل الحب الحقيقي في كثير من الاحيان ؟ اوليست الحرب طريق السلام اذا لم يكن الا الاسنة مركباً ؟ اننا نحب الانسانية لهذا نبغض اعداءها . بل « نحن نحب اوروبا ولذلك يجب ان نبغضها اولاً » . وانه لعمري « بغض اسمى من الحب » . انه بغض يذكر ببيت المعري العميق :

اذا كان ذعري يورث الامن فهو لي
احب من الامن الذي يورث الذعرا

اجل رب سلام هو الحرب ، ورب حرب هي السلام :

لكم بالسيف قومنا اعوجاجاً ولولا الحرب ماحصل السلام
اذا بني النظـام على فساد ففي خرق النظام لنا نظام

تلك هي رسالة الشاعر القروي ، رسالة العربي الانسان ، العربي الذي ناضل دوماً ويناضل في سبيل القيم الانسانية الحقيقية والذي جعل من قوميته تربة يزكو فيها الانسان وينمو . فحبه لايعرف الانحلال ، وعوده لايفهم الارتخاء ، وشعره لايعي التخنث . انه في حبه وعوده وشعره يحمل بخور السلام في يد وسيف الحق في يد ، ويمضي الى الكرم كما يمضي الى ساحة الوغى ، يرى في كليهما الحب والخير والجمال . انه يعرف ان يفرق بين حياة كأنها الموت وحياة تتحدى الموت في الحياة كما يعرف ان يمزج بين الحياة والموت الذي يهب الحياة .

الشاعر القروي هو حقاً من يعرف أن يسافر في لمعة من لمعات النفوس الكبيرة من تنهد الوادي الى أنات لبنان الجريح ومن زأرة النهر الى زأرة الفتى الثائر في جبل العرب :

والنهر ساح كأن البحر مدّ يداً
بين المزارع تهدي الماء والدررا
طوراً له زأرة الدرزي ثار على
جلاده والى استقلاله نفرا
وتارة يملأ الوادي تنهــده
كأن لبنان في أغلاله زفرا

وهل الكون ، في عين الشاعر الانسان ، الا كل شيء : هو حب يلفحه البغض ، وهو جمال يصفعه القبح ، وهو شعر يفسده الظلم . أليس التوتر من قلب الحياة ، والقلق من صميم الوجود ؟ وهل يتصل ذو الوحي بنبع الوجود دون ان يرشف مع النمير كدراً ويجد في لب الحياة دفقة الموت ؟

ولكن القروي لايمضغ أساه كما يمضغه اليائس ، ولايجعل من اجترار الالم غاية الغايات ، ولايعيش في تأمل مرآوي سلبي . انه مؤمن ، بالكون ، مؤمن بقومه ، مؤمن بالانسانية انه يشرب المر وتحت لسانه طعم الشهد الموعود ، وانه يكره الانسان الظالم وفي كرهه حب مابعده حب لانسان عادل سوف يظهر لامحالة . وانه يحقد على استكانة شعبه في كل بقعة من بقاع العرب ، ووراء حقده يقين باليوم القريب ، يوم التحرر والخلاص . انه مؤمن اشد مايكون الايمان بأن امته العربية لابد مؤدية رسالتها الى العالم ، رسالة الحب والخير . فلله مشيئة فيها ان يعيد لهذه الدنيا روحها المفقود . انه يرى الفجر رؤية الملهم ويقول :

سيجيء يوم وهو ليس بعيداً يوم يساوي سيداً ومسوداً
لا الظالمون بظالمين به كما عهدُ الزمان ولا العبيد عبيداً

وفي سبيل ذلك اليوم ، في سبيل ذلك الايمان ، يحب حقده ويحب ثورته ويحب حتى اعداءه . فمن خلال أعدائه يرى الحب ، ومن خلال الشر يتراءى له الخير ، ومن خلال الشوك يلمح الورد الابدي :

البقية على الصفة « ٣١ »

بين البشر والبقر

طوباكِ سارحةً في القفر طوباكِ
ان كنت احسد مخلوقاً فاياكِ

* * *

الزهو مثلك في الآفاق تنتشرُ
تغشى مروجَ العلى والليل معتكرُ

باالله كم يتمنّى عيشك البشرُ
ماذا تخافينَ في البيداء يا بقرُ

ان كنت تخشين من انياب فتاكِ
طوباكِ فالجلدُ غير العرضِ طوباكِ

* * *

سيري الهوينا معاً في السهل الجبلِ
الرزق حولكِ موفورٌ فلا تسلي

يا ليت لي في صحاري الجدّ والعملِ
بعض الذي لك ميسوراً على مَهل

ان كنت تشكين من صخرٍ واشواك
طوباك فالقفرُ غيرُ الفقر طوباكِ

* * *

طوباكِ في الصيف والرمضاءُ تتقد
والحرُّ منه يذوبُ الجلدُ والجلَدُ

هذا اللهيب الذي يشوى به الجسدُ
أشدُّ منه على اكبادنا الحسدُ

ان كان منه الذي سوّاك نجّاك
طوباك في لفحة الرمضاءِ طوباكِ !

* * *

تشكين فصل الشتاء البارد القاسي ؟
ماذا اقول انا في عشرة الناس ؟

نامي على الثلج نامي ليس من باس
فالثلج غير فؤادٍ دون احساس

وان تكن هاطلات الغيث تغشاك
طوباكِ فالقطر غيرُ الدمع ِطوباكِ

* * *

طوباك في مربع الحرية الخصِب
بين الازاهير والامواهِ والعشبِ

لو تعلمين عن الافرنج والعربِ
وما يلاقيه في الاوطانِ كلُّ ابي

ما كنت تخشين من سكين سفّاكِ
طوباك فالموت غير الذُلّ طوباكِ !

الشاعر القروي

تاريخ حياة عربي

بقلم

شاكر مصطفى

.. واخيراً هذه هي امامي الحروف التي قضيت السنين ، في الشباب الاول ، اجمعها كراريس ، واحفظها آيات آيات قد اجتمعت لي ، كلها معاً ، كنزاً خصيباً او وعداً بكنز خصيب ! الديوان – الحكم كله هنا . سأنبش قوافيه عما كنت احفظ . اهي هنا خالدته في ثوار سنة ١٩٢٥ ؟ اضاف شيئاً على قصيدة (الراهبة) ومعلقة (وعد بلفور) ? و (البقر) ? .. سأقفز الصفحات اليها فعل الطائر الصدي ، يخاف ان يروعه على الماء صافر !.

على اني اعترف اني لم اقرا من الديوان شيئاً بعد ، صفحاته التسعمائة لما تنسكب بعد اشهى من الكروم في كأسي ، وماتزال رغبة ، كاظمأ في العيون لاني لم استطع ان اجاوز المقدمة معه لقد قيدني الشاعر الى الصفحات الاولى ، التي لملم فيها خيوط حياته فأنا اتلو فيها ، حتى الآن ، واعيد . ان غبطة خفية ، كيقظة الروح ، كدبيب الربيع المكتوم في الاعواد ، تبرعم وتشع في تلك الصفحات ! ثمة نفحة كالعبير الصوفي ، تأسرك ، اسمعت كيف اسر « التيه » بعبيره اسلاف الاغريقي القديم (تيسيوس) ولهذا فاني اجاوز المقدمة . واحسب ان (طاغور) هو الذى قال قبلي :

« دعوني عند عتبة الهيكل . فالصلوات التي تضج في اركانه اخصب من ان يحتملها صدري ..

والمعجبون « بالقروي » يعجبهم فيه الشاعر . القافية المناضلة والثورة التي ترعد القافية هما صورته الكبرى لدى الناس . لقد كان شعره من قبل زهوي وفتنتي انا ايضاً . اما الان فما تضاءل الشعر ولكن انتصب من خلاله ، وحجبـــه ، كمارد القمم ، القروي – الانسان .

ان في حياة الرجل ماهو اخصب من القصيدة التي كتب ، ماهو الملحمة الكبرى ، هو قصة النفس التي برات القصيدة ! وراء كل كلمة تمرد عنده ، « ايدلوجية » عربية ، نبتت كالزهرة البرية ، وحيدة قوية معاً ، في البلد البعيد ، وصمدت للعاصفة وزحف الثلج ، وعضة الصخر واللهب والبهائم العمه . وتلك الصفحات الاولى من الديوان هي « سفر التكوين » الذي سجل فيه « القروي » تكوين انسان عربي ! انما لم القه بعد ، في بنائه العضوي المحدود الذي يحمل تجارب وتآكل احدى وسبعين سنة ولكنني اصبحت اعرفه ، كاخي خفقة قلب ووعياً عجيب السداد ومدى لايحد من الايمان القومي .

١) ولد الرجل معلماً .

لاتسأل متى كان ولا اين ? لعله منذ الازل ولعله في حضن خروته هرمة ، او عند زهرة بيلسان ، بين البحر المنداح والجبل الممرد كان يتكون « المعلم » ويقول انه ترك التعليم بعد سبع سنوات من النقلة ، بين مدرسة ومدرسة ، قبل ان يركب البحر والمهجر والواقع انه مايزال الى اليوم ذلك المعلم الذي كان . مدرسته عادت من المهجر الى العالم العربي الاوسع ، وتعليمه اضحى تعاليم رسالة قومية ، ولقد اعد نفسه لها حتى خشبة الصلب :

حملت صليبي قاصداً ارض موعدي

فمن شاء فليحمل ورائي صليبه !

٢) ولقد غامر الرجل ليعمل . القى نفسه مع الملقين ، على ظهر شراع ، الى المهجر البعيد وآماله اوسع من آمال كولومبوس في تغريبته ، ولبث عند عمه الغني هناك سنة « .. لم اطق خلالها صبراً على ناعم العيش . فحملت الكشة وضربت في مناكب الولاية متعرضاً لاقسي مشقات الحر والسيول الطامية !.. » وادمت كلمة « توركو » بكل مكان ، اضلاع المعلم اكثر مما ادمت سيور « الكشة » الجلدية كتفيه . وعرف العطالة والجوع ونام ، مع العاطلين ، في مراكز الشرطة على الحبال المشدودة بين الجدران حتى اذا كان الصباح سقط على وجهه مثلهم حين يحل الموكلون بهم اطراف الحبال !.. وعرف الربح والخسارة وصار صاحب معمل كما عمل في « كثير مما يلقى على عواتق الاجراء » ولكن بلاده كانت تعيش دوماً في دمه ، وقضيتها في الحرية كانت تشرب من اعصابه . « قارة » البرازيل على تراميها ، لم تستطع ان تحجب عن عينية خيال قرية « البربارة » التي توسعت ، على البعد ، حتى غدت تضم مابين تطوان والطائف . وكل مافي ذلك العالم وراء البحر من مشكلات وانواء لم تنسه مصرع الحرية في وطنه . ظلت الصنوبرة والكرم والعرزال ، والموج ، والصخر والعود ، وسحبة الموال تملأ القروي وتشده اليها وفي غابات البرازيل المخيفة كان يغني « العتابا » تحت المطر حتى يمتلىء فمه بالغيث المدرار واذا ما كان حفل انقطع عن العمل شهراً لتنظيم القصيدة التي يفاجىء بها الحفل ويقفز بشعوره الوطني الحذر ، الى قمة التوتر ، كل مرة !

٣) ولم تكن غربة القروي ، خمساً واربعين سنة ، غربة جسد فحسب . لقد كانت غربة روح ايضاً . الحضارة المادية التي تضج حوله ، في الوسط الغريب ، كانت تهتصره بين مد وجزر والعالم الجديد الذي دخله كان يلوكه ويعركه ولكنه ظل ابداً غريبا ، غريبا ، كالحصاة الصلدة ! كان له من عالمه الروحي الخاص محراب ومنسك يعزله ، وسط الناس ، عن الناس ، وله من « صوفيته » المبسطة مايميت كل ضجيج المادة والبشرية ، عند ابواب قلبه !

احتفظ دوما بالوجد الديني الذي تفجر فيه نحو خالقه . وهو بعد في الرابعة عشرة . فالله عنده حبور عميق ، وسعادة تصاحبه ايان رحل اوحل وقد ينسى الله في بأسائه ولكنه لاينساه قط في نعمائه ..

واصر دوما على الغرق في الطبيعة ، الغرق الذي اعتاده في قريته الاولى . وقد يستخفه السرور بها حتى ليطرح ثيابه عنه قطعة قطعة وهو يطفر بين التلال والاودية » واذا طغا الجمال . ردني الى خشوع يلصق جبيني بالتراب ويسكت من عيني وشفتي تسبيحه رطبة حارة . وقد يتجسم شعوري بصلة القربى بني وبين هذه الاكوان فأنعطف على الشجرة اعانقها ، والصخرة اضمها والزهرة اناغيها . وقد تسكن نفسي المضطربة في المدينة الى عشبة خضراء بجانب الطريق فأقف عندها . وكم هزني الشتاء العاصف فاذا اهدودر الشؤبوب صحت لبيك . واغتسلت بماء السماء . »

وظل على مايمضه من افاعي الناس ، يعتصم بما ارتضى من سمو العاطفة : يكهربه الجمال ، ويجلس الساعات الى سرير الطفل وقد يغضت ولكن دون حقد وقد يطعن ولكن .

ارمي بكعت السمهري صدوركم
وسنانه بيدي يقطـــع انملي
ابكي واضحك للعذاب كمرضع
شد الوليد بشعرها المسترسل !

على ان هذا البحران « الروحي » ماكان ايضا ليمسخ من صدر « القروي » عروبته . ولقد تراه يجدف او يكفر بمعتقدات الناس ، بالطبيعة ، وبالخلق السمح من اجلها . وليس وراء ذلك من سر عمق سوى ان الرجل يشعر انه ما كان حتى قبل ان يولد الاعربيا صحيحا » وماهو بالشعور العارض الذي تتدفق به النفس هذا الشعور ، فان العروبة عند « القروي » تكاد ترتفع الى درجة « الوحدة العضوية » !

« امتي هي انا مكثراً وطني انا مكبراً . اذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكأنما اكلوا جارحة من جوارحي واذا هدروا دما عربيا في لبنان او تطوان فكأنما شربوا ثغبة من دمي ما اعد ذاتي الاخلية في جسد امتي انا واحد من سبعين مليونا من العرب كل واحد منهم انا فينبغي ان احبهم سبعين مليون ضعف حبي لنفسي من افتداهم فكأنما احياني سبعين مليون مرة ومن خانهم فكأنما قتلني مثلها .. »

ويسأله « ... الشعوبيون هازئين : ماالعروبة وما برنامج العروبة ؟ قل « العروبة : شعار الامة العربية وروحها . هي دين الامة الشامل وبرنامج العروبة ليس ابجدية مواد وبنود بل هو معان تعمر بها القلوب . العروبة ان يشعر اللبناني ان زحلة في الطائف والعراقي ان له فراتاً في النيل . العروبة دم زكي يجري في عروق جسد واحد اعضاؤه الاقطار العربية . » « من سار على نور العروبة لم يضل . ومن عمل بوحيها لم يضر . وعلى شاطىء وحدتها يتكسر الاستعمار . من احشائها تولد العبقرية ، ومن عروقها يتفجر دم الاصالة » .

نشأت رسالة تكبير وتوحيد ودعوة تعاون على البر . ومشت في احلك العصور في يمينها قسطاس العدل وفي يسارها نبراس الهدى وما زالت تعطي باختيارها اضعاف ما اخذت بانتصارها حتى ملأت دنيا الناس حكمة وفناً وعمراناً ورفاهاً .. »

و « . لا خوف على العروبة من اي نظام اشتراكي لان كل ما ينصف العامة من الخاصة ويأخذ حق الضعيف من القوي يلائم سجيتها ويرضي دينها .. وان في روحانيتها العميقة جوهراً علوياً يعصمها من الانحدار الى مادية اي من النظامين اللذين يتجاذبانها .. »

هذه الكلمات المرسلة كالقدر ، تحمل في جزمها ، واطمئنانها ، بعضاً من لهجة الرسل ومن حرارة صدورهم العارية لكل ريح ومن السهل ، ان تدرك ان وراء هذه اللهجة الحارة ايماناً مطمئناً يتدفق ! ونفساً لا تبحث عن عقيدتها ولكن عن المؤمنين !

والقروي ، في هذا ، يقف على الجانب الآخر من الطريق المألوفة لشعراء المهجر .. ابو ماضي ، ونسيب عريضة ، وجبران ونعيمة ، ورشيد ايوب والاخوة من بني (معلوف) والآخرون ، كلهم مزقتهم الحيرة ، « حيرة شعب مهاجر ضعيف مغلوب على امره ومصيره [1] » ، وحيرة الانسان الصغير امام الكون .. النسيج المشترك في انتاجهم انما هو « القلق الانساني » وهذه الريبة التي تجعل الانسان علامة استفهام كبيرة امام النجوم ! اما القروي فشاعر الاطمئنان العربي . انه وحده الذي رسا على

الشاطىء وجعل يدعو الناس اليه ! ..

الم تعتصره الحيرة ؟ هل اجتاز نهر الآلام فلم يرهقه الملاح من امره عسراً ؟ هل استقر على الصخر دون نضال او جراح ؟ لجدير برسالته العربية ان تكون زائفة مستعارة لو لم يكن مشى اليها على الشوك وعلى شفرات الصخور ! لقد ناضل اولا ضد « الاقليمية » في نفسه ، وفي الناس . كبر عن لبنانيته في حين غرق في « كشتبانها » الاخرون . وجعل قلبه وتراً يهتز لكل حدث عربي بينما لهث الكثيرون على ضيق الحدود . فاذا شتموه ومزقوا اهابه وما وراء الاهاب قال : « ان عروبتكم لن تجحد فضل اقاليمكم ولكن اقلمتكم تخسركم عز العروبة وايدها وغنمها . انتم بها كثر اقوياء فلا تجعلن انفسكم في الاضعفين .. » .

وناضل في جهة اخرى ضد « التعصب الديني » .. حتى اتهم في دينه وحقته ، بكل مكان ، حجارة الرجم . وآلاف الالسن المتسائلة :

لم يعن هذا الشعب اني شاعر ... حر يحب بـــلاده متفان
بل كل ما يعنيه هل انا مسلم ... لله ام انا لم ازل نصراني ؟
من ينبىء الملأ الذين احبهم ... فيكافئون الحب بالعدوان
اني على دين العروبة واقف ... قلبي على سبحاتها ولساني
انجيلي الحب المقيم لاهلهـــا ... والذود عن حرماتها فرقاني
يا مسلمون ويا نصاري دينكم ... دين العروبة واحد لا اثنان !

ولم يمنعه ايمانـــه بالسيد المسيح من ان يقول في مولد الرسول العربي :

اكرم هذا العيد تكريم شاعر ... يتيم بآيـــات النبي المعظم
ولكنني اهفو الى عيد امة ... محررة الاعناق من رق اعجمي
الى علم من نسج عيسى واحمد ... وآمنة في ظله اخت مريم
لقد مزقت هذي المذاهب شملنا ... وقد تركتنا بين ناب ومنسم
هبوني عيداً يجعل العرب امة ... وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا ... واهلاً وسهلاً بعده بجهنم ! !

ولقد ناضل من ناحية ثالثة كي لا تحجب عنه النزعة الانسانية واجبه القومي . اغروه تارة بدخول هيكل الشعراء العالميين ، ونددوا عنده بنكسات القضية العربية تارة اخرى واثاروا فيه حبه العميق للانسان تارات .. اتراهم استطاعوا اقناعه بضلال الطريق القومي ؟ لقد قال لهم :

« هبوا ان في وسعي ان اصير شاعراً عالمياً فاني لست بآسف اني احببت بلادي اكثر من نفسي وحاولت ان افتدي مجدها بمجدي وخلودها بخلودي .. »

زعم الاغرار اني شـــاعر ... ضيق الافاق محدود الحدود
وستبلى وطنياتي الـــتي ... رفلت منها البوادي في برود
والتي يحسد هداب الضحى ... خيطها المنسول من حبل وريدي
ليت فيهم منصفاً يخـــبرهم ... انني شاعرهم رغم الجحود ! !

« .. اما والله لو كنت شاعراً افرنسياً او انكليزياً لحبست النفس على التبشير بالسلام اما وانا سوري ومن لبنان فاني لا مثل عندي اعلى من استنهاض امتي لمحاربة الامم ، وانه لبغض اسمى من الحب وانها لحرب اقدس من السلم ..

« هذه آيات انبيائنا واسفار حكمائنا تشهد بأن لنا من فيض العاطفة الاجتماعية وحرارة الروح الانسانية وسطوعها ما ليس لسائر الامم بعضه .. ولكن هذا الذى اردنا به السلام للعالم لم يعمل به احد سوانا ..

« هبوكم لا تؤمنون بغير الارض وطناً وغير الانسانية عشيرة ، افتعتقدون ان الارض صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون ؟ واذا كنتم ولا شك تشعرون بفقرها الى الاصلاح فلماذا لا تباشرون من اقرب اقطارها اليكم ؟ ان الذى يغضب لحق هضم في الصين اولى به ان يناضل لدفع حيف نزل ببلاده ..

« افأنتم اكلف بالسلام من مسيح السلام ؟ انتم اودع من حمل الجلجلة اما غضب فانهال بالسوط على الصيارفة وباعة الحمام .. غيرة على بيت ابيه ؟ فبربكم كونوا آلهة اشراراً ولو مرة واحدة وذودوا عن بيوت ابائكم واجدادكم ! »

•

وبعد فلو حشر العرب فجاؤوا بما قدمت ايديهم لمجد العروبة وجيء بالشاعر القروي فما احسبه يأتي بديوانه ، يومذاك ، ولكنه سيأتي بكتاب حياته ويقول : هاؤم اقرؤوا كتابيه . انه تاريخ حياة عربي !

شاكر مصطفى

---

١) الكلمة لحبيب ابراهيم كاتبه في مقدمة لديوان (الارواح الحائرة) لنسيب عريضة .

سافروا بواسطة

الخطوط الجوية السورية

المكتب : شارع سعد الله الجابري

النبيّ والشاعر والكون

شعر

الدكتور محمد الرفاعي

- النبي -

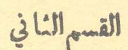
بعثت انير سبيل الوجود
وارشد قرمي للأفضـل
اظهرهم من ضلال الحياة
ومن نزوات الهوى الاقتل
ولو لاي كانت نفوس الانام
توغل في ليلها الاليل
تعيث الجهالات في صدرها
ذئاباً كواسر في مجهل
اشذب ماشذ من عودها
واورها صافي المنهل
وكم من شقي بماضي الزمان
وحاضره والغـد المقبل
فتحت له كوة في السماء
تغير دجى قلبه المقفل
يداي ... لقد كانتا بلسماً
لكل صريع المنى ، مبتلي
وعيناي .. من بهما يستضيء
راي بهما غاية المأمل
واعصر من روحي المعجزات
دواء لداء الورى المعضل
فهذا التوقد من موقدي
وذاك التوهج من مشعلي
انا صورة الله محلوة
بمحراب قدسي والهيكل
تذيب شموعي ظلام الوجود
وتأسو جراح الورى اغلي
وان عز في الارض ترياقها
ركبت سماواتها اعتلي
هنالك فوق طباق السديم
انا بين اهلي وفي منزلي

- الشاعر -

بعثت رسول الجمـال البديع
وصوتي من وحيه المـنزل
اغني بقيثارتي ما يجلجـل
في اذني كو ني الاشمـل
ولي بين طيات هذي القلوب ...
وتلك العوالم ما اجتـلي
امـد يدي الى بعضها
وبعض لها موطيء الارجـل
بكفي .. كأسان من سلسبيل
واخرى من الصاب والحنظل
سقيت كرام النفوس فراقي
وبالدم راحـتي لم يبخل
ومن اجل ارضي .. اذبت حياتي
لاهطل في حقلهـا المحمل
ولي وطن ملء سمع الزمان
بأنجمـه الزهر لم يأفل
وقفت على حبـه كل قلبي
فقلبي دون هواه ، خلي
به ذكريات الشباب الطروب
ونجوي هوى حـبى الاول
سل الجدول الثر عن اغنياتي
يحدثـك عني فم الجدول
وسل نسمات الصباح الوضيء
عن الطل والعطر والبلبـل
وسائل ذرى الشم .عند الصقور
عن الشمم الاروع الامثل
مزجت بروحي ارواحها
وابقيت جسمي في معزل
فصرت لهن ومن بعضهن
وقد صرن بعضي واصبحن لي ..

البقية على صفحة (٣١)

منهج ليفين في دراسة الجماعات

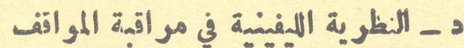


القسم الثاني

ترجمة الاستاذ



ناظم طحان



د ـ النظرية الليفينية في مراقبة المواقف

١ ـ لمحة اجمالية

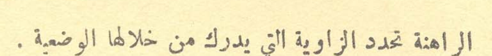
نجد لدى ليفين اعتبارات نظرية كرسها بشكل دقيق لمراقبة المواقف الجماعية . ويتصور ليفين المسألة وفقاً لنظرياته الاساسية : فالأمر يعني بالنسبة اليه الحصول على تعديل مرغوب وممكن يطرأ على سلوك رهط مامن الافراد خلال تعديل ينتاب المجال الدينامي الذي يوجد فيه هذا الرهط ، وفكرة هذا التغير المستلزمة عن طريق فكرة المراقبة كانت هدف تأملات ليفين . فقد الح على ان التغير والثبات هي لفظان نسبيان احدهما بالنسبة للآخر ، وان الاجدر ، بالتالي ، اعتبارهما معاً . « فالحياة الاجتماعية ليست ثابتة ابداً ، وهناك ببساطة ، فروق في كمية التغيرات الجارية فيها وفي جنسها . ولدى انعام النظر في مفهوم الثبات الاجتماعي فقد وجد اننا غالبا ماتخلط بينه وبين مفهوم « مقاومة التغير » فاذا لم يتم أي تغير يذكر في وضعية رهط ما ، واذا ظل سلوكه دون تغير يذكر ايضاً (مثال ذلك فرقة (س) من الرجال وضعت عدة أيام متوالية في شروط واحدة فقامت بانتاج كمية (ع) من العمل) فاننا نستطيع الاكتفاء بالكلام عن الثبات . ولكن اذا عدلت التغيرات الوضعية ولم يتعدل سلوك الرهط فيجب حينئذ ادخال مفهوم « مقاومة التغير » لتعليل مايجري . (مثال ذلك اذا وضع الرهط (س) المذكور آنفاً في شروط جديدة فنقص عدد أعضائه او زادوا وبقي ينتج نفس الكمية (ع) من العمل فيجب ان تكون هناك قوة (ف) ناجمة عن الميل الى مقاومة التغير قد تدخلت بالضرورة .

ونرى من المفيد مناقشة التميز بين التغير الاجتماعي وبين الميل الى التغير بالرغم من ان ليفين لم ير ضرورة لتحديد ذلك فـــاذا تعدلت خواص رهط ما (أوكل دينامي) مثال ذلك وضعية اجتماعية او مجال اجتماعي) وظلت شروط الرهط هي هي فمن الجدير بنا ان ندخل مفهوم الميل الى التغير للدلالة على القوة التي تدخلت في ذلك حتماً . يقول ليفين :

« لما كان التأثير منقاداً بالادراك ، فان تغير السلوك يفترض ادراك حوادث جديدة وقيم جديدة اي ان تغير الموقف عبارة عن مظهر من تعديل يطرأ على المجال الاجتماعي ، ولما كان المجال عبارة عن كل مؤلف من ماهيات اجتماعية تتحد عن طريق علاقات تبعية متبادلة قائمة فيما بينها ، فان الفرد الذي يدركها يشكل احد هذه الماهيات .

ويكون شكل موقف ما في أعماق الشعور الفردي مماثلاً للادراك الذي يملكه هذا الشعور عن شكل الوضعية بالنسبة للموقف المذكور المتخذ ازاءه ، مادام من المعلوم ان شخصية الفرد (اي قيمه ، وقيمه الاتحادية Valences ومنزلته الاجتماعية، الخ . . في تركيبها الوحيد) وحالته الذهنية الراهنة تحدد الزاوية التي يدرك من خلالها الوضعية .

« ومتابعة شعوره مماثلة لمتابعة ادراكه الذي تملكه المطالب الضمنية في الوضعية » واذن لايكفي من اجل الحصول على تغيير في الموقف الحصول على تغيير في الوضعية الموضوعية او المشاعر الذاتية . بل ينبغي تعديل القوى المقومة للمجال الاجتماعي الذي يوجد فيه الموقف او بعبارة اخرى ينبغي تعديل الدينامية الوضعيوية اي العلاقات الديالكتيكية التي تجمع بين الوضعية الى بني الوجدانات المستلزمة في الوضعية الى الحوادث الناجمة عن الوضعية .



٢ ـ ليفين ومسألة التغير الدائم للمواقف الجماعية .

يعني لنا ليفين بما يدعى « أعراف Coutumes » واحوال الوجود Manières d'être » الخ وبكلمة واحدة المواقف الجماعية مظهراً ذاتياً لسلسلة أفاعيل تنزع الى توزيع عمل جماعة ما على سوية ما وحسب خطة ما توزيعاً مركزياً . وتنجم بني الساحة الاجتماعية هذه من تركيب عدد لايحصى من التفاعلات الاجتماعية التي تؤلف الحضارة .

وكل عنصر اخذ لوحده داخل هذا المجال هو مكان لتوارد قوى من اتجاه وقدرة يحددها الكل الدينامي الذي تشكل هذه القوى جزءاً منه .

وللحصول على تغيرات دائمة في قطاع مامن هذا الكل الدينامي ، ينبغي تعديله كله . واذا تم الامر على خلاف ذلك فان القـــوى المتفاعلة داخل الحضارة المقصودة تعيد من جديد آجلا ام عاجلا اقامة سلاسل افاعيل التأثير على مستوى توازنها وحسب المخطط الناجم عن تركيب ميولها . وهذا المبدأ يطابق مطابقة صارمة الموضوعة الاساسية للنظريات الليفينية التي تقول : ان جوهر ماهية اجتماعية ماهو التبعية المتبادلة بين اجزائها ، وكل تغير يطرأ على الاجزاء يحول بنية منظومة التفاعلات المشكلة لكل وديناميتها ، والتغير الذي يطـــرأ على الكل يحول كل جزء (أي بنيته وديناميته بوصفهما متمفصلان بوضعيته التوبولوجية (المجالية) .

ويدعى الشكل العـــام للكل في بعض استدلالات ليفين بـ « الجو الاجتماعي » والظاهر ان هذا الجو يتحدد عن طريق نوع السلطة التي تمارس في الماهية الاجتماعية المدروسة مثـــال ذلك المعمل ، والامة ، والزوجان ، والوضعية الخ ..)

وتتحدد الانواع المجسدة المختلفة للسلطة بعد كل تحليل ، بالنسبة لخطين هما : الخط الديمقراطي والخط الاستبدادي . وتبعاً لهذين الخطين قام ليفين بتحليل امكانيات تحول المانيا النازية المغلوبة ، وتبعاً لهذين الخطين ايضاً جرت تجارب ليفين وLippitt وذات الاهمية القصوى حول رهوط الاطفال الصغيرة التي وضعت بشكل صنعي في جواء مختلفة وسجل في الوقت ذاته سلوكها

بعناية فائقة .

وفي بعض الاحوال تكون الثورة ضرورية لاجراء توزيع للسلطة داخل جماعة مـا ، وبالتالي ، تقوية تحول تم في الجو الاجتماعي لهذه الجماعة وسلوكها .

ويمكن ان تتم الثورة بسبل جديدة يقع على عاتق العلوم الاجتماعية التنقيب عنها قبل ان تنخرط فيها الجماعات المدروسة . (١) وقد آن لهذه العلوم ان تنتقل من مرحلة وصف المجتمعات الى مرحلة التصدي لمسائل ديناميكية تتصل بتحويل حياة المجتمعات ! وسوف نرى فيما بعد ما هي الوسائل الفنية التي تصورها ليفين للحصول على تعديلات دائمة في المواقف الجماعية .

٣ – نظرية التوازنات شبه المستقرة او (القلقة) ومراقبة المواقف الجماعية .

ان مفهوم التوازن القلق (او شبه المستقر) يقع في مركز نظريات ليفين حول التعديلات المقصودة التي نجريها محصلة بمجموعة التفاعلات الجارية بين القوى الموجودة في كل ديناميكي .

وعندما نتكلم عن التمييز العنصري فاننا لا نبحث بداهة في موضوع ساكن، بل في سلسلة افاعيل اي في تفاعلات تتدخل بين رهطين، في عدد منتظم من المواقف (الثابتة) . كذلك عندما نتكلم عن انتاجية فرقة من العمال فاننا نبحث في سيل من المنتجات ، وهذا السيل (من المنتجات والاعمال ، الخ ...) ينمو كما ينمو الجريان ، حسب عمليات التوزيع المركزي التي تكسبه سرعة معينة ومنسوباً محدداً .

والتوازن القلق اي اسلوب وجود ماهية ما (كأسلوب وجود فرد أورهط الخ .. ازاء شيء ما) يبدو لليفين نتيجة لتوازن القوى الموجودة داخل كل ديناميكي ويقوم التنظيم المقصود للمواقف الجماعية بوصفه أمراً تمكنه مشاكلته مع سلاسل افاعيل للتأثير شبه المستقرة الليفينية ، على اثارة عملية أبدال مجال قوى تقابل مستوى (ل١) من التوازن بمجال قوى آخر يكون توازنه من المستوى المرغوب (ل٢)

وعلى العموم فان سلسلة الافاعيل شبه المستقرة للتأثير تتسم بقيمة وعلى هذا النحو ترتبط بأخلاق الرهط. وبالاضافة الى ذلك فانها تخلق بوجودها عادات واوضاع تتخذ قيمة ايضاً . والقيم والاوضاع او مجرد الميول تشكل عوامل ترتبط بين سلاسل الأفاعيل شبه المستقرة وتكسبها قدرة على مقاومة التغير .

وبذلك يفترض التغير المستمر للمواقف الامرين التاليين :

آ – حل تبلر المركب القلق (ل١)

ب – الانتقال من (ل١) الى (ل٢)

حـ – تبلر المركب (ل٢)

وتعني عملية (حل التبلر) « تفكك سلسلة من افاعيل التأثير عن القيم التي ترتبط بها أما عملية التبلر فتعني اسباغ قيمة على سلسلة افاعيل جديدة .

ويحتل مفهوم سلسلة أفاعيل التأثير شبه المستقرة في منهج ليفين في التحليل وفي طراز التأثير التي تشتق منه مكانه هامة جداً وستتاح لنا فرصة ملاحظة ذلك في الصفحات التالية .

★ ★ ★

هـ – لمحة عن منهج ليفين النفسي الاجتماعي

(١) – البناء الرياضي للمنهج الليفيني .

لنر الآن بعض السمات الاساسية للمنهج النفسي الاجتماعي الذي وضعه ليفين

فعلى اي نحو يبدأ في التنقيب الاجتماعي ؟ ان الابحاث الهامة التي وضعها ليفين هي من وحي رياضي. وقد ظهر مقاله الهام في مجلة « العلاقات الانسانية Human Relations بعد وفاته مباشرة ، ونستطيع اعتبارها وصيته العلمية وهي مقدمة واضحة لعلم اجتماع رياضي ،

لقد كان لدى ليفين القناعة التامة بأن الأدوات الرياضية قادرة على قياس القوى الاجتماعية . والجمع بين المنهج التجريبي والمنهج الرياضي قد ادى الى تقدم الفيزياء تقدماً محسوساً ، وحول علاقات الانسان مع الكون تحويلا كاملا . وينبغي ان يؤدي الجمع بين المنهجين على صعيد العلوم الانسانية الى نتائج مشابهة .

تسمح نظريات ليفين بتمثيل المظاهر الاساسية للواقع الاجتماعي تمثيلا هندسياً كقوى تتجمع في ساحة خاصة ، وان نرمز لها باشارات رياضية عن طريقها نستطيع ان نجري عمليات جبرية .

ومن جهة اخرى ، فان الفرضيات التي ينبغي على التجريب الاجتماعي (الرهوط التجريبية من النوع الذي يستخدمه ليفين او Lippitt فعلا) يمكن ان تكون نتيجة لعمليات رياضية نقوم بها بصورة قبلية وتجعل ترجمة الحقائق النفسية الاجتماعية الى لغة الفيزياء ممكناً وصحيحاً بآن واحد .

يرتكز منهج ليفين بصورة رئيسية على استخدام طريقة يدعوها Phase space تطبق في بعض مظاهر سلاسل الأفاعيل الاجتماعية .

وما يحدث داخل مجال اجتماعي يتعلق بتوزيع القوى التي تتجلى فيه اي بالعلاقات الديناميكية التي تربط بين مختلف اجزائه كالرهوط ، والرهوط الفرعية، والافراد ، والاوضاع، والحوادث الفيزيائية أو التاريخية. ويكون تحليل المجال ، من حيث المبدأ ، امرا لابد منه كأساس لوصف علمي دقيق للحوادث الجارية فيه . وتتمثل الطريقة المسماة Phase space عملياً كوسيلة فنية اسرع يتيح لنا دراسة حادث ما في المجال يعتبر تابعاً لعدد من العوامل الرئيسية ، دراسة تخطيطية عن طريق المصورات البيانية Diag ramms او المعادلات

وهنا نعرض مثالاً كخلاصة لهذا البحث يبين لنا كيف يستخدم ليفين هذه الطريقة في دراسة مسألة مراقبة المواقف الجماعية ، او بعبارة اخرى، خلق تغير مستمر مشترك في اسلوب وجود جماعة ما .

ولنقل ان الامر يدور على دراسة مسألة التمييز الموجود لدى رهط ما ازاء أقلية ، او المسألة التي يكونها هذا الرهط لرهط آخر .

نستطيع ان نمثل ذبذبات مواقف من هذا النوع بمنحنى تشير سيناته الى درجة شدة الموقف ، وعيناته الى مدتها . ونستنتج شدة الموقف عن طريق عدد من الدلائل ، كالمقابلات ، وعمليات السبر السكونية ، الخ .. والموقف عبارة عن سلسلة أفاعيل قلقه ، اي عملية توزيع مركزي وعملية لسيل من افعال ماهية ما ، عملية توزيع مركزي يحدد مستواها وشكلها ، كما رأينا ، عن طريق التوازن القائم بين القوى الموجودة في المجال الاجتماعي.

ونستطيع الكشف عن بعض من هذه القوى (كالمثل الاعلى ، والاساطير ، وحالات التوتر ، الخ ..) وان نطلق عليها رمزاً رياضياً . لنفرض اننا امام موقف جماعي يقابل حالة (ل١) من توازن قلق للقوى الموجودة في المجال الاجتماعي ، ونود الحصول على تغيير هذا الموقف . وهذا يعني وجوب تغيير حالة التوازن القلقة كان تصبح الحالة (ل٢) مثلاً . لاشك ان هناك قوى تيسر هذه العملية وقوى اخرى تعارضها . ومن الممكن تمثيلها بيانياً او جبرياً ، وعلى هذا النحو نصل الى خطوط بيانية ، والى معادلات لاشك في انها وضعت ليفين في طريق التقريرات الحاسمة ، والتي لاشك في انها قادرة على ان تكون مفيدة جداً للاذهان

---

(١) انظر بوجه خص افكار ليفين عن الثورة التي تمنى قيامها في المانيا بعد سقوط هتلر ،

التي ترتاح للمعادلات الرياضية اكثر مما ترتاح للمحاكاة المنطقية ، والتي لا تقل عن غيرها بالبداهة ، ارتجالاً وغالباً ما تكون مربكة اكثر مما تكون مجدية.

والخلاصة ان مبدأ عمليات من هـذا النوع يقوم على انتقاء بعض العوامل الكمية لحادث ما ثم تمثيلها بيانياً او جبرياً ، بغية دراسة اختلافاتها الملازمة لها .

وقلما يستعمل ليفين الطرائق الرياضية على نحو دائم وعندما يفعل ذلك ، ويوفق في ذلك ايما توفيق ، فذلك يكون لاختصار عناصر محاكمة او تجربة في معادلة او في مخطط بسيط جداً .

ولا يقف نصيب الفكر الرياضي لدى ليفين عند هذا الحد . فالخطوط البيانية ، والمعادلات لا تشغل ، بعد التدقيق ، الا مكاناً محدوداً جداً في أبحاثه . ومع ذلك فان هذ النصيب اذا نظر اليه جملة فانه يشكل مبادرة مستمرة لاعطاء نظرة مكانيـة ودينامية للظواهر النفسية الاجتماعية . ولهذا فان المفاهيم التي اتحلها ليفين في علم الاجتماع هي من أصل هندسي رياضي . وما أن يؤقلمها ، ويحصل عن طريقها على نتائج حتى يقول « انه وضع الرياضيات في خدمة العلوم الاجتماعية » . ويبدو لنا ان ترجمة المحاكمات والتجارب الى لغة جبرية عن طريق هذه المفاهيم أمراً اقرب الى الترف او ان تدخله لا يأتي الا فيا بعد ، وليس ذلك شيئاً حتماً .

(٢) - تجريب

نحن لا نرى ، في اغلب الاحيان ، في المنهج الليفيني الا مظاهره الرياضية، والواقع ان هذه المظاهر لا تميزه بقدر ما يميزه اسلوبه التجريبي . يقول ليفين : « اني قانع بأننا نستطيع ان نجري في علم الاجتماع تجارب نصفها ، بصورة مشروعة ، بأنها علمية تماثل في ذلك التجارب التي تتم في الفيزياء والكيمياء .

ومنهج ليفين تجريبي لسببين هما :

١ - لانه يبذل جهداً في سبيل جعل التجريب ممكن التطبيق في علم الاجتماع على رهوط شاهدة (وهنا نجد انفسنا على صعيد الميكروسولوجيا) .

ب - لانه ينزع الى شكل جديد من التجريب اطلق عليه اسم « البحث الفعال Action Research » الذي يقوم على تطبيق المنهج التجريبي على مسائل واقعية (وهنا نجد انفسنا على صعيد علم الاجتماع) .

ان فكرة Praxis ، وهي فكرة التحويل الواعي للانسان عن طريق الانسان ؛ هي اساس منهج ليفين .

فهو يرى ، في الواقع ، ان جوهر الصفة الاجتماعية انما هي علاقة التبعية المتبادلة التي تربط مختلف اجزاء الكل الانساني . ويوجد الواقع الاجتماعي بوصفه منظومات تتألف من عناصر بينها علاقة تبعية متبادلة وتتمتع بخواص معينة. وبالتجريب على هذه المجتمعات، وبدفعها الى التنوع ، وبتعديلها وبنائها لتمكن من اكتشاف حقيقة الشيء الذي يظهر لنا وجوده .

وليس التجريب الميكروسيولوجي في نظر ليفين الا شكلاً مختصراً ، ومناسباً في بعض الحـالات من الطريقة المسماة بالبحث الفعـال Action Research

فالتجريد على رهوط ما أو تنظيمها هو امر واحد بالجملة . يقوم منهج ليفين على التأثير في الحقائق الاجتماعية وذلك لتحويلها ، وعلى اعتبار كل طور من هذا التأثير في الوقت ذاته كتجربة جارية .

ومن هنا نستخلص عدة تعليمات تمتاز بكونها : آ - مفيده للعلم بوجه عام ب - ومن شأنها ان تحسن طرق التأثير الذي سيأتي بعد ذلك . ويقوم التجريب عند ليفين اما على تغيير خواص رهط تجريبي ما واما على ملاحظة الاختلافات الطارئة على خواص كل في طريق التحول ملاحظة تجريبية (كوضعيه ، او وضع ، او امر ، او موقف) وليس بين هذين النمطين من التجريب من حدود حاسمة : فالنمط الاول ممكن في بعض الحالات التي تكون فيها ابعـاد الحادث محـدودة . وعندما يكون الحـادث واسعاً ، واقل تركزاً نميل تحت وطأة الامر الواقع الى استخدام النمط الثاني .

وان التجارب التي تجري في الحياة الواقعية لا تختلف اختلافاً اساسياً عن تجارب المختبر . ولا نجد لدى ليفين نظريات مماثلة لنظريات مورينو Moreno حول « الذرة الاجتماعية » اذ ليست الرهوط الصغرى ، في نظر ليفين ، نماذج مختصرة من رهوط اوسع ، بل هي رهوط لها خواصها . والحقائق الاجتماعية الأوسع خواص اخرى مختلفة. لهذا ينبغي ان لا يقتصر التجريب الاجتماعي على اجزاء مصغرة من الواقع الاجتماعي ، بل يجدر بنا ان نطبقه على المسائل ذات ابعاد كبيرة كما نطبقه على غيرها . والفائدة الرئيسية للتجريب ، في نظر ليفين، هي انه يتيح لنا ان نقدر عملياً « جدوى مختلف طرائق التحول الاجتماعي » هو أمر لابد منه للنفاذ الى الحقيقة الموضوعية لما هو اجتماعي، وهو عميق الى حد لا تستطيع مناهج البحث العادية الأخرى الوصول اليه بما في ذلك عمليات (سبر الرأي العام) ، والدراسات النظرية وهكذا نرى ان الطرائق التي يستخدمها ليفين متنوعه ، كالمحاكمة المنطقية او الرياضية، والملاحظة الكلاسيكية ، والاستقصاءات ، والتجريب الخ..

ويستخدم هذه الطرائق لتحديد التلازمات القائمة بين العالم الموضوعي (بما في ذلك الحقائق الاجتماعية مع ديناميتها البنيوية والوضعيات) وبين السلوك البشري .

●

(٣) - منهج المراحل الثلاث : الذاتية - الموضوعية الادراك والوضعيات .

ان ليفين لحرصه على عدم الوقوع في الاخطاء التي وقعت فيها المدارس النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تهمل اهمية الادراك كعامل في السلوك ، فقد خصه بمكانة رئيسية . فالادراك ، في نظره ، يرادف الشخصية ، والذاتية ، والنوعية ، والموقف . ويقوم منهج المراحل الثلاث الذي يصفه وصفاً دقيقاً في كتابه « حدود في ديناميته الرهط Freutiers in Group Dynamics » على الامور التالية :

آ - البدء بتحليل الادراك، الادراك الذي يملكه الافراد ، والرهوط الفرعية ، والرهوط في اللحظة (ت) عن الوضعية (س) التي يجدون انفسهم مستلزمين فيها (ولنقبل ان الامر يدور على امتي ا ، ب)

ب - اشتقاق الوضعية (س) من هذا التحليل في المستقبل (تَ) حين تتطور الامتان ا ، ب تبعاً لدينامية الوضعية (سَ) .

حـ - ايضاح الادراك الذي يحتمل ان تكونه الامتان (آ ، ب) عن الوضعية (سَ) ، ومن ذلك استنتاج النزعة الى الوضعية الموضوعية (سً) وهكذا ..

ويمكن تحديد الموقف الذاتي لعناصر وضعية ما ، والدينامية الموضوعية او الوضعوية التي تساهم هـذه المواقف في خلقها ، عن طريق الطرائق الليفينية التي عرضناها . ويتيح لنا منهج المراحل الثلاث ان نحدد تحديداً جيداً مراحل التأثير الذي نسعى للقيام به بالاستعانة بهذه الطرائق . والهدف العام لهذا المنهج هو اظهار الحقيقة الموضوعية للوضعيات ، بغية ضبطها الضبط الممكن . ولهذا يجدر بنا ان نوضح العلاقات الديالكتيكية القائمة بين ذاتية

الادراكات (او المواقف تقريباً) وبين موضوعية فعل الافراد والرهط. فمن خلال ماهو ذاتي (كنتاج للمواقف التي تبناها المعنى بالامر ازاء مسلمة من مسلمات الوضعية ينجم ماهو موضوعي . والموضوعي الموجد على هذا النحو يكون منبعاً لمواقف ذاتية جديدة من خلالها تتحول دينامية الوضعية الى صيرورة ، كتيار كهربائي يمر من ناقل ، اي معانياً عدداً من الحوادث الناجمة عن ملاقاته لتيـار من طبيعة وشدة مقدارها (س) يمر في ناقل معدني من البنية (ز) .

ويعكس منهج « المراحل الثلاث » احدى الخواص الاساسية لحياة الرهط . فكل فعل جماعي ، أو فردي ، وحتى فعل المجانين ، منظم عن طريق سلسلة أفاعيل دورانية من النمط التالي : يرتبط الادراك الفردي او الوعي « Fact - finding » بعمل فردي او جماعي على نحو يكون مضمون الادراك معه او الوعي متعلقاً بالطريقة التي تم فيها تعديل الوضعية . وبالمقابل تؤثر نتيجة الادراك او الوعي في الفعل .

(٤) ـ البحث الفعال Action - Research
طرز التأثير الليفينية

سعى ليفين ، كما رأينـا ، الى ان يجمع بين التأثير ، والتحويل ، والتجريب والاكتشاف في عملية واحدة من نمط جديد . واطلق على هذا الضرب من العملية الذي انتهى اليـه كل بحثه اسم « البحث الفعـال » والبحث الفعال من النمط الليفيني عبارة عن منهج يهدف الى احداث تحولات اجتماعية منمياً في ذات الوقت المعارف العلمية عن الواقع الاجتماعي ، والفعل المحول وقد اعتبر تجربة فقد اصبح موضوعاً لدراسة واعية .

واحسن طريقة لوصف البحث الفعال (في الميدان الاجتماعي) هو وصفه كنمط من البحث في ظروف طرز التأثير الاجتماعي المختلفة ،وكنمط من البحث يؤدي الى التأثير الاجتماعي بآن واحد .

والمهمة الاولى للبحث الفعال هو المساهمة في تحديد الهدف الذي تفترض بلوغه جماعة باشرت في تحويل خاصة من خواص وجودها مثال ذلك احد مواقفها الجماعية .

وهذا يعني ان ننتقل من الفكرة المبهمة ، ومن الحلم القلق الذي ينبجس منه مشروع التحول الى هدف محدد ولنفرض انه (ﻫ) والطور الثاني : هو تحديد السبيل الذي نتبعه (س) والوسائل التي نستخدمها (و) لبلوغ الهدف الثابت .

والطور الثالث : هو تفصيل منهاج العمل الذي من شأنه ان يوصلنا الى الهدف (ﻫ) عن طريق السبيل (س) باستخدام الوسائل (و).

وبذلك نملك خطة للفعل المحول الذي نحن بصدده ، ولوضعه لابد ، بداية ، من البدء بالكشف عن جميع عناصر الوضعية التي يجب تغييرها .

وفائدة هذا الكشف هو تنظيم المجال الذي يقع فيه التأثير المقرر في بنية ، اي تعيين نقاط استناد نستطيع بالاعتماد عليها ان نحكم على تطور التأثير ومعرفة ما اذا كان يسير في الاتجاه المأمول ، وتنظيم المجال في بنية شرط كل تقدم لانه في المجـال الذي ينقصه المعيار الموضوعي لايحدث اي تقدم عقلي اي (تعلم) ، واذا لم يكن بوسعنا ان نحكم ما اذا كان التأثير قد قادنا الى الامام ام الى الوراء ، واذا لم يكن هناك اية نقطة استناد لتقدير العلاقات بين الجهد المبذول والنتيجة الحاصلة ، فانه لاشيء يستطيع ان يمنعنا من استنتاج نتائج خاطئة ، من تبني أساليب سيئة في التأثير .

فاذا نظمت الوضعية في بنية ، ووضع المخطط ، فقد بقي تنفيذ التأثير بشكل مجد واستخدامه كتجربة نفسية اجتماعية في ذات الوقت.

ولهذا نحدد هدفاً اولاً قريبا جداً يؤدي بنـا في طريقنا الى الهدف النهائي .

وحينما يتم هـذا الجزء من الفعل ، ندرس في اي الظروف يحصل وماهي نتائجه الفعلية . ومادام المخطط العام مرناً فاننا نعدله على قدر المراحل الوسيطة ، وكذلك نحسن الوسائل المتخذة . وعلى ذلك يظل الهدف (ﻫ) والسبيل (س) والوسائل (و) موضع تصحيح دائم يتم عـلى ضوء نتائج المراحل الجزئية التي تعتبر بمثابة نتائج للتجارب العلمية والعملية بآن واحد .

وقد درس ليفين عن كثب ، وغالباً ما اختبر بعض طرز التأثير التي من شأنها ان تلزم العلوم الاجتماعية ببناء الديمقراطية وتحسينها ، والصفات المميزة لطرز التأثير الليفينية على مايبدو هي التالية :

آ ـ التأثير في النقاط الستراتيجية من سلاسل أفاعيل التأثير الجماعية .

ب ـ اظهار دور العزم الجماعي كوسيلة لتبلر التعديل الناجم .

حـ ـ الاستفادة من وسيلة « المخبر الاجتماعي » الفنية استفادة نسقية .

آ ـ التأثير في النقاط الستراتيجية من سلاسل أفاعيل التأثير الجماعي

لقد أتاحت النظرية المكانية الدينامية الليفينية كما رأينا ان يتمثل المواقف الجماعية كسلاسل أفاعيل فلقة نستطيع مقارنتها مع عمليات التوزيع المركزي.

وقد قام ، في هذا الميدان ، بوضع ملاحظات هامة بصدد تجارب أعدها لتعديل « الاعراف الغذائية » لدى جماعة من السكان .

فهل ينبغي ان نصدر اعلانات او ان نقوم بأحاديث في الاذاعة ، او نقوم بحملات صحفية ?. وفي أية طبقة من السكان ينبغي التـأثير ? هل هم أرباب تجارة المواد الغذائية ام هن ربات البيوت ? ام الاحرى بنا ان نتجه الى أطفال المدارس ام الى من هم اصغر من هؤلاء ?.

للاجابة عن هذه الاسئلة لم يحتج ليفين الى البدء بعمليات سبر للرأي العام ، معقدة وغير موثوقة النتائج . بل تصور عمليات التوزيع المركزي الاجتماعية التي عن طريقها تبلغ مختلف الاطعمة مائدة عائـلات المجموعة المدروسة . ويعني تعديل عادات الطعام لدى مجموعة ما تغيير طبيعة الاطعمة التي تدور في عمليات التوزيع المركزي ذاهبة من الانتاج الى الاستهلاك مارة ببائعي الجملة ، والناقلين ، والاسواق الخ ... فاهي القوى التي تقود كذا نوعاً من الطعام لاغيره في هذه الدارة . ان طلب المشتري يأتي في الدرجة الاولى فأي شيء يحدده ? هل عن طريق الحل الذي تقدمه ربة البيت للصراع الذي ينبجس لدى شـراء كل حاجة بين الرغبة في الحصول على أطعمة ذات قيمة كبيرة والرغبة في صرف اقل مبلغ ممكن من المال ? ان القرار الواجب اتخاذه يشكل حاجزاً يقع في النقطة الحاسمة من الدارة . ولما كان فتح الحاجز امام كذا منتج ، او اغلاقه طوال عملية التوزيع المركزي أمراً يهم الجماعة بكاملها فان ذلك يثير حركة .

ونجد سلسلة الافاعيل هذه عندما نلاحظ جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، فمن يقرر ان من المناسب ان نقبل في الجماعة او نبعد عنها هذه الطائفة من الافراد أو المواقف ..?.

ان موقف « حراس » الحاجز تابـع لايديولوجية الرهط الضيق الذي ينتمون اليه ولمصالحهم . وهذه الايديولوجيا والمصالح على صلة ما بمجموع الحضارة المحيطة بهم .

وعلى ذلك من الضروري : آ ـ تحديد النقاط الستراتيجية لسلسلة أفاعيل التوزيع المركزي للتأثير الجماعي بغية امكان تركيز التأثير فيهم .

ب ـ تحديد عوامـل مواقف الرهوط الفرعية التي تحرس هذه النقاط الستراتيجية .

ب ـ العزم الجماعي كوسيلة لتبلر التعديل

لاحظ ليفين تجريباً ان أحسن وسيلة لتبلر تعديل موقف جماعي أي جمله دائماً هو تكريسه عن طريق عــزم جماعي . وقد رأينا ان العملية الاولى لنقل سلسلة أفاعيل التأثير الجماعي هي تعــديل العلاقات القائمة بين القوى التي تحددها ، والمؤتمرات والمناقشات ، وهي أفضل وسيلة لوعي الوضعية من قبــل الافراد وعياً موضوعياً ، تخلق الدوافع للتحويل لا التحويل ذاته . وحتى التجارب الشخصية الــتي تؤدي الى نتائج حاسمة لاتحدث التحويل . وادراك الوضعيات تابع للاوامر الاجتماعية وهذا الادراك هــو الذي يحدد الفعل . ولكي يكون التغير دائماً ينبغي ان يكون تغيراً للاوامر وتكريساً لقيم جديدة ، وبعبارة أخرى ، ان يكون انتقالاً لزمرة من القيــم داخل منظومة حضارة الجماعة المعنية بالأمر كلها .

وعندما نستطيع اثارة عزم جماعي (كتصويت ، أو تصديق ، أو مقالات صحفية الخ ..) يكرس تحولاً ما فاننا نرى قيام علاقة ديناميكية بين ضروب التحريض الشخصية لدى أعضاء الجماعة وبين فعلهم بوصفه عدداً بين رهطهم وديناميته وبذلك يتم التبلر ، فتقوم سلسلة أفاعيل جديدة للتأثير الجماعي على طول خط التوازن القلق للقوى التي تؤثر فيه وتصدر عن إعمال قيم الرهط فينزع سلوك جديد الى التماسك والثبات .

ح — الاستفادة من وسيلة «المخبر الاجتماعي» الفنية استفادة نسقية

لقد ساهم ليفين اكثر من أي عــالم آخر في ان يجعل من « المخبر الاجتماعي » أداة جديدة لعلم النفس الاجتماعي وفي ذات الوقت طرازاً للتأثير ناجعاً نجعاً كبيراً .

ويتشكل « المخبر الاجتماعي » من اجتماع فرقة واحدة من الباحثين الذين يرغبون في ادخال بعض التعديلات في مواقف الجماعة التي تحيط بهم على أساس من الدراسة المفصــلة للوضعية التي يقصد التأثير فيها ، وعن طريق منهاج للتأثير ثم تصوره بصورة عقلانية .

ولا يقتصر « المخبر الاجتماعي » اذن على دورة قصيرة من البحث يناقش خلالها المشتركون بها جملة من المشروعات المعروضة . فهذه الدورة تشكل ، على العموم ، المرحلة الحاسمة لهذه المنظمة المسماة «بالمخبر الاجتماعي» ويتضمن المخبر مع ذلك مرحلة من الابحاث التمهيدية حول الصفات المميزة الحقيقية للوضعية ويشمل ايضاً منهاجاً للتأثير يمتد من حيث المبدأ الى ان يتم بلوغ الاهداف المحددة . وأثناء تنفيذ هذا المنهاج يكون اعضاء المخبر في أماكنهم الطبيعية في الجماعة ، ويظلون على صلة بالقادة المكلفين بتنسيق العمل المشترك فقط .

وفي المخبر الاجتماعي لاينفصل التأثير عن البحث . ويعد كل طور من اطوار التأثير عن طريق البحث ويستثمر كتجربة . ومن جهة اخرى فان خبرة علم النفس الاجتماعي كلها تدعم هذا التأثير . فالتأثير موجه دوماً عن طريق متخصصين يلاحظون تطوره بوصفهم رجال عيادة Cliniciens . ونجمع تحت عنوان « المخبر الاجتماعي » وسيلتين فنيتين للبحث الفعال من نمط ليفيني نموذجي هما : — الحلقة الدراسية Seminar

— التحليل الذاتي الجماعي

وقد كتب Lippitt في كتاب كرسه للوسيلة الفنية المسماة « بالحلقة الدراسية » ، والتحليل الذاتي الجماعي او التنظيمي ، ومركز التدريب « او مختبر سلاسل أفاعيل العلاقات الانسانية ومبادئها أنه يؤمل من هذين المنهجين على مايبدو خيراً كثيراً .

والحلقة الدراسية . في رأي ليفين ، احسن اداة نستخدمها في تحسين الوسائل الفنية المستعملة للتأثير في ميدان العلاقات بين الرهوط .

وقد اظهر ليفين المبادىء الاساسية للمخبر الاجتماعي سواء كان على شكل « حلقة دراسية . او على شكل » تحليل ذاتي جماعي « بوصفه مديراً » لمركز البحث في دينامية الرهوط في جامعة متشيغان وكموجه للجنة العلاقات الجماعيه المتبادلة في المجلس اليهودي الامريكي .

وقد انضج التحليل الذاتي الجماعي ، في البدء ، من قبل متخصصين بالعلوم الاجتماعية في جامعة Fisk University وبناء على مبادرة « لجنة « لجنة العلاقات الجماعية المتبادلة Commission on Commuinty Interrelations » فقد جرت بصوره نسقية. وقد خصص عدد خاص في مجلة Journal of Social Issués لعرض المحاولات الجارية ضمن هذه الشروط والحلقة الدراسية التي يضعها لنا Lippitt هي من النمط الشائع، فبعد القيام بالابحاث والدراسات التي يقوم بها كل من جماعة المتخصصين الذين يساهمون في تنظيم الحلقة وجماعة المشتركين بالمعنى الصحيح يجتمع هؤلاء (خلال اسبوعين) ، في حالة الحلقة الدراسية التي درسها Lippitt وخلال ستة اسابيع في حالة الحلقات الدراسية التي تنظمها اليونسكو ، يعرضون بصورة مشتركة خبرتهم في المسألة المعالجة ، ونتيجة ابحاثهم التمهيدية ، بغية الوصول الى تشخيص للوضعية التي اخذت الحلقة على عاتقها مهمة تحسينها . وحينئذ يوضع منهاج اجمالي للعمل وفي هذا الاطار العام يضطلع كل مشترك بعدد من المهمات التي يؤديها عندما يعود الى منطقته ويظل في ذات الوقت على صلة بمركز تنسيق الحلقة . وكما يبين المثال الذي سنصنعه فيما بعد ، فانه اعضاء الجماعة انفسهم يدرسون في التحليل الذاتي الجماعي الكوامن النفسية الاجتماعية للمسألة التي تعتري هذه الجماعة او منظومات استنادها الخلقية بغية ايجاد حل لهـا . ان منهج الحلقة الدراسية ومنهج التحليل الذاتي الجماعي يتمتعان بميزة كبرى من من وجهه نظر التأثير المحول وهي هدف كل مخبر اجتماعي حقيقي . ففي الواقع ، تشعر الجماعة بأنها منخرطة في الفعل عن طريق التقريرات التي يصوغها الناس بشأنها داخلها اكثر مما تشعر بذلك عن طريق التعليمات المجردة التي يزودها بها الخبراء . فالاشخاص الذين يشتركون بشكل فعال في عمل من هذا النوع يشعرون بأنهم مرتبطون بالتزامات جديدة يميلون الى تقديمها على المواقف التي كانت طبيعية حتى ذلك الحين ، واستعمال القرارات المتخذة بصورة جماعية على اساس من الملاحظات الموضوعية يقوي هذا الميل وينبغي ان تمتد الحركة التي يثيرها « المخبر الاجتماعي » تدريجياً الى جميع الافراد الذين يلعبون دوراً في الوضعية المدروسة وعند الاقتضاء الى جميع اعضاء الجماعة فمن الممكن ان نأمل خلق تحريض لدى جميع المذكورين الى بعض التغيرات في المواقف في شروط مناسبة للغاية .

والمخبر الاجتماعي «منهج ديمقراطي» جداً يمرن الناس على حل مصاعبهم المشتركة ، والى اتخاذ المبادرات الضرورية للكشف عن آليات هذه المصاعب والسيطرة عليها .

وعلى ذلك نسعى عملياً الى الاستعانة بذكاء اكبر عدد ممكن من افراد الجماعة ، وبشعورهم بالمسئولية . ولجلاء منهج « المخبر الاجتماعي » سوف نصف منهج التحليل الذاتي الجماعي فقد بدأ الذين دفعوا الى اجراء « تحليل ذاتي جماعي» نموذجي في مدينة Northtown وهو اسم مستعار لمدينة مجاورة لنيويورك يبلغ عدد سكانها (٤٠ الف نسمة) بجميع ممثلي ١٥ منظمة محلية في لجنة . والهدف من التأثير هو تحسين العلاقات بين اكثرية السكان وبين وبين الاقليتين اللتين تعانيان شمائر التمييز العنصري ، والطائفي (الاقلية الزنجية وتمثل ٪ ١٢ من السكان والاقلية اليهودية وتمثل ٪ ٩ من السكان) وقد وافق رئيس بلدية المدينة على دعم المشروع رسمياً . وبالاضافة الى ذلك كان يجب ان تهدف التجربة الى جانب هدفها المباشر أن تنضج الوسائل الفنية

والاصول التي من شأنها ان تسمح لنا بتعميم « التحليل الذاتي الجماعي ».

وقد اشترك في اعمال اللجنة التوجيهية ، عن المنظمات المحلية ، والنقابات A. F. I., C. I. O. ، والمحاربون القدماء واتحاد المنظمات الاجتماعية ، وجمعيات الزنوج واليهود ، الخ... وقد وضعت لجنة العلاقات المتبادلة الجماعية في المجلس اليهودي الامريكي بعض اعضائها وادواتها تحت تصرف منظمي هذه الدراسة بحيث لم تكلف هذه الدراسات عملياً شيئاً اهالي مدينة

وقد دامت حوالي سنة من الزمن . في حين يكلف اجراء استقصاء مماثل حوالي ٦٠٠ دولار ، عدا اكراميات الخبراء ، ونفقات المكتب وتبلغ نفقات حلقة دراسية اكثر من ذلك بكثير لان من الاجدر استضافه المشتركين بهذه الحلقه خلال المدة التي يجتمعون فيها .

ويقوم عمل اللجنة التوجيهية للتحليل الذاتي الجماعي بوجه خاص على انضاج منهاج الابحاث الواجب القيام به عن نوع التمييز الموجود في المدينة ، والميادين التي يتفشى فيها ومدى اتساعة .

وهكذا وضع مخطط المقابلة بصورة مشتركة ولم يتم ذلك دون مصاعب شديدة . ولما كانت جميع القرارات قد اتخذت بصورة مشتركة بعد ان يعين كل واحد قيمة وجهة نظره فقد امكن التغلب على هذه الصعوبات . وقد تطوع ٧٣ شخصاً ينتمون بصورة رئيسية الى مختلف المنظمات الممثلة في اللجنة واخذوا على عاتقهم اجراء المقابلات وكان عددها (٤٩) توزعت كما يلي : ١٩١ منها لدى العائلات البيضاء و١٠٤ لدى العائلات اليهودية ، ٩٩ لدى العائلات الزنجية ، ٣٠ لدى المستخدمين (بكسر الدال) والباقي لدى الخبراء ، وعلية الموظفين ، والمربين والشخصيات المختلفة ، وانتقي الاشخاص الذين طبق عليهم منهج المقابلة على اساس العينة ماعدا الخبراء ، وكبار الموظفين الخ . . . ومن هذا الاستقصاء الذي تم على هذا النحو حصلوا على صوره موضوعية للوضعية ، سجلت في تقرير قدم الى المنظمات المختصة بهذه الاعمال.

ولم يكن لدى اعضاء هذه المنظمات ومن باب اولى لدى المتوسطين من سكان مدينة Northtown اية فكرة دقيقة عن طبيعة التمييز العنصري الذي آلت اليه المواقف التي يظهرونها منذ وقت طويل ومداه وحتى ملاحظة وجوده، دون ان يعيروه اي اهتمام . ثم قرر منهاج للعمل كنتيجة للتحليل الذاتي الجماعي ، اعلنته الصحافة المحلية وناقشت بالتفصيل النتائج المسبقة للاستقصاء ، وخلقت بذلك شروط وجود عنصر حركة لدى الجماعة كلها. وقد امكن ملاحظة بعض التغيرات المناسبة في الوضعية شيئاً فشيئاً ، قدر ما يتسع التأثير الذي كان يقوم على تدخل المنظمات الرئيسية العامة والخاصة على حد سواء ذات التأثير المحدد (بكسر الدال وتشديدها) في توزيع الوظائف في مختلف فروع النشاط في مدينة Northtown ، وفي تطبيق القوانين ، في توزيع المساكن ، وقبول الناس في الاماكن العامة ، الخ...

وقد جرت تحليلات جماعية في اماكن اخرى مختلفة من الجماعة الامريكية. وقد كانت نتائجها ، على العموم ، من النوع التالي : خلق حركات رسمية مدعومة من السلطات العامة للنضال بشكل دائم ضد الانحرافات الملاحظة ، وتبني القوانين التي تجبر ملاكي المساكن على قبول أسر من أي اصل كانت ، وتبني الامكانيات المماثلة في ميدان الاستخدام ، وظهور الزنوج لاول مرة في وظائف كانت لاوقوفة على البيض . وكانت نتائج الحلقات الدراسية مماثلة .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان « المخابر الاجتماعية » كانت بوجه عام ذات تأثير سلمي لايقدر ايضاً في السلوك العام لاعضاء الاوساط المعنية بالأمر .

فهي تسمح ، في الواقع ، ايضاح هذه المسائل وتفهمها في حقيقتها الموضوعية. وهذا يتجلى عن طريق توازن عقلي افضل لدى المجتمع ، وجدوى اكبر لبعض وجوه نشاطها .

والحلقة الدراسية والتحليل الذاتي الجماعي في شكلها الصرف يختلفان عن بعضها اختلافاً واضحاً .

فالحلقة الدراسية تناسب بحثاً فعالاً حول مسائل خاصة نسبياً ولا تتصل الا بمنطقة محدوده من الجماعة (مثال ذلك تحسين المناهج الدراسيه ، حل صعوبات في فرع صناعي واحد الخ . . .) او حول مسائل ذات نفع عام يشعر بها طليعة الجماعة، ويدور الامر هنا على ان نحدده للآخرين تحديداً جيـداً ونكشف لهم عنه عن طرين عمل ثمين فترة طويلة ويزداد اتساعه.

اما التحليل الذاتي الجماعي فهو اداة من شأنها أن تتصدى لمسائل عامة، قد نضع حلها الى حد ما في ما قبل شعور الجماعة ، بصورة نستطيع ان نأمل معها ايجاد حل يثير على نحو عقلاني انتقال سلسلة افاعيل التأثير الجماعي في جو ملائم يخلقه نمو المشروع . ومن المعلوم ان من الممكن استخدام المنهجين بنجاح جنباً الى جنب. ففي غالب الاحيان نجد انفسنا امام «مخابر اجتماعية» ذات شكل وسيط فتشمل التحليلات الذاتية الجماعية اجتماعات تجمع اكثر الاشخاص اهتماماً بنماء المشروع ، وتستلزم الحلقات الدراسية بوجه عام مساهمة جمعيات ، ذات نفع عام ، في تعيين المشتركين وفي تنظيم الأعمال وكذلك في تطبيق النتائج الحاصلة .

وتقدر قيمة كل من المنهجين بصورة رئيسية عن طريق جدواهما في اثارة وعي المعنيين بالامر انفسهم لحقيقة المسائل المطروحة على بساط الدرس، وبفكر جماعي للتعديلات التي يحكم بضرورة حدوثها في المواقف .

وفي الوقت ذاته يكون « المخبر الاجتماعي » اداة للتجريب ، والبحث العلمي حول آليات تغيير المواقف الجماعية .

والميزة الاول « للمخبر الاجتماعي » على الصعيد العلمي ضمن الوجهات اليفنيه ، هي تزويد ، بلوحة عن الوضيعة . فالاشخاص الذين يشتركون فيه يأتون من آفاق مختلفة ويعبرون عن تجارب حية متنوعة يصعب اكتشافها بطريقة اخرى . وبالاضافة الى ذلك ينبغي ان ينزع « المخبر الاجتماعي » الى الحصول على مساهمة اشخاص يتمركزون في نقاط استراتيجية في الوضعية التي يراد تعديلها . ويجب انتقاء هؤلاء الاشخاص من حيث المبدأ ، على اساس وصف توبولوجي (مجالي) تمهيدي بصورة يبدو معها رسم سلسلة أفاعيل الفعل الجماعي الواجب التأثير فيها. وعلى كل حال فان المخبر الاجتماعي، على الارجح ، هو الوسيلة التي تتيح لنا الاقتراب من هذا الهدف اكثر من غيرها . فاذا عرفنا الوضعية، فان الخبراء ، والمعنيين بالامر انفسهم يبدؤون بالتجريب والفعل بآن واحد . والواقع ان « المخبر الاجتماعي » يثير خطاً منحنياً غير مغلق ذي ثلاثة اطوار من التفاعلات الاجتماعية الطور الاول هو اعداد التأثير فيعتبر المجربون المنهاج الموضوع كمنبه للتجربة . وعلى هذا النحو يحصلون على نقاط الاستناد . والطور الثاني : هو التأثير ذاته (ويعني التأثير بالنسبة للتجريب ادخال المنبه في الوضعية) . والطور الثالث : هو ملاحظة نتائج التأثير (فيطرح التجريب الاسئلة التالية . ماهي نتائج التأثير ? وكيف حصلت ?? وعلى اساس الملاحظات التي توضع خلال الطور الثالث ، يوضع منهاج للعمل وذلك لزيادة تقدم المشروع ويتلوه فعل آخر ثم ملاحظات جديدة وهكذا ... وعلى هذا النحو يسير تقدم الفعل ومعرفة الآليات النفسية الاجتماعية التي يستهدفها التأثير جنباً الى جنب ، وفي الواقع ان ما يصنع جدوى التأثير الحاصل عن طريق المخبر الاجتماعي ، انما هو مراقبة هذا التأثير مراقبة عقلانية . فمن الواجب التفتيش عن معايير لقياس كل تحسن محتمل في الوضعية المدروسة اذ نرى عن طريق هذه المعايير ما اذا كان التأثير مجدياً املا . وفي ذات الوقت نقيم الشروط التي تجعل التجريب العلمي ممكناً . وتقدير نتائج كل مرحلة من التأثير انما يحصل عن طريق

ملاحظة المواقف المميزة للجماعة المدروسة، عن طريق المقابلات اوبملاحظة التحولات التي تطرأ على بعض الاوضاع، وظهور تنظيمات جديدة، الخ.. وينبغي ان تكون احدى مهام المخبر الاجتماعي الرئيسة ان تحدد سلفاً العوامل الملاحظة التي تتم ملاحظة نتائج التأثير بالاستناد اليها. ويؤول هذا العمل الى تنظيم مجال التأثير في بنية اي ان جميع الافراد الذين يشتركون بالتأثير يعرفون تطور هذا التأثير تبعاً لبعض الاهداف المعنية المتقاربة قدر الامكان. وفي ذات الوقت يشعرون بالالزام المعنوي بالوصول الى الاهداف التي حددوها بأنفسهم متحدين مع زملائهم.

وفي كل خطوة، كما نرى، يجمع البحث الفعال الذي يعبر عنه «المخبر الاجتماعي» العمل العلمي في الاكتشاف الى العمل المحول جمعاً ديالكتيكياً وعلاوة على ذلك يستطيع المجرب ان يضع ملاحظات هامة عندما يعتبر اعضاء المخبر الاجتماعي عينات يلاحظ فيها جدوى كذا اوكيث وسيلة فنية في التدريب، واثر كذا اوكيث وضعية ماسة والمضمون الحقيقي لموقف يوضع موضع الدرس.

وقد تكون التجارب التي يقوم بها متخصصون بعلوم الانسان أخصب، عن طريق اشخاص وسطاء عندما ينتشر اعضاء المخبر في الجماعة للتأثير فيها.

ويمكن ان تسجل،ردود الفعل التي تحدث في نقاط مختلفة من نقاط الهجوم وتحلل بعناية، ويستفاد من مقارنتها مع النتائج الحاصلة عن طريق فرد او افراد يستخدمون طرائق مغايرة.

والخلاصة نستطيع القول بأن المخبر الاجتماعي يمتاز باسباغه الصفة الموضوعية على الوضعية في نظر المعنيين بالامر والمراقبين، اي يؤدي الى وصف بنى الوضعية وديناميتها بوصفها متميزة عن الوجدانات الفردية. وبذلك نحدد بصورة دقيقة الفرض من التأثير والتجريب بآن واحد. «والمخبر الاجتماعي» قادر، بوجه خاص، على اثارة تعديل في الوضعية الموضحة على هذا الشكل. ومثل هذا التعديل يعني انتقال دائم لسلسلة افاعيل من التأثير الجماعي برمتها، وهذا يعود الى القول بأن من الواجب الاتصال بجميع عناصر المجال. وعلى ذلك يشكل «المخبر الاجتماعي» جزيرة صغيرة للبرهان فأعضاؤه يقومون في غالب الاحيان بعملهم بالاتفاق مع اوسع المؤسسات تمثيلا في نظر العامة مشكلين رهطاً نموذجياً. ولا نقصد بذلك افراداً في حالة صراع صميمي مع حالة واقعية يتفاوت عنفوانه بل دوماً مع اوامر تجلها الجماعة كلها بل تميل الى ان تحصل على صعيد الدينامية الاجتماعية، والمقصود هو جعل قسم من الافراد يتزايد باستمرار تضمه وضعية ما ان يرى هذه الوضعية بشكل آخر وان يكتشفوا لانفسهم وبسهولة ما اكتشفه اعضاء المخبر الاجتماعي بصعوبة عن طريق الاستقصاءات والدراسة وعلى هذا النحو يقام جسر يسهل الانتقال من واقع لآخر.

ترجمة من كتاب

Roger Girod - Attitudes Collectives et Relations Humaines P.P. 63-99, P.U.F., Paris, 1953

النبي والشاعر والكون (بقية مانشر على الصفحة ٢٧)

- الكون -

سمعت حديثكما المستطاب
كروض بأثماره مثقل
فلم ار بينكما فارقاً
بمنحى سبيلكما الاكمل
وما ترميان بهذا الوجود..
أليس التطلع للافضل ؟
أليس السعادة للعالمين .
أليس التسامي للامثل ؟
وما كان كل نبي عظيم
سوى شاعر كامل مكمل
يكافح من اجل عهد كريم
ومجد مقيم وعيش طلي ؟
وما الشاعر الفذ غير نبي
سمعت روحه للسماك العلي
فمن دم اكؤس الشاربين .
ومن قلبه طيب المأكل
وبرهاني اليوم هذا الحكيم
يرتل الحان حق جلي
هو (الشاعر القروي) الذي
بآياته نفحة المرسل

دمشق : الدكتور محمد الرفاعي

صراع العربي الانسان

بقية مانشر على الصفحة ١٧

عدوي انت عوسجة الحديقة   وانت الشوك في وردالحقيقة
وانت مرارة الخمر العتيقة   وانت سواد سوداء الشقيقة
تزيد جمالها لطفاً وظرفاً

ان الشر لايخيفه، والبغض لايقنطه، بل يرى من خلال الدمع والدم نور الحق:

هو الحب حتى ليس في الارض مجرم
ولا مدمع يجري عليها ولا دم

* * *

وبعد لانسرف في الدعوى ان قلنا ان أصالة العربي تتجلى دوماً في كل عبقري اصيل. واذا نحن اردنا البحث عن روح أمتنا العربية فلننتجعها في قلوب المبدعين الاصلاء. ان الشاعر القروي لايمثل ذاته، وانما يمثل روح امته كلها. انه برهان حي على انسانية العربي، على شممه، على نظرته المؤمنة، على رسالته الخالدة.

الغيرة

بعينيك آلات الكآبة والحزن   أمن صاحبي هذا الذي بك ام مني ؟

تقولين من تعني ؟ ووالله انما   لكي تستعيدي ذكرة قلتِ من تعني !!

اذا حدّثوا عنه تولتك سكرة   كحواءَ عادت بالخيال الى عدْنِ

* * *

واغمضت للتذكار عينيك لذة   واصغيت اصغاء الضرير الى لحن

واي دليل تقتفين على الهوى   وماذا تبقّى لي اذا حدّثوا عني

فلا تسأليني ما رأيت فان لي   من القلب ما يغني عن العين والاذن

ولا تقنعني بالدموع فانها   بقيّة ما روّى جفونك من جفني

ولا تحلفي لي بالذي كان بيننا   عشية من سطح نفرّ الى غصن

وانت لعودي ضرة تسبقينه   الى الفل في صدري ، الى النوم في حضني

* * *

لئن طار حسون الهوى من جوانحي   فمرحلة روحي وايكته ذهني

فلا تذكريني ! انني لست ناسياً   وما كان ذكر الحب عند فقده يغني

لحية ، مافي حب مثلي راحة   ويغدو وكثير الظن من كان في سني

* * *

تجاوزت عن جهل الصبا وغروره   وفي العقل مايغني الرشيد عن الحسن

ولي خمرة غير التي تعهدينها   الى ادبي منسوبة والى فني

سقيت البرايا نهلة من سلافها   وما فض يوما عن معتقها دني

الشاعر القروي

أخي : القروي

بقلم

نظير زيتون

انها ستة قرون . .

انها ستة قرون حالكات ضاريات. معربدات مترنحات. متعسّفات متهيئسات . متغطرسات طاغيات . . .

انهاستةقرونطويلة فرعاء كظلّ البؤس . حمراء كجمر الحقد . سوداء كليل اليأس . صفراء كرغيف البغي ، زرقاء كدكنة الوهم. عشواء كزفرةالهمّ والغمّ . حدباء كعين الضلال شعواء كأتون الحسد . سلخاء كوجدان الاستعمار والدولار.

انها ستة قرون تتمخّض وتتمخض ، حالمة متعللة بالمولود العبقري . بالمولود الذي يترآى للقلوب وتتهامس به الارواح بالمولود الذي يرقبه الفجر حادياً وهادياً . بالمولود الذي يحمل مع العاصفة العربية الازلية ، اغاني الامة العربية. بالمولودالذي تزأر قوافيه ليملأ بها دنيا العرب . دنيا البعث ، دنيا الحياة ، دنيا المجد .

وهناك على ما كان يسمى الساحل الفينيقي . هنــــاك على الشاطيء الذي كانت سفن الفينيقيين تقلع منه الى ماوراءالبحار مغامرة رائدة متاجرة ، هناك حيث ازدهرت فينيقيا على صوت المجذاف ، وخفق الشراع ، ونهمة الصانع ، ولمعـة الحرف ، وصخب الآلهة ، وسكرة العذارى . في هذه البقعة الساحلية المطلة على الغرب، نظمت القرون الستة قصيدتها العبقريةالعربية، ثم رفعتها بيديها الجبارتين وقد شمخت وانطادت صعداً في السماء، لتعلن للعالم ولادة الشاعر الصوفي الثائر، شاعرالقوميةالعربية . .

وكان الشاعر على موعد مع العاصفة العربية الازلية، ومع بشيرها عملاق الشرق الاسمر الذي رقبه الفجر حادياً وهادياً ، فاكتحلت عيناه عزة بمرآها ، وتغنّى قلبه نشوة بالعاصفة المقدسة وقائدها الملهم ، وافترّ ثغره عن اسنى ماتفترّ الثغور ، بسمة النصر المبين. . .

ولم يكن من باب المصادفات أن يقـــع مولده في اليوم الذي يجب ان يهوي في مثله (١٧ نيسان) بعد تسع وخمسين سنة (١٨٧٧-١٩٤٦) علم العدوان الاجنبي ، ليرتفع مكانه علم سورية المستقلة الحرة التي سبقت شقيقاتها العربيات الى طرد الاخطبوط الاستعماري، فاقترن ميلاده بعيد الجلاء . ويالروعة المغزى ، ويالانسجام النغم .

وكان من العناية ، ومن الحكمة ومن الخير ، ان يختار القـدر الحبيب ذلك الشاطيء الفينيقي القديم عينه ، ليمزّق الاسطورة الفينيقيـــــة ، ويقوّض الهياكل الفينيقية ، وعبادة المومياوات الفينيقية التي بعثها (بعل) الاستعمار الغربي .

ان القدر العربي الحبيب هو الذي اختارهذه البقعةالفينيقية العريقة في التاريخ ، مهداً للشاعر العربي العظيم ليدحض الكلمة العابرة الجامدة، الكلمة المحنطة الباردة ، بالكلمة المرتعشة المنتفضة بالكلمة المتدفقة المتوثبة ، بالكلمة العربية الحية . .

والقدر العربي الحبيب هو الذي حمـــله أيضاً الى المهجر الاميركي ، الى وطن الحرية والخير والجمال ، الى مغاني الاحلام والالهام . الى مسارح الخيال والاشواق والصبابات ، لينافح بشدوه وزئيره . وعزمه وحزمه . ووجدانه وايمانه، عن وطن أبيّ سخيّ عليّ . جارت عليه النكبات، فسقط مثخناً بالجراح، موثقاً بالاغلال ، ولكنه لم يستسلم ولانسي ماضيه المنسوج بخيوط النور والرواء ، والمرصع بنجوم السماء . .

وكان من العناية ، ومن الحكمة ، ومن الخير ان يختار له القدر العربي الحبيب ، هذا المهجر الاميركي القصي ، الحرّ الطليق ، حيث تتسع الآفاق وتتسامى الانطلاقات،وتتجاوب اصداء الكلمة القدسية البكر ، وتتألق الانتفاضة الانسانية القومية ، وتنطلق القافية على سجيتها قوية مدوّية ، جلموداً من صخر ، وشلالاً من نور وبهاء، وسيفاً من نار ومضاء، وكوثراً من حياة ورخاء .

فما كانت ولادة الشاعر العربي العبقري على الساحل الفينيقي القديم بالقرب من البترون ، من باب المصادفة ولكنها اختيار القدر الحكيم .

وما اقترن يوم مولده بعيد الجلاء السوري من باب الاتفاق ولاسار مع العاصفة الازلية العربية ورافق صواعقهاورعودها، ولاواكب الزحف المقدّس بقيادة عملاق الشرق الاسمر ، هذا كله لم يقع اتفاقاً ، وانما هو من تدبير العناية الازلية التي تأبى ان تدفن الكلمة المؤمنة الحية في بطون الكتب ، وتتناثر في الفضاء لغواً في لغو .

وما كانت هجرته الى البرازيل حيث سلخ من عمره أنضر وامرع سنواته ، حيث رقدت خمس واربعون سنة من عمره

النضالي الزاخر في مهابط الوحي وهياكل الرسالة وميادين الكفاح ، حيث رقدت هذه السنون الطوال لتطل من ورائها ثمارها القدسية المتلألئة المتأرّجة في ديوانه الاشم الخالد، ما كانت هذه الهجرة من باب المصادفة ولا من عمل يدي الشاعر، ولكنها تصميم عبقري رسمه له القدر الحبيب امعاناً في الانطلاق والحرية واستجلاء لاسرار الحياة الانسانية ، وتعطيراً لأطياف الحب المنبثقة من رؤى الشوق والحنين .

. . .

واذا كان موسى الكليم قد مكث في برية التيه اربعين سنة لينشيء امة حرة من عبيد خانعين ، يؤثرون الذل وامتلاء البطون ، على كفاح فيه الحياة وفيه الامل الميمون ، اذا كان موسى الكليم قد قضى ولم يقض وطراً ، فما ارتوى بعد مشقات التيه من ينابيع ارض الميعاد ، ولا تشمم عطر فاكهتها ولا هب على وجهه شيء من نسماتها ، ودغدغ جوانحه شيء من نفحاتها ، ولا استظل بسمائها ونجومها ودواني واحاتها ، ولا اكتحل بفجرها ، وانتشى بخمرها ، فمضى لسبيله وقد ارمضت صدره حسرة الحرمان ، فالشاعر العربي العبقري ، رسول العروبة والقومية ، كان أقرّ عيناً واهنأ بالاً واشرح صدراً واجزل اجراً وثواباً اذ مكث في مهابط الوحي ، في المهجر السحيق خمساً واربعين حجة ، مناضلاً نذيراً ومجاهداً بشيراً فما تاه في ظلمة الشك والخذلان ، ولاظل في معركة العزم والايمان، بل سار قدماً جريئاً شجاعاً يستنزل الالهام ويذكي الضرام الى أن أدرك النصر المبين وشهد فجر العروبة متألقاً ، يفترّ مبرقُها عن بسمة السيدة الآمرة العصية ، والعزيزة الكريمة الابية ، ترفل في حلل البعث السنية ، وتقود زمام التاريخ ، لتكتب صفحاتها الحضارية والانسانية والسلمية ، ثم اكرم الله شاعرنا العظيم ، كما لم يكرم موسى الكليم ، واسبغ عليه من آلائه ، فاذا الجمهورية العربية المتحدة تقوده بيد الوزير الالمعيّ النهيّ صلاح الدين البيطار ، الى ارض الميعاد العربي ، الى الارض التي فتنته بجمالها واصالتها ، وجلالها ونبالتها ، وروائع آياتها . الى الارض التي اتخذها قبلة نجواه وصلاته وايمانه ، ومحراب وعيه وابداعه ووجدانه . الى الارض التي سقاها ذوب جنانه ، وآثرها على الخلد وجنانه . الى الارض التي لمع في كل حفنة من ترابها بريق من عينيه . وتندت بدموع من مقلتيه ، وتشامخت بهتاف من اصغريه . . .

والحقيقة ان اكرام الشاعر القروي على هذا الشكل الباذخ ينطوي على معنى عميق واسع ، على معنى رمزي متأرّج وارف الظلال ، نلمح من خلاله تكريماً ضمنياً للادب العربي المتحرر ، ادب النضال القومي في المهجر البرازيلي الذي حمل اعلامه امثال الدكتور خليل سعاده والدكتور سعيد ابو جمره والدكتور اسعد بشاره ، وجرجي الحداد وشفيق عماد وسلوى سلامه اطلس والشاعر حسني غراب طيب الله ذكراهم ، وموسى كريم وفرحات وتوفيق قربان ورشيد شكور ونصر سمعان وميشال مغربي وموسى حداد ونبيه سلامه واسد موسى ومدحة غراب وانطون جراب وسائر الرفاق الميامين، نسأ الله في حياتهم الثمينة .

واننا لنحمد الله اذ أتاح لنا في سيادة صلاح الدين البيطار . وزيراً اريحياً هماماً يقدر الادب المهجري المتحرر، ودولة ساهرة ترعى رواد الفكر العربي الضاربين في أكارع المهاجر القصية ، والرافعين للعروبة راياتها الذهبية ، مستبسلين مؤمنين .

. . .

وبعد ، فلنطو الترجمة الشخصية التي صدَّر بها الشاعر القروي ديوانه العظيم ، ولنسأل : متى ولد الشاعر القروي واين ؟

ولد الشاعر القروي مع الاعاصير في الغابات . ومع الزلازل في الجبال ، ومع الصواعق في البحار .

ولد مع الندى في مبرق الفجر ، ومع الازاهير في الربيع ، ومع البلابل في الجنان ، ومع الجمال في نشوة نيسان ، وما أصدقه في قوله :

انا ذلك الاعصار نسّاف الذرى
وانا النسيم مداعب الاغصان
أطوي سماوات الخيال وانثني
عطر الجنان يفوح من ارداني

وُلد مع الاسطورة في عبقر ، ومع الانبياء في الوادي المقدس ومع السحْر في أهداب العذارى .

ولد الشاعر القروي مع الشعاع في بسمة العين ، ومع الغيث في زحمة اليأس ، ومع الصولجان في صولة العرش .

ولد مع الصفح في يوم الدينونة ، ومع القيثارة في الليل المدلهم العبوس الشموس ، ومع الاحلام في غمرة الكفاح الصداح، والشوك الدامي الفياح .

واين ولد الشاعر القروي ومتى ...؟

ولد مع الشلال في الينبوع الزاخر ، ومع الخمرة في انفاس الورود . ومع الوجدان في صرعة الخلق والحق . ومع الزأرة في

في رهبة الظلم والطغيان ، ومع النغم في حفيف الافانين،وشدو الجدول وانتفاضة البحر ، وحنين النسمات .

ولد مع الدمع الاخرس اللاهب ، في غصة اليتيم وزفرة المنكوب وعثرة الكريم وكربة المظلوم وحسرة القلب الابكم.

بلى ، وولد الشاعر القروي مع امته ، في شروقها وغروبها ومدها وجذرها ، وخصبها وجدبها ، وخمرها وخلها . ولد في بيدها وسهولها وجبالها واوديتها ، فلفحته بسمومها ، ونفحته ببليلها واريجها . ورأى النور ، قبل ان تتفتح عيناه لنور الارض ...

. . .

ومن هم ابوه وامه واخوه واخته؟ ان الشاعر ادرى بهم ، من رشيد سليم الخوري الذي ترجم حياة الشاعر . الا فاسمع قوله :

الفجر اختي والصباح اخي
والشمس امي والنهار ابي

ومتى ولد الشاعر القروي واين؟ان المترجم الذاتي لا يستطيع ان يحدد زماناً او مكاناً . هذا امر يعجزه ...

قال المترجم ، وهو رشيد سليم الخوري ان شاعره ولد في البربارة اللبنانية . والصحيح انه ارتدى هناك قميصه فانتسب اليها والى من اعطاه هذه القميص الترابية التي لابد ان يخلصها مادامت عارية يشترط فيها الرد ، ولذلك بعد مايؤدي رسالة الجمال والحق والنور .

ولقد كنا نأخذ بالترجمة الشخصية التي صدر بها رشيد سليم خوري ديوان الشاعر القروي ، كنا نقبلها لولا اعجوبة البعث الذاتي . هذه الاعجوبة التي فصلت بين الرجل والشاعر بين رشيد سليم خوري والشاعر القروي ، وان كان الاسمان لمسمى واحد ...

فالحقيقة ان الشاعر القروي يمثل اسطورة لذلك الطائر الميتولوجي المدعو فينقس او عنقاء مغرب . يجثم هذا الطائر في عشه ويبرز للشمس تلذعه باشعتها المحرقة ،فيموت متلظياً ويتحول الى رماد . ثم لاتلبث الحياة ان تدب في هذا الرماد بفضل اعجوبة البعث فيولد الطائر من رماده نفسه ، ويحيا حياة جديدة .

والشاعر القروي ، انما ولد ولادة جديدة من رماد رشيد سليم خوري . تلظى الرجل واحترق ، فانبعث (الشاعر) كما ينبعث كل عظيم ، وكل عبقري ، وكل نبي ...

وترجم رشيد سليم خوري للشاعر القروي وهو لايدرك ان بين « الرجل » و « الشاعر » هوة وفجوة . فجاءت الترجمة على غير مانحب في استقصاء اسرار الشعراء ...

ولو كان الشاعر القروي نظاماً وزاناً او شاعراً عاديا ، لقبلنا الترجمة الذاتية على علاتها ، ولكنه اكثر من شاعر ، واسمح من انسان .

وياليت رشيد سليم خوري استطاع ان يعرف اسمه الجديد بعد اعجوبة البعث الذاتي . لقد وقف حائراً لايدري ماهو اسمه ، ولايدري ايضاً كما يلوح لنا ان الشاعر افضل من الرجل وان بين الاثنين همهمة تنافر وتناكر ...

ولم تطل به الحيرة ، ولايجوز ان تطول ، والشاعر حامل رسالة . فلقد سخر الله له مناوئاً غراً نطق بكلمة حق ارادها للباطل ، وجاءه الاسم الجديد عفواً ، وذلك عندما حاول هذا العربيد وكان صاحب جريدة في سان باولو ، ان يعبث بشعره ويزدري قصائده بنقد عاثر متهافت ملؤه الغباوة والجهل على اثر صدور (الرشيديات - ١٩١٦) فقال ساخراً « من هو هذا ال ... شاعر جرن الكبه ... الشاعر القروي ... » .

وعندما اطلع الشاعر على النعت الاخير عرته امام الرنة العميقة والوقع الندي ، هزة ونشوة وصرخ مختبطاً : هذا هو اسمي الجديد . وجدته ! ولم يلبث ان نظم قصيدته المشهورة « لعينيك يالبنان » وقد دعا فيها الشباب المغترب الى التطوع في « الحملة الشرقية » التي جهزها الحلفاء (١٩١٧) لمحاربة الاتراك . وكان الشاعر على وشك التوجيه الى البلاد العربية املا بالانضمام الى ماسموه جيش التحرير العربي ، لولا ما اقاموه في وجهه من عراقيل ضنا بحياته ، وهو ذا مثال من القصيدة :

لنا وطن هلا سمعنا نحيبه
وهلا رأينا ضعفه وشحوبه
اناسو صحيحاً في غنى عن دوائنا
ونجفو عليلا قد اضاع طبيبه
بلاد (السوى) لم تحرموها نصيبها
فلا تحرموا بر الشآم نصيبه
اذا كان حب الغير فرضاً على الفتى
فكم هو فرض ان يحب قريبه
لعينيك يالبنان قوتي وقوّتي
وتعرفني غض الشباب رطيبه

ندائك من عامين دوى بمسمعي
فوا خجلي قد حان لي ان اجيبه
حملت صليبي قاصداً ارض موعدي
فمن شاء فليحمل ورائي صليبه

وبهذه الصرخة القومية الابية المدوية التي لو تحققت بها امنيته، لكانت له شبه عماد بالدم، دشن رشيد سليم خوري لقبه الجديد الذي لزمه في كل منظوماته، واشتهر به في عالم الادب والوطنية حتى طغى على اسمه الاصيل.

وهذا اللقب الذي اراد ان ينبذه به ذلك الغر الاحمق، للتصغير والتنقيص، هذا اللقب الذي لفظه لسان ساخر، اصبح علماً لسيد الشعراء كما دعاه المرحوم شكيب ارسلان ١٩٤٦) في قصيدته البليغة التي مطلعها:

قل للقصائد كلهن تذللي
للشاعر القروي وسط المحفل

وعلماً «لشيخ شعراء العرب» كما سماه الشاعر والبحاثة المصري الدكتور احمد زكي ابو شادي رحمه الله، عندما قرظ ديوانه في جريدة السائح النيويوركية.

هذا النعت المرسل للازدراء والسخرية، اصبح علماً للشعر والقومية والخلق والابداع.

وشاء شقيقه قيصر سليم خوري وهو شاعر مجيد موقد القريحة رهيف الحس ان يجاريه او يعارضه في اللقب متفائلاً فاطلق على نفسه لقب «الشاعر المدني».

. . .

نعود الى الترجمة الشخصية.

فمن اوهامها انها عدت للشاعر القروي سبعة اخوة. ولو دققنا ومحصنا لضربنا السبعة في الوف. ذلك ان اخوان القروي اكثر من ان يحصيهم عدد. وهم منتشرون تحت كل كوكب في العالمين الجديد والقديم، انهم اخوانه دماً وقلباً وروحاً ونضالا...

وجمال هؤلاء الاخوان الذين لا يعرف الشاعر القروي منهم سوى النذر الاقل، انهم كانوا اخواناً مختارين غير مقصودين او مكرهين. لقد احبو القروي ورأوا في وطنيته وادبه وفنه وعبقريته وايمانه، اخاً كريماً عزيزاً فآخوه عالماً او غير عالم مبتهجين. وقد تفاضل وشائج القربى الزوجية الادبية صلات الدم واللحم، عندما تتناكر الارواح وتتشاكس المبادىء وتتنافر الاهداف.

. . .

وحدثتنا الترجمة الذاتية عن دنيا القروي فقالت انه يعيش بالكفاف ويقنع ليغالب الضيق والعوز، فهو لا يرفل في حلل الاناقة والبذخ، ولا يتمتع بالترفه والترف، وبذلك الفيض الذي يروي كبرياء العصر من قصور وسيارات وتحف وطرف حية وجامدة... فدنيا القروي اذاً دنيا زهادة وقناعة..

واننا لنستدرك ونقول ان للشاعر القروي دنيا اخرى ترتد عنها الابصار التي لا تستطيع ان تبصر. وتغيب عن العقول التي لا تعقل، وتندرس امام الذاكرة التي لا تذكر.

للشاعر القروي دنيا اخرى هي اغنى الدنى لمن يرى ويعقل ويذكر. حشد فيها من الكنوز ما يملأ غائرة العينين وما يتفضل به على المساكين. دنيا من الكنوز التي ينافس بها اصحاب التيجان وسائر من جرروا ذيول البذخ والعنفوان فاسمع قوله الجميل السديد:

بعدت همتي فعفت كنوز الارض لما عرفت قيمة كنزي
لا ابالي شبعت او جعت والفن شرابي وعزة النفس خبزي

وآية الشاعر القروي انه لم يمس كنوزه بل صانها عزيزة كريمة. ولا تاجر بها طمحا في الحطام والاوهام. بل وقف هذه الكنوز على امته العربية فكان اكرم من كريم، واسمح من مسماح، واعز من عزيز. ولو شاء الاتجار بكنوزه ومواهبه، فلا والله ما كان الا من ابناء النضار والقنطار، واصحاب الحلى والسيارات والعقار. ولكن ابت له نفسه النيرة، وايمانه بالعروبة الحية، ان يستبدل الذي هو حطام بالذي هو خلود خالد...

مع هذا فزهادته الصوفية المتسامية في دنيا الحطام والاوهام هي التي صاغت له تاج المجد، وهي التي نسجت على هامته هالة النور.

ونحب ان نستدرك ايضاً لنمزق اسطورة رددتها بعض الصحف اذ قالت ان الشاعر القروي عاد الى وطنه خالي الوفاض، صفر اليدين... لو صحت هذه الاسطورة لحكمنا على الجالية العربية في سان باولو. وهي اغنى الجوالي وارقاها وارسخها قدماً في المكونات وتقدير الرجالات، لو صحت هذه الاسطورة لحكمنا على هذه الجالية الكريمة بالتقصير بل الافراط في التقصير

نحو شاعرنا العبقري . من مآثرها انها عزمت على شراء منزل فخم تقدمه هدية الى القروي تقديراً لوطنيته الصوفية وشاعريته وتضحياته ، فما ان علم بالامر حتى ثار واحتج مدفوعا بابائه وحرصه على طهارة صوفيته . فالحوا والحفوا ، وألحّ والحف معتذراً شاكرا . وانتهى الامر بالاتفاق على طبع ديوانه العظيم من باب الحفاظ على تراث شعري رائع هو وقف على كل الناطقين بالضاد وصدر الديوان بالف صفحة مجلدا في طباعة انيقة وورق نفيس .

وقد اهدى من الديوان ، مئات النسخ الى رجالات العلم والادب والفكر والسياسة في البلدان العربية ، وبلغ من اعجاب سيادة وزير الاوقاف الاستاذ احمد حسن الباقوري بهذا الديوان ، انه بعث الى الشاعر القروي منفحة مادية قدرها مئتان وخمسون جنيها ، فردها شاكراً وطلب تحويلها الى الجيش المصري الباسل تعزيزاً للسلام العربي . انه والحمد لله في سعة ونعمة ، الى طهارة صوفية عميقة هي مضرب المثل في هذا العصر الجائع النابح .

* * *

وقالت المترجمة ان الشاعر القروي يتعلل بما عنده من عتيق اللباس ، وان اكثره بات زريا . وانه لا يلبس الاجواخ الانكليزية بعدما غدرت انكلترة بالعرب .

هذا ماراه كاتب الترجمة ، ولكن هناك مشهداً سها باله عنه ، فما ابصرته عيناه .

ارأيتم الى ذلك القائد الغازي الفاتح الذي خاض اقسى المعارك الحاسمة وخرج منها ظافراً . ارأيتموه في موكب النصر وقد ارتدى ثوبه العسكري الانيق الباذخ ، وناست الخيوط المذهبة حول منكبيه وتلألأت الاوسمة على صدره الى جانب القصائب والازرار الذهبية الوهاجة ، وضرب الارض بخطواته القوية المتزنة المتعجرفة ، وارخى سيفه اللامع الى يساره ، وقد افتر ثغره عن مثل ابتسامة القدر ؟

ارأيتم الى هذا القائد كيف تلتهمه العيون بنظرات فيها الرهبة والحب ، وتنثر حوله دارات التقدير والاعجاب ! الا فاعلموا انه مع كل زهوه وجبروته مظهراً ومخبراً ، لم يكهرب النفوس كما كهربها الشاعر القروي في مواقفه المنبرية مؤديا رسالته الشعرية القومية ، ولا لبس رداء ابهى من رداء الشاعر القروي المثقل بالعتيق من الثياب .

ثم ارأيتم الى تلك الحسناء الرقراقة الهيفاء التي فتنت الجماهير بجمالها الرائع وتمثيلها البارع ، وحنجرتها الذهبية الباهرة ونظراتها الساحرة وايماءاتها المهدهدة النابرة . ارأيتم الى تلك الغانية العبقرية المبهرة المغناج ، يشع منها النور ويسطع الطيب وقد تهافتت عليها العيون والقلوب ، وتساقطت فوقها نوافج القبلات فاذا سارت وطئت شفاها ملتهبة تحت اقواس من لظى الحماسة والصبابة .

ارأيتم الى تلك الحسناء التي تواءمت بفتنتها مع الخمر ، وتناغمت بفنها مع السحر ، فمشت في الارض مرحا ، وتاهت دلالا وانتشت فرحاً ؟

ان للشاعر القروي في شاعريته وابداعه خمراً تنقض سحرها . وله في صوفيته المتألقة سحر يختل خمرها . وله في ايمانه بقوميته العربية وخلقه ووفائه وتضحيته ، شمس تكشف نورها ، وعزة يتصدق بميسرها على فتنتها وروعتها .

★ ★ ★

وآية الشاعر القروي في ابداعه وتحليقه وعبقريته ، صدقه الصادق وايمانه المؤمن . انه لا يكذب نفسه ولا يحتال على قرائه ولا يداهنهم ويصانعهم ويخادعهم ، بل يمضي في قصيدته كالاعصار يدك ما يدك ويقصف مايقصف ، وكالطوفان يقذف ما يقذف ويجذف مايجذف . صوره ووثباته وثوراته ، مستمدة من وجدانه القومي ، من صميم العروبة الثائرة على الضيم والاستخذاء والجهل والجمود ماوقف مرة على منبر ، الا وقد ارتفعت عظمته على عمودين ، عمود الحب وعمود البغضاء ، عمود المؤيدين المغتبطين ابناء الحرية ، وعمود الرجعيين المتخاذلين دعاة العبودية وهؤلاء ايضاً كانوا في قرارة نفوسهم به معجبين . ولقد طالما جاء من (ينصحه) ويقول - هلا جاملت ، وهلا حاسنت .. ولو فعلت لفزت من دنياك بما تشتهي .. فكان يثور ويحتدم غيظاً ويؤنب (الناصح) تأنيباً عنيفا قائلًا أأنت تساومني في عرض امتي ؟ انك اذن من الكافرين ، وشر الاعداء الماكرين .

ويجيئه ناصح آخر ويقول : لقد كان بوسعك ان تصير شاعراً عالمياً لولا انك بذرت شاعريتك في الافق الوطني ، وهو محدود ، كما ان هذا الشعر عمره معدود ، فهلا انصرفت الى الشعر الذي يطوي الزمن ولا يطوى ؟ وكان القروي يجيب - هب انك اصبت في قولك انه كان بوسعي ان اصير شاعراً عالمياً لولا حصري شاعريتي في افق الوطنية المحدود ، كما تزعم ويزعم سواك ، فانني لست بآسف انني احببت امتي وبلادي اكثر من نفسي ، وانني حاولت ان افتدي مجدها بمجدي وخلودها بخلودي ..

والصحيح ان الشاعر القروي حمل في شعره رسالة وطنية حماسية برزت حتى في غزله ووجدانياته وحكمه ومراثيه واجتماعياته واشرع علم الاستقلال السياسي والكرامة القومية على المستعمر المغتصب ودعاته الهدامين. وكانت معاركه الشعرية متلاحمة متعاقبة، فما هادن ولا وادع مدى اربعة عقود ونصف ولا يزال حتى اليوم، وقد القت الشيخوخة تاجها بين يديه، يثيرها حرباً شعواء على الاستعمار والخيانة اللذين مزقا فلسطين كما مزقا وحدة العرب. منذ اربعين عاماً ونيف، دشن حياته الشعرية في البرازيل ثائراً على الطغيان والعقوق والاستخذاء، وختمها منذ خمسة اشهر ثائراً على الاستعمار واذناب الاستعمار في لبنان والاردن وعراق عبد الاله ونوري السعيد، في مرثاته الرائعة لعديله الشاعر الكبير ايليا ابو ماضي، وهي آخر مانظمه في البرازيل، واتخذ من الرثاء وسيلة للتعبير عما يجيش في صدره من ثورة قومية متأججة، وكأن دم الشباب الحار المتدفق، دم الشباب العاصف اللاهب، يهدر زاخراً في شيخوخته كما هدر في عنفوانه ومعمعانه.

وقد جاهد في سبيل رسالته الشعرية القومية افضل الجهاد باقوى الايمان. كانت معاركه الشعرية كما قلنا، متلاحقة متعاقبة. وكان يناضل في ثلاث جبهات، جبهة يكدح فيهـا جاهداً في سبيل العيش، وثانية يكافح فيها الاستعمار الاجنبي مستهدفاً لنقمته، وثالثة وهي داخلية يرد فيهـا على اذناب الاستعمار، مدافعاً ومهاجماً. منددا وواعظاً. ولا والله ما ناله من اضطهاد المستعمرين الاجانب، قسط من ظلم ذوي القربى السائرين في ركاب الاستعمار واذاهم.

وهذه الجبهات الكبيرة الثلاث التي كان يخوض معاركها بعضاء واباء، بين هتاف الهاتفين، وسخرية المتحاملين لم تفت في عضده، ولا ثبطت من عزيمته، ولا اخمدت من حماسته، بل زادته ايماناً على ايمان، ونوراً على نور، وهذا كله يدلنا على ان الشاعر القروي هو صاحب رسالة، لا مطرز ديباج، ولا منضد خرز وهاج.

وانه لمن العبث والغباوة ان تنصح لصاحب الرسالة وتقول: طريقك وعرة شاقة فانصرف الى سواها تنجح وتفلح.

هذه ليست بنصيحة حتى يأخذ بها اصحاب الرسالات على اختلاف الاهداف. ولذلك رأيناهم يستهدفون لضروب المصاعب ويتعرضون لاشد الاخطار وامر التضحيات حتى البؤس والموت ولا يتراجعون ذلك انهم يسمعون في اعماق قلوبهم همسا ملحا يناديهم، وحسيسا خفيا يهب بهم ويقودهم الى المعركة. ويوحي اليهم بالثبات والآيات البينات. فاذا استشهد احد اصحاب الرسالات الكبرى قبل انتصار الرسالة، كان هذا الرسول الشهيد معتبراً لسائر الرفاق وبذرة حية تنمو في الاذهان والارواح وشعاعا هاديا للخطى المتعثرة.

وهب ان الشاعر القروي انصرف الى الشعر العالمي، هل كان يفتح فيه مقدار فتوحاته في الشعر الوطني الحماسي؟ وهل كان يرفعه ويسمو به، كما رفعه هذا الشعر وسما به؟

وما قولك بعد هذا في ضياع الرسالة الوطنية وهي بيت القصيد في حياة الشاعر القروي. وهي الالف والياء في كيانه المتقد انفة وحمية، اتوازي خسارة هذه الرسالة مايكسبه في الشعر العالمي؟

واذا ذهبنا مذهب بعض الادباء الذين يزعمون ان الادب الوطني لايعمر ولايعيش، قلنا ان الادب المنهجي او المرتبي الرفيع ـ الكلاسيكي ـ هو الذي يخلد سواء اكان انسانيا ام اجتماعيا ام غزليا ام وطنيا.

ولنفرض بعد هذا، وفرضنا مردود حتما، ان الشعر القومي اذا عاش جيلا اوجيلين فهو لايخلد، وويل لامة عطل تراثها الفكري من الادب القومي. لنفرض ان هذا الشعر لايخلد، الا يكفيه مجدا انه يعبر عن شعور الامة، ويعمل على اقالتها من عثارها وفكها من اسارها وتحطيم أنيارها؟

الا يكفيه من الفضل انه يوقظ امة ويبعثها من رقادها العميق ويحييها، فيكرم بكرامتها ويعتز باعتزازها ويحيا ابيا بحياتها؟

ومن هو الاديب الذي يطمع في اكثر من هذا المجد السابغ؟

* * *

ولا جدال في ان الثورة السورية التي انطلقت شرارتها في جبل العرب بقيادة البطل سلطان الاطرش (١٩٢٥) هي الملهمة الكبرى لشاعرنا القروي، وهي التي رفعته في قصائده الوطنية الحماسية الى الذروة العليا بين الشعراء المعاصرين، وهي التي اذكت في جوارحه ضرام الايمان بامته العربية وبطولتها ومناقبها الحية ومزاياها الفريدة، كما ان كتاب (السفور والحجاب) لنظيرة زين الدين هو الذي فتح عينيه على التراث الفكري العربي العريق فأقبل عليه بنهم واي نهم.

فلقد كان قبل هذه الثورة التاريخية الرائعة يدندن حول

الوطنيات كما يدندن الشعراء الآخرون فلا تختلف حماسته عن حماستهم ولاصرخته عن صرخاتهم ، كان يدعو الى الاستقلال والكرامة القومية دعوة صالحة فيها اباء وانفة ، وفيها طهارة ووداعة ، ولكن ثورته الشعرية ، ما تأججت نيرانها الا عندما لعلع الحديد والنار في الربوع السورية وكأن هذه الانتفاضة الحمراء اهابت به وشقت له طريقه ودلته على رسالته ، فكان الرسول الصادق الامين ، كما كان الشاعر الفياض المبدع .

وآية الشاعر القروي ، صدقه وخلقه ، الى جانب نفسه الشعري الاصيل . فاذا تغزل ، قل برعمت في جوانبه وردة الحب ، واذارثى قل لفح قلبه لهيب من الاسى ، واذا استخرج حكمة في شعره قل هي تجربة مر بها ، واذا استعبر ، قل هو الحنين يرمضه . واذا ثار وغضب غضبة مضرية ، قل انه يعاني آلام امته . ونحن يعنينا في الشاعر والكاتب والخطيب صدقهم وخلقهم ، قبل بلاغتهم وبيانهم ، فما القول اذا اقترن الصدق والخلق بالابداع الفني .

غير اننا اذا رأينا في الشاعر القروي ، شاعر الثورة السياسية او شاعر الثورة الوطنية الاول ، فنحن لانلمح فيه صورة الثائر الاجتماعي او شاعر الثورة الاجتماعية .

وعندنا انه كان باستطاعته ان يكون كلا الشاعرين في وقت معا ، لولا انه قضى خمسة واربعين عاماً في مهجره النائي بعيداً اشد البعد عن وطنه وعما رافقه من تطورات اقتصادية واجتماعية وذهنية ، ولولا انه نشد الاستقلال السياسي في الدرجة الاولى وانصرف بكل قواه الى هذه الناحية الرئيسية التي تنبعث منها سائر الفتوحات .

والصحيح ان الادب المهجري الذي كان الرائد الاول في ميادين التحرر الفكري والقومي والروحي ، جمد في السنوات الخمس عشرة الاخيرة ، ووقف حيث ابتدأ قانعاً باجترار ذلك الزاد الغذي السخي الشهي الذي قدمه على موائد الادب الى الشعوب العربية منذ نصف قرن ، فما تطور في انطلاقات جديدة ، وانتفاضات اجتماعية ثائرة ، وكان ذلك البركان الادبي الفكري اخذ يهمد ويبرد ، ويثير الرماد بدل النيران والحمم ، محتفظاً بطابع برجوازي تقليدي . وعندنا انه كان بوسع الادب المهجري ان يتابع انطلاقاته وانتفاضاته ، ويجاوز الوجدانيات والتأملات الفلسفية والروحية والوطنيات ، لو انه كان متصلا اتصالا مباشراً بالشعوب العربية في اوطانها نفسها ، ليحيا حياتها ويتحسس فاقتها وجوعها الى زاد اجتماعي جديد ، يعيد اليها نشاطها وقوتها ، ويكشف عن مكامن مآسيها واسرار الاصطراع القائم بين البؤس والرخاء ، والكفاف والاسراف ، والحرمان والتخمة .

وهذه التطورات الاجتماعية التي هي دعامة الاستقلال السياسي في العصر الحديث ، لا يقوى الادب المهجري على تحسسها الا اذا عاش تجاربها . ولكن طول عهده بالاغتراب ابعده عن التحسس الواقعي بينما ظلت صورة المجتمع القديم عالقة في ذهنه ، فقام يعالج البؤس والفقر والحرمان بالدعوة الى الخير والاحسان والشفقة والحنان ، مع انه ليس هناك اريحية وعطاء ، وانما هو حق متحتم الاداء والوفاء ، ومتى استرد الحق حقه بتشريع مفتوح العينين لم تبق ثمة حاجة الى الاستعطاف واستجداء اكف الرحمة والمروءة ..

* * *

ولا شك في انني اظلم صديقي واخي الشاعر القروي الذي شاء لي الحظ ان اقاسمه طعم الغربة ووحشة الهجرة ولظى الشوق والحنين . ونتساقى ماتستدره من الشؤون والشجون وان ارافقه مدى ثلاثين عاما في حلبة النضال القومي والجهاد الادبي ، لاشك في اني اظلم هذا الشاعر العبقري اشد الظلم لو قصرت كلامي على زأراته الوطنية الحماسية في (الاعاصير) و(الزمازم) التي رفعته الى الذروة ، فما جاوزتها الى اغاريده الوجدانية والتأملية والحكمية والفلسفية والغزلية والصوفية التي تسمو بروعتها وقوتها ونشوتها ، ورواها وصفائها ، واضوائها وافيائها ، ووثباتها وانطلاقاتها ، حتى لتبدو في الناحية الشعرية ، ضرة مغناجا . ومنافسة ملحاجا مزعاجا لدرة القروي في (الاعاصير) و (الزمازم) بل كان القروي المجلي في هذه ، يسابق القروي المجلي في تلك .

ولكنني لحظت آسفا ان معظم رجال الفكر والادب الذين زاروا الشاعر القروي بعد قدومه من المهجر البرازيلي الى دمشق ، انما تحدثوا اليه حول شعره الوطني الحماسي وقلما تطرق احدهم الى الحديث عن روائعه الشعرية الاخرى التي كان القروي يضطر احيانا الى ترديدها فيصغون اليها محجبين اعمق الاعجاب .

غير اني لا الومهم اذا جهلوا هذه الروائع من قصائد القروي ، فديوانه العظيم الذي يضم سبعة دواوين متعددة الموضوعات والغايات ، مما نظمه الشاعر حتى ١٩٥٢ ، طبع في

البرازيل، ولم يعرض في مكتبات البلدان العربية، حتى تتناوله الايدي وتطالعه الجماهير ويعم انتشاره كما انتشرت قصائد ابو ماضي في ديوانه الجداول والخمائل الذين تجدد طبعهما في الوطن العربي. وهذا يعني ان ديوان الشاعر القروي الكبير، كادت تنحصر نسخه فيمن اهديت اليهم وهؤلاء عددهم محدود. وفضلا عن هذا، فلو ان صاحب الديوان شاء ان يعرضه للبيع في المكتبات العربية لتعذر على كل اديب ان يشتريه، لان سعره سيكون فوق طاقة الادباء والجماهير بالنظر الى حجمه واناقة طباعته.

كتب الي صديقي النقادة المشهور الاستاذ رضوان ابراهيم من القاهرة، يلفت نظري الى هذه الناحية ويقول «... وبرغم شعبية الشاعر القروي ونضاله من اجل القضية العربية والوحدة بالذات، فان عذر جماهيرنا اذا جهلته، ان شعره لم يقع في متناولها كما وقع شعر ايليا ابو ماضي مثلا. فان دواوين القروي الاولى نشرت في وقت باكر قبل الالتفات الاخير الى المهجر. ثم كان المفهوم ان يعاد طبع هذه الدواوين كلا على حدة، اما تكديسها في مجلد ضخم يعز الحصول عليه فذلك مما يسم شعره بارستقراطية هو بريء منها بلاشك. وشعر مابعد الديوان لم يجمع بل هو متناثر في صحف المهجر، وهي كذلك عزيزة على القراء هنا.

«فلو ان الدولة اعادت نشر دواوينه الاعاصير والزمازم والموجات القصيرة مثلا ثم جمعت اشعاره في السنوات الست الاخيرة واذاعتها على الناس، لكان للقروي عند الجماهير شأن يغطي على الشعراء البارزين منذ الجيل الماضي. فان في جرأته وقوة تعبيره وايمانه بقضية العروبة مايرفعه الى مرتبة الابطال»

والاقتراح وجيه، والنظرة صائبة فجماهيرنا العربية في الاقليم السوري نفسه، لم تتعرف بالشاعر القروي بعد قدومه الى الوطن، الا عن طريق الاذاعة والصحافة، لاعن طريق ديوانه فما القول في جماهير الاقليم المصري والعراقي والاردني والسعودي والمغربي؟

* * *

ولنا رجاء ياسيادة وزير الدولة،

لنا رجاء ياوزيرنا الحبيب صلاح الدين البيطار، ان الادب المهجري، المتحرر الحي ليقدر لكم ابلغ تقدير، تكريمكم الباذخ لشاعرنا القروي واخواننا في المهجر يشاركوننا في هذا التقدير وهذا الشكر.

ولكننا نرجو ان تضيفوا الى يدكم السالفة يدا جديدة، لا للقروي ولا لنا، بل لجماهيرنا العربية المنتشرة من شطآن المحيط الاطلسي الى اسياف المحيط الهندي.

هذه الجماهير المتوثبة للحرية والمجد، لم تسمع صوت الشاعر القروي ولم تنتش نفوسها بخمرته القدسية. ان الشاعر القروي كان في حياته المسلكية صوفيا مثاليا، وكان في الدعاية لشعره صوفيا مثاليا. ورعى الله شاعرنا الملهم جورج صيدح، ان عرف جماهيرنا فضلا عن اعلامنا ومفكرينا بادب المهجر وادباء المهجر. لا اقول انه اسدى اليهم يدا تنطق بفضله والمعيته واريحيته، ولكني اقولها صريحة انه اسدى الى التراث الفكري العربي هذه اليد النبيلة السخية بندى القومية والادب.

ورجاؤنا يا وزيرنا الحبيب ان تطلقوا ديوان القروي من اساره، وان تنتزعوا الكمامة من فمه، ليصل صوته المجلجل الى كل اذن، وينتفض في كل قلب، ويلمع في كل ذهن.

في ديوان الشاعر القروي سبعة دواوين وهي البواكير والاعاصير والزمازم والمحافل والمجالس وزوايا الشباب والموجات القصيرة والازاهير، وهنالك الديوان الثامن اي منظومات السنوات الست الاخيرة وهي مبعثرة هنا وهنالك.

رجاؤنا ان ترعى الدولة هذا الموضوع الجليل، فتقرر اعادة طبع الدواوين منفصلة مستقلة، حتى يتسنى لكل قارئ عربي في اي مكان، ان يغترف من بحر القروي، وان يكشف عن كنوزه.

وانها لمأدبة ادبية عبهرية عبقرية، باذخة شامخة، تقدمونها مشكورين مبرورين لجماهيرنا الجائعة الى خبز الحياة وكأس النور..

حمص نظير زيتون

«.. وما وقفنا عليه في هذه المجموعة ليحمل على اليقين عقلاً وقلباً. ان القصة في الاقليم السوري قد استقرت على قدميها.»

من مقدمة الاستاذ احسان سركيس لمجموعة القصص الجديدة

«احزان الرجل الصغير»

لعادل ابو شنب

التي تصدر عن «دار التوزيع العربية».. قريباً

وطن... «الشاعر القروي»

بقلم

الدكتور جودة الركابي

غادره وكان شاباً يافعاً في السادسة والعشرين من عمره، وكانت رؤاه، رؤى الوطن، تداعب عينيه، وكان قلبه ينبض على آخر نغمة بلبل سمعها في الصنوبرة الوحيدة التي نام بها ليال قبل ان يغادر الوطن. لقد كان ذلك سنة ١٩١٣ عندما القى نظرة الوداع من خلال الدموع على ذلك الجبل الشامخ وقد توشح بغلالة الصباح الرقيقة بينما كانت الباخرة ترسل نعيبها المفجع وهي تغادر مرفأ بيروت القديم. ولعله كان هناك ام واصدقاء يلوحون بمناديلهم الحمراء المزركشة وهم يبكون... لقد غادر الشاعر الوطن ومعه أخوه يشده اليه في حنان، ومعه ايضاً كل الذكريات الحبيبة التي ستنعش حياته طوال غربته، غادر الوطن ومعه كل ما في قريته الساذجة من حب وبراءة وشجاعة وصوت شجي، غادر الوطن بعد ان مرّغ جسمه بترابه واحتسى من رحيق نداه وملأ رئتيه بعبير هوائه، لقد كانت لياليه الأخيرة قبل سفره ابتهالة العابد، وما عرفت عابداً في سن الشباب يعطي معبوده ما أعطاه شاعرنا من حب... فاذا قال شاعرنا لقد كنت قبل سفري اقلب جسدي على صعيد وطني الطيب تقليباً، وكنت اشم حصاه وترابه وأرتشف الندى من عيون أزهاره، فانه لصادق فيما يقول. فقد ارتحل عن الوطن وكأنه اقتلع جسده من الارض التي احبها اقتلاعاً..

وكان عليه ان يفعل ذلك، اذ كان للهجرة دواع كثيرة في نفسه، واهمها انه تلفت حوله فلم يجد أباً، لقد مات منذ ثلاث سنوات وترك مع الوحشة ديوناً لا يرجى وفاؤها... ولعله تلفت حوله ايضاً فوجد وطنه يئن في عذاب الظلم والجور والجهل والفاقة ورأى الطغاة يعيثون فسادا في الارض، ورأى الحرية مضرجة بدماء الشهداء، فليرحل عله يعيد برحيله وأوبته المرجوة ما يحلم به لهذا الوطن من حرية ولأهله من سعادة وسعة في العيش.

وهناك في البرازيل لم تغب عن خاطر الشاعر صورة وطنه الحبيب فأخذ يذكره في اغانيه واشعاره واخذ يصور آلامه وينفخ روح الحياة في اهله وقد تركهم خانعين قد سيطرت عليهم ادران ماض مؤلم وعبثت بارادتهم سياط الظالمين.

وينتاب وطننا العزيز ما ينتابه من عذاب جديد بعد الحرب العالمية الاولى على يد المستعمرين الفرنسيين فيقف شاعرنا ليصور جراحات الوطن متلهفاً مشفقاً، وأنت ترى خلال هذا التلهف تلك الرنة الصادقة التي تصور اخلاص الشاعر لوطنه وحبه له فيقول من قصيدة طويلة:

لهفي على بيروت تصبح مسرحاً
لمغارم الغازي وعهر بناته
فردوس أملاك يضم أبالساً
وتعذّبُ الأبرار في جناته
قالوا أنعشقه وهذي حاله
يا حبذا وطني على حالاته !
العيش حلو في سبيل رقيه
والموت أحلى في سبيل حياته

ويبقى الشاعر خلال هذه الفترة يردد آلام وطنه ويصور بطولات ابنائه فلا تمر ثورة من ثوراته الا ويخلدها بشعره، وقد قال كثيراً من الابيات في تمجيد الثوره السورية التي نشبت سنة ١٩٢٥، ولعلّ قصيدته التي وصف بها زحف القائد سلطان باشا الاطرش على السويداء تعد من اروع القصائد الوطنية التي قيلت في هذه المناسبة ففيها يقول:

خففت لنجدة العاني سريعاً
غضوباً لو رآك الليث ريعا
وحولك من بني معروف جمعٌ
بهم وبدونهم تفني الجموع
ومذ هطل الرصاص عليك سحا
كوسمي جليت به ربيعا
زعقت بمثل فرخ النسر طرف
يحن اذا رأى سهلاً وسيعا
يحن الى الوغى تحنان أم
بحضن غريبة تركت رضيعا
فطارلها كأنك مستقل
جوانح شاعر ذكر الربوعا
فيا لك غارة لو لم تذعها
أعادينا لكذبنا المذيعا

ويا لك « أطوشاً » لما دعينا
لثأر كان أسمعنا جميعا !
فتى الهيجاء لا تعتب علينـا
وأحسن عذرنا تحسن صنيعـا
عوسـتم بهـا أيام كنا
نمارس في سلاسلنا الخضوعـا
فأوقدتم لهـا جثثاً وهاماً
وأوقدنا المباخر والشموعـا
اذا حاولت رفع الضيم فاضرب
بسيف محمـد واهجر يسوعا

وقـد كان التآخي هدفـه في الوطنية، وهو يرى ان حب الوطن يجب ان يوحد بين جميع افراد الشعب مهما اختلفت طوائفه، ولذا كان يرى ان الوطنية خـير وسيلة للتآلف، وهل كانت البلوى تقتصر على افراد دون آخرين عندمـا تحل بالوطن نازلة من النوازل ؟ فجدير بنا اذاً ان نختار حب الوطن عقيدة لنا وديناً وان ننبذ الطائفية التي تفرق بيننا وتهددنا بالدمار، ان هـذه المعاني قد اوضحها في قصيدته التي رثى بها شهداء العروبة والتي قال فيها هـذا البيت مخاطباً جبل المشنقة :

أكرم بجبل غدا للعرب رابطة
وعقدة وحـدت للعرب معتقدا

اجل ان العروبة هي اللواء الذي يجب ان يظلل جميع العرب، مسلمين ومسيحيين، ما دمنا جميعاً قد اشتركنا في تقديم الضحايا فداء لهذا الوطن العربي الذي يضمنا ويحـدب علينا، ان الشاعر يردد هـذه المعاني في كثير من القصائد ولا سيا في قصيدته « عيد الاضحى » فيقول :

ليس للاسـلام او للعيسويه
ما بهـذا العيد للدين مزية
نحن والاسلام في الاضحى سواء
قد تقاسمنا الضحايا بالسويـة
« محمصانيتكم » ترثي اخاهـا
مثلما تبكي اخاها « الخازنية »
عدّلوا المعنى قليلاً يلتئم
شملنا تحت لواء العربيـة
ما أضاحي عرفـات ومنى
بل ضحايا الشام بالمجـد غنية
ليس من ضحى بكبشيَ غنم
مثل من ضحى بنفس بشرية
أين من أدى زكاة من فـتى
جـاد للأمة بالروح الزكية
ان (بالمظمة) أعلى مثـل
للفـدى تنشده النفس الأبية

وهكذا ظل الشاعر في « أعاصيره » و « زمازمه » يضرب على وتر الوحدة الوطنية، ويهب وطنه أصدق نبضات قلبه وأرفع روائع أناشيده، وكان في كل هـذا يبعث في ابناء وطنه العزة والقوة وينفخ فيهم روح الاباء والكرامة، وكان يألم أشد الألم لرؤية بعض المنافقين وقد باعوا ضمائرهم وهانت عليهم نفوسهم يتمرغون على اعتاب الاجنبي فكان يصيح بهم وفي نفسه هزة من الالم لا تبيد فيقول :

أرى الناس قدعافوا السجود لربهم
فمـالي أراكم للصعاليك سجّدا

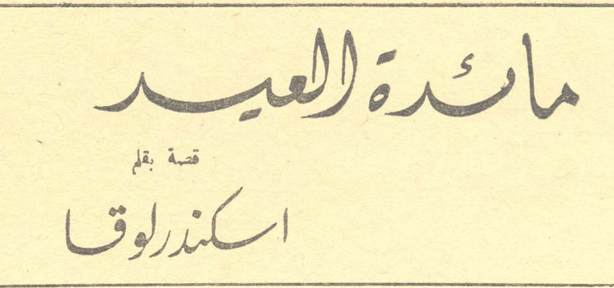
وقد قال بعض القصائد التي كانت سياطاً لاذعة في أجسام أولئك الذين خدت ضمائرهم فكشفت عما يجيش في نفس الشاعر من لهيب وضرام للمجد ولذا اخذ يردد على مسامع مواطنيه من اقاصي المهجر اغاني البطولة لعلمه ان النضال الوطني خير حافز للمرء على ارتياد مناهل العز والكفاح :

وقد يُكسب الخطبُ النفوسَ مناعة
ويضرم ذكرُ العزّ ما الذل أخمدا

هذه النفحة الوطنية تنسم أريجها كل من قرأ ديوان شاعرنا الضخم فقد أودعه عصارة نفسه وهامت روحه حباً بالارض التي أنبتته والسماء التي اظلت طفولته وشبابه والبطاح المعشوشبة التي ضمت حبه وشقاءه ...

لقد كان للشاعر امنية هي ان يرى هذا الوطن مرة ثانية ويعيش فيه عيشة اخرى ليقبل التراب الذي غذّى تلك الصنوبرة التي ضمت عشه وعوده وقنديله قبل رحيله ... وها هو ذا يعود اليوم الى دمشق بلده، ويجب ان يرى تلك الصنوبرة، ولكن اولئك العملاء المنافقين قد ارادوا ان يقيموا بينها وبين دمشق اسلاكاً شائكة وحراباً لمستعمر ..

البقيـة على الصفحة « ٤٤ »



قبل العيد بعدة ايام كان « ابو فارس » يقف امام جام احد الدكاكين في سوق الحميدية، يستعرض مجموعة من الالعاب ذات الالوان الزاهية، التي يلهو بها الاطفال في بيوت الناس. وكان يخيل اليه اذ ذاك انه في بيته وان الالعاب التي يرى اليها من وراء الزجاج في ايدي اطفاله الثلاثة الصغار يلهون بها. واما الضجة التي كانت تصل الى اذنه من جميع اطرافها او تأتيه من الشوارع الجانبية التي تحد سوق الحميدية. فقد خيل اليه انها صدى الفرحة التي استقبل بها اولاده مجموعة الالعاب وقد احضرها لهم قبل العيد.

في العام الماضي استطاع « ابو فارس » ان يحضر لهم بعض الالعاب، ولم تكن ذات قيمة بالغة. اذ استطاع قبل حلول العيد ان يستدين من احد معارفه مبلغاً من المال وبعد ذلك اعاده له. ولم يكن يشغله كثيرا ان يستدين اي مبلغ في العام الماضي، واما في هذا العام فانه لا يستطيع ان يفعل ذلك نظراً لانه عاطل عن العمل. بيد ان بريق الالعاب التي كانت تبدو له من خلف الزجاج كان يشابه بريق الفرحة التي التمعت في عيون اطفاله في العام الماضي وهم يستقبلون مجموعة منها. وعلى ذلك كان يشعر في اعماقه انه لا بد من الحصول على بعضها في هذا العام ايضاً. واما كيف فان ما سمعه من زوجه « ام فارس » كان كفيلا بأن يؤمن لاسرته في ايام العيد ولو قليلا من اوقات السرور.

قالت له زوجه « ام فارس » مساء الليلة السابقة بأن جارهم « ابو خالد » قد نقل الى المستشفى اثر اصابته بحادث دراجة نارية، وان حالته خطيرة وسيبقى كذلك ريثما يعطى قدراً من الدم بدل الكمية التي نزفت منه في الطريق خلال نقله الى المستشفى. وجال خاطر في ذهن « ابو فارس » وهو انه في اليوم التالي سيذهب الى المستشفى ليقدم كمية من دمه لانقاذ جاره « ابو خالد »، وانه بهذه الطريقة سوف يحصل على مبلغ من المال يشتري به الالعاب التي لا بد ان يحصل عليها وان يحضرها الى اولاده.. حتى اذا سألوه « هل اتيت لنا بألعاب العيد يا بابا ؟ » استطاع ان يجيبهم بنعم ويريح ضميره.

في اليوم التالي ذهب « ابو فارس » الى المستشفى وكان الوقت صباحا، فاستقبله الحاجب بوجهه الاسمر وتقطيبة حاجبيه على باب المستشفى، وطلب اليه « ابو فارس » ان يسمح له برؤية جاره « ابو خالد » ولكن الموعد لم يكن مخصصا لاستقبال الزوار فامره الحاجب ان يعود بعد الظهر. الساعة الواحدة والنصف! واعتقد « ابو فارس » بان المهمة التي كان يسعى لانجازها هي واجب تفرضه عليه علاقات الجوار « ابو خالد » الذي لم يتوان مرة واحدة عن مساعدته في الاوقات التي كان فيها بحاجة الى مساعدة. وهو لا يزال يذكر ذلك اليوم الذي حضرت فيه لجنة حكومية الى بيته لتنفيذ قرار بالحجز، ولكن « ابو خالد » خرج من بيته وكان قد سمع بالنبأ، فاستقبل لجنة الحجز واعطاها المبلغ المطلوب من « ابو فارس » ولم يسترده منه، ولم يتسن له بعد ذلك الحين ان يجيب على تلك الشهامة. واما اليوم فانه يستطيع ان يفعل شيئاً ويقابل شهامة «ابو خالد» بشهامة من عنده. وما لبث ان قفل عائدا الى المستشفى وكان قد تذكر بانه قال للحاجب بانه يود زيارة « ابو خالد » في حين ان مهمته في الواقع لم تكن القيام بزيارة وانما لبيع الدم اللازم لانقاذ جاره وسمح له الحاجب بعد اجراء اتصالات مع المسؤولين. وبعد الاجراءات الصحية في حجرة كتب عليها (مخبر رقم ٦) ادخلوه غرفة جدرانها خضر وفيها سرير ابيض طويل وبعض الآلات تتدلى من السقف ولم يكن قد رآها في حياته من قبل. ثم دخل احد الاطباء ومعه ممرضتان، فمددوه على السرير وبدأوا بالبحث عن شريان في ذراعه اليسرى ثم انتقلوا منها الى الذراع اليمنى حتى استطاعوا ان يعثروا على احدى تلك العروق، فادخل الطبيب فيها ابرة دقيقة وطويلة وراح يسحب كمية الدم المطلوبة في جوف زجاجة اسطوانية كانت تلي الابرة، وكان لون الدم احمر قانيا. واحس «ابو فارس» بدغدغة تسري في عروقه الاخرى وبأن شيئا ما كان يتسلل الى جسمه بدل أن يشعر بعكس ذلك، ثم انتهى الامر بسهولة ولم يشعر بادنى احساس مؤلم.. بل على العكس من ذلك فقد كان يراوده احساس بلذة، بنفس اللذة التي تشعر بها الام المرضعة حينما يكون فم رضيعها مطبقا على ثديها يمتص الحليب..

ثم خرج « ابو فارس » الى الطريق وهو يشعر بخفة لم يكن يشعر بها من قبل. وغمرته نشوة لوفائه دين صاحبه ومن ثم لتوفر المال لديه لشراء الالعاب. وعاد الى بيته ولم يعلم زوجه بما فعل. ولكنه اخبرها بنتيجة المقابلة التي اجراها مع احد اصدقائه بعد خروجه من المستشفى وما دار بينهما من اجل العمل. وكان صديقه قد وعده بان يجد له عملا في المعمل الذي يشتغل فيه. ولكن موعد العمل اعطى له بعد ايام العيد. ثم دار بينهما حديث طويل عما يتطلبه العيد من الالبسة الجديدة ومن الالعاب الجديدة ومن المأكولات الشهية المتنوعة التي اعتاد الناس المترفون ان يضعوها على موائدهم في ايام العيد.. بالاضافة الى الحلويات.. وهي الحلم الذهبي الذي يراود مخيلة الناس البسطاء والفقراء منهم قبل كل عيد.

ولدهشة « ام فارس » وجدت زوجها يبتسم ابتسامة عريضة ويطمئنها بان كل ما تشتهيه سوف يتحقق وان ذلك لن يكلفه سوى.. و.. وحاول ان يشرح لها الامر بيد انه آثر الصمت، وحينما سألته زوجه ان يتابع كلامه قال لها: الله كبير ولا ينسى المساكين.

ولم تكن « ام فارس » معتادة على التدخل في شؤونه الجزئية فتركته وقابلت ابتسامته بدعاء طويل صدر من اعماقها بان يطيل عمر زوجها ويوفقه ويقوده الى ما فيه خير الاسرة والاولاد.

في اليوم التالي كان « ابو فارس » يقف امام دكان ويستعرض من جديد تلك المجموعة من الالعاب التي شاهدها بالامس في سوق الحميدية. وكان في جيبه المبلغ الذي حصل عليه ثمنا لدمه فدخل الدكان وطلب من البائع ان يلف له مجموعة انتقاها، واخذ الطرد تحت ابطه وتوجه من فوره الى البيت وسلم الالعاب لزوجه وقال لها ان تضعها في مكان خفي لئلا يراها الاولاد وذلك بغية مفاجأتهم بها يوم العيد.. ولم يكن يحمل في ذهنه حينما ابتاعها اي خاطر عن الحديث الذي جرى في اليوم السابق عن الالبسة الجديدة. والاطعمة الشهية، ولكن ما هي الا ان قفزت صورة الغرفة الخضراء امام عينيه، ولاح له وجه الحاجب خلف باب المستشفى بسمرته وتقطيبة حاجبيه

وهو يسأله ماذا يريد او يخبره بان الوقت ليس مخصصا للزيارات . وهان بذلك الامر عليه . .

ولكنه فوجيء بامتناع الطبيب عن سحب كمية اضافيه من دمه ، واذ كان مصمما على ان يضع على مائدة العيد المأكولات الشهية والحلويات التي لم يذقها طفلاه الاخيران منذ ان ولدا ، استقل سيارة ركاب وتوجه صوب المستشفى الذي يقع خارج المدينة . وفي المستشفى قابل الطبيب ، وحينما ابلغه بان الكمية المتبقية من الدم في جسمه تكاد تكفيه ، قال له بان حياة طفله الصغير اغلى من حياته . فصدقة الطبيب وسحب قدرا اخر من دمه بحيث لا لايهدد سلامته ، وقبل ان يخرج نصحه بان يستريح ويحصل على «فيتامينات» حينما يتمكن من ذلك . . ! !

وقبل حلول العيد بيوم واحد احس « ابو فارس » بانه لم يعد يملك قواه جيدا ، وان ركبتيه كانتا تتخلخلان حينما كان يهبط على الدرج الخشبي ، وخيل اليه في بادىء الامر ان الدرج لم يكن متبتا وانه – لقدمه – بدأ يترجرج تحت ثقل اجسام الصاعدين والهابطين . ولكن تبين له فيا بعد بان ركبتيه هما اللتان كانتا تهتزان ! وقبل ان يبلغ اسفل الدرج احس بان قواه قد خارت تماما وانه في حاجة الى مساعدة ليبقى واقفاً ، فجلس على الدرجة الاخيرة وراح يتنفس بصعوبة . وخيل اليه بان جدران المكان والسقف وباقي الحاجيات التي كانت مرمية على جنبات الدهليز بين اخر الدرجات والباب الخارجي كانت تدور في دوامة عنيفة . ولم تكد تمضي بضعة دقائق حتى فقد رأسه تماما ولم يعد يعي من الدنيا شيئاً .

وقضى « ابو فارس » ايام العيد الثلاثه والايام الاخرى التي تبعتها في فراشه ، وكان عزاؤه ان اطفاله كانوا من حوله يلعبون ويصرخون معبرين عن فرحتهم بالالعاب التي اتاهم بها قبيل العيد فبقى سر ثمنها مجهولا ، كسر الحلويات والفوزى والخشافات التي وضعت على مائدة العيد. ولم تكن تدري « ام فارس » بانها حينما كانت تضع تلك المأكولات والحلويات على المائدة ، أنها تضع دم زوجها عليها ثم يشرعون جميعا بادخاله الى معدهم .

وكان « ابو خالد » في ذلك الوقت قد غادر المستشفى معافى ، وفي اليوم الثاني من العيد زار جاره « ابو فارس » وسأله بانه سوف يحضر له طبيبا . ولم يمانع « ابو فارس » . ولما جاء الطبيب وفحص المريض التفت الى « ابو خالد » واعلمه بان صاحبه يحتاج الى كمية من .. الدم ..

ولم يدر « ابو خالد » لماذا سرت في بدنه رعشة حينما سمع بالدم .. اذ سرعان ما تذكر اقوال طبيبه في المستشفى بان احد اصدقائه منحه قدرا من دمه .. واصر على ان يبقى اسمه مستورا ..

دمشق « اسكندر لوقا »
من رابطة الكتاب العرب

اقرأ صباح كل يوم

الجمهورية

جريدة الشعب العربي في العراق

وطن الشاعر القروي

بقية المنشور على الصفحة (٤١)

ترى ايطمئن قلب الشاعر لهذا المنظر المفجع بعد خمسين عاماً من غربة مؤلمة قضاها في شحذ الهمم وارسال الصيحة تلو الصيحة ؟ !.

لا والله ان قلب الشاعر يخفق بالغيظ كما يخفق بالحب .. ولكن ، ما عرفنا لبنان الا عربياً ، وها هو ذا اليوم يتنفس بعد المحنة ، وستغمد الحراب في صدور الخونة الذين جاؤوا بها ..

سيعود الشاعر الى صنوبرته ليراها باسقة الفروع ، سيعود ليقول الى من لا تزال في نفوسهم بقية من جحود : أيستطيع العصفور ان يغرد وحيدا انشودة المجد ؟ تلفتوا ايها الجاحدون هل ترون الا قلوباً تنبض بحبكم ، فما لكم تصغون الى الشيطان وتنسون دماءكم ولغتكم وارضكم العربية؟

سيرحل بعد قليل الاسطول الذي اغراكم ، وسيكون على سارية احدى مدمراته طائر بشع مفزع ، وهو غراب اسحم نشر الخراب والبغضاء بينكم ، سيرحل معه ولكنه لن يعود لان لبنان سيعود اليه اخضراره ، لبنان جنة خضراء لا تعيش فيها الا طيور الفرح والامل والسعادة ...

يا شاعرنا القروي ستعود الى لبنان لان لبنان سيعود الى العروبة .

جودة الركابي

مجلة الثقافة

دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

توزع في الاقليم السوري والاقليم الجنوبي

والكويت وقطر والبحرين

بواسطة

دار التوزيع العربية

دمشق ـ ساحة المرجة

هاتف ٢٠٢٢٣ ـ ص . ب ٢٥٨٠

كيتيه كولفيتس

خلود الفن في اصالته وانسانيته

بقلم
منير سليمان

الفن بطبيعته خالد يعمر على مر الدهور، واذا رأينا فناً يلمع فترة من الزمن ثم يخبو فذلك لانه ليس بالفن الاصيل، الفن الذي يعيش حياة قصيرة اشبه بحياة الفراش. تبدو لماعة في فصل من فصول السنة ثم لاتلبث ان تخبو اذا انقضى هذا الفصل وتغدو شيئاً منسياً وكذلك البهلوان الذي يغري الناس بعبقرية مزيفة وينتزع اعجابهم، ولكن هذا الاعجاب لايلبث ان يتلاشى ويذوب حين يغيب هذا البهلوان عن انظار الناس.

فالفن بعيد جداً عن عبقرية الفراش الغابرة التي لاتدوم اكثر من فصل من فصول السنة، كما انه بعيد جداً عن عبقرية البهلوان التي تختفي باختفائه عن انظار الناس. فالفن ليس خفقة عابرة لاتلبث ان تتلاشى في الظلام، وليس هو قفزة بهلوان يطويها النسيان بل هو فن خالد يغذيه الفنانون بعرقهم ودمائهم ويصبرون عليه سنوات حتى يغدو شعلة تضيء وتسري حرارتها الى الاجسام فالفنانون الاصيلون هم اولئك الموهوبون الذين جدوا وكدوا بصمت وسكون حتى نبت فيهم ونما واينع وبات دوحة باسقة يستظلها الفنانون على غابر الدهر. فالفنان الاصيل حي خالد لايموت من هؤلاء الفنانين الفنانة كيتيه كولفيتس وهي من جمهورية المانيا الديموقراطية ولدت في الثامن من شهر تموز عام ١٨٦٧ في مدينة كونيكسبرغ واستهواها الفن منذ حداثتها فأنكبت على التزود من مناهلة فأبدعت في عام ١٨٩٢ لوحة سمتها (ترحيب) صورت فيها بخطوط ناطقة مايجيش في صدور الاباء من عواطف الحب والحنو والرحمة وصورت فيها ما يتجلى في وجوه الاطفال من المرح والفرح والابتهاج ثم ابدعت لوحة سمتها (فتاة تصلي) فنفذت في هذه اللوحة الى قلب المؤمنة التي يعمر قلبها الايمان وفتحت من هذا القلب مايجيش به من خواطر عن عالم يخضع لسلطان السماء وانطقت هذه الخواطر بخطوط تجلت ناطقة في وجه الفتاة ويديها المضمومتين الى صدرها. ثم ابدعت لوحة صورة فيها نفسها وفي هذه الصورة تقرأ حياة هذه الفنانة وتتعرف الى مايضج في قلبها من المشاعر والخواطر ومايرافقها من قلق دائم على مصير الانسانية والانسان



وقد حلقت كيتيه كولفيتس في صورتها التي سمتها (عند جدار الكنيسة) اذ صورت في هذه اللوحة ما يجيش في قلوب

الناس من ألم عميق على مصائرهم ، واشارت الى هذا المصير المخزي بأن جعلت الصورة تخفي وجهها بيدها خجلاً مما تحسه في قلبها من ألم ممض يبكي مصير الانسان.

وبعد ذلك ابدعت هذه الفنانة عدة لوحات تجلى فيها الفن الاصيل الخالد مثل لوحة (الموت) ولوحة . (نهاية) و (الحراثون) و (تسوية نتوءات المنجل).

هذا وقد حدث في حياة الفنانة كيته لوفيتس حادث هام اثر على مجرى حياتها الفنية بأسرها، وهذا الحادث انها تأثرت بأحداث عصرها الى حد بعيد واستخدمت فنها في شرح مايعتلج في قلب الناس من الآلام والامال، فصورت حياة الطبقة العاملة في بلدها وما تزخر به من المآسي والافراح وصورت بطولات هذه الطبقة ونضالها القاسي المرير في سبيل حياة افضل فصورت لوحة (زحف عمال النسيج) ولوحة (هيجان) ولوحة (الدعوة الى الثورة) و (تسليح في مفكرة) و (بدء الثورة)



وكان لهذه اللوحات وقع كبير في نفوس مواطنيها فانتخبت عضواً في اكاديمية الفنون عام (١٩١٩) ثم جاءت الحرب العالمية الاولى فأثرت في نفسها ابلغ الاثر وانعكس هذا الاثر فيما صورته من لوحات امثال لوحة (فيننا تموت) و (الضحية) و (الامهات) و (الذين كتب لهم البقاء) و (بطالة) و (لا نريد حرباً ثانية).

هذا الاتجاه الجديد في حياة الفنانة قد اكسبها شهرة كبيرة وصيتاً ذائعاً الا انه في الوقت نفسه جعلها عرضة لاضطهاد الرجعية الفاشستية في المانيا فنحيت عن اكاديمية الفنون عام ١٩٣٣ .

غير ان هذا الاضطهاد الاسود مازاد الفنانة الا مضيا في طريق التقدمية وخدمة الانسانية فقد اتسع افقها واخذت تصور بريشتها احداث المانيا ومن خلالها تنفذ الى قضايا الانسانية بأمرها فتصور مايقف في طريق تقدم الانسان من موانع وعثرات وتصور مآسيه واحزانه وما يحل به من كوارث ونكبات وتصور الحروب ونتائجها مما جعل الانسانية تسقط في وهدة البؤس والجوع والفقر والتشريد والشقاء .

بهذه الوسيلة باتت هذه الفنانة خالدة على الدهر لانها نفذت الى قلوب الناس جميعا وصورت مايعتلج فيها من الآلام وماتصبو اليه من الاحلام . فقد اغنت الانسانية بسجل فني حافل بما حدث في عصرها من الاحداث الخطيرة التي اثرت في مصير الشعوب كما اغنت الانسانية بسجل يزخر بما ينضح في قلوب الناس من الآمال التي يطمحون الى تحقيقها .

هذا السجل الحافل بآلام الشعوب واحلامها تراه كله معروضا في المتحف الوطني بدمشق حيث تعرض آثار هذه الفنانة الموهوبة الخالدة .

ويتميز في الفنانة كيته كولفيتس بأنها تعنى عناية كبيرة بالنور على قسميه النور الخارجي الذي يظهر الاشكال كما هي تماما في الطبيعة ومن ملك ناحية النور فقد ملك الفن بأسره، لان اي فنان لايستطيع رسم خط بدون نور، بل الخط نفسه لايبين ويتضح بلا نور ، والاحجام والالوان والخطوط والسطوح لايتميز بعضها من بعض الا بالنور ، وما الظل الا نور يحتجب من جانب ويشع من جانب فهذا مايتعلق بالنور الخارجي وقد برعت كيته كولفيتس باستخدامه وتجلى ذلك في جميع لوحاتها المعروضة ثم هناك النور الداخلي وهو قدرة الفنان على النفوذ الى قلوب الناس واستخراج مايعتلج فيها من آمال وآلام واظهار هذه الاشياء المجردة وتجسيمها على هيئة خطوط في وجوه الاشخاص بل تحليل ما يضطرب في عقول الناس وافئدتهم من خواطر وافكار وآراء ومذاهب واظهار هذه الاشياء جميعا بشكل خطوط والوان وجعلها خطوطا والوانا ناطقة تحكي هذه الاخطار جميعا .

ونظرة سريعة تلقيها على لوحات الفنانة كيته كولفيتس يتضح لك مقدار ماتحويه من قدرة فائقة على استجلاء آراء الناس وخواطرهم في عصرها فهذه لوحة فتاة تصلي وهذه لوحة

البقيـة على الصفحة « ٦٠ »

الشاعر القروي من خلال رسائله

بقلم

سعد صائب

لا احسبني غلوت حين كتبت ذات مرة اصف « الشاعر القروي » حسبما تراءى لي من خلال شعره ، بأنه هو وحده ـ من بين شعراء جيله ـ الذي ادى رسالته على خير ما يكون الاداء ، وقام بواجبه بما لم يدع زيادة لمستزيد ، فهو منذ ان احس بوجوده كشاعر عربي ملهم ، وربط مصيره بمصير امته التي انجبته ، وادرك التبعات الجسام الملقاة على عاتقه حيالها ، وراح يستوعب عواطفها ، ويبلور في ذاته الخيرة الخصبة اهدافها ، ويستلهم مثلها ، ويتفاعل مع آمالها وطموحها ، تفاعلاً ايجابياً عميقاً حياً ، غناه بشعره احلى ما يكون الغناء ، وترجمه بمنظومه اوقع ما تكون الترجمة .

ومن المدهش حقاً ان لوعة شاعرنا الفذ على امته ما تلطفت قط ولا ونت ، بل نراها تزداد استعاراً واضطراماً ليس في شعره فحسب ، بل وفي رسائله التي كتبها الى اصدقائه ايضاً ، فلم يخب في قلبه الكبير المثل الاعلى الذي صبا اليه بعد ان عمر وجوده ، ولا اختفى ذلك النور الذي تلألأ على شعره بعد ان ارتسم على صفحة حياته الحافلة ، بل ظل يجود في رسائله كما جاد في شعره في تألق وقوة وصفاء ، وظل يهدر برسائله كما هدر في شعره بعد ان جسدهما في ذاته . وليس بوسع دارس شخصية « الشاعر القروي » اهمال تلك الرسائل ، لانها جزء لا يتجزأ منه ، تتفاعل بتلك الخاصية النادرة التي عرف بها في شعره ، وتمتزج فيها امتزاج حس ووجدان ، بل ان رسائله تكاد تكون مظهراً من مظاهر شخصيته ، بل هي ـ بعد شعره ـ ابرز مظاهرها .

ونعني بالرسالة هنا ، الخطاب المكتوب في غرض جزئي يبعث به صاحبه الى آخر ، ولقد عرفت الرسائل منذ الجاهلية في بعض البيئات التي عرفت فيها الكتابة ، واخذ هذا الفن يرقى ويتنوع مع تقدم الحياة العربية ، حتى صار من اكثر فنون الادب شيوعاً ، وقد اشتهر عندنا قديماً نوعان من الرسائل هما : الرسائل الديوانية ، والرسائل الاخوانية ، فالاولى هي ما تصدر عن الدواوين او ترد اليها ، خاصة بشؤون الدولة وصوالحها ، تيسيراً للعمل وتثبيتاً للنظام العام . واما الاخوانية فهي ما يدور بين الافراد في تعزية او تهنئة او توصية او عتاب او شوق ، او تحذير او وعيد ، الى نحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الافراد ، لذلك كانت ادخل في فن الادب ، واقبل للتخييل [1] .

وليس من شك في ان للرسائل فوائدها التاريخية والاجتماعية والفنية فهي الى جانب استقطابها حادثة معينة من حوادث التاريخ ، وتصويرها ظاهرة بارزة من ظواهر المجتمع نراها تؤرخ كذلك روح الاديب او الكاتب او الشاعر ، وتكشف عن ذاته دون كبرياء او زيف . وقد اولع الناس بكتابة الرسائل لا ليتحدثوا عما يجري في المدن او القصور او الصالونات فحسب ، بل ليعبروا برقة عن افكارهم ، ويصوروا خوالج نفوسهم . وكلما تقدمت الحياة في مجتمع ما ونمت ، ساعد على كتابة الرسائل ، وكلما احسسنا في المحادثة والكلام بقيمة الاشياء التي نتحدث عنها ، ازداد حرصنا على الا نظهر في رسائلنا الا الاشياء الجميلة المفيدة ، وليست الرسائل في الواقع مؤلفات ادبية لها من القيمة ما للمؤلفات ، ولكن قيمتها تعظم بما تحتويه من فوائد تاريخية ، او بما تتضمنه من جمال او حركة داخلية نفسية تنبىء عن كاتبها ، كما تعظم قيمتها ايضاً اذا كان الكاتب ذاته قد احتل مكاناً مرموقاً في حياة مجتمع عصره .

ولقد وجدت في القرن السابع عشر ظروف اجتماعية مواتية ادت الى ظهور الرسائل ، اذ اعتاد الناس في الصالونات على التحليل الاخلاقي لمعاصريهم ، ولذا نجد ان كبار الكتاب والشعراء امثال « راسين » و « بوالو » و « بوسويه » قد خلفوا رسائل جمة ، كما خلف اديبات اقل منهم شأناً « كمدام دوسفينيه » و « مدام دولافييت » و « مدام دومانتوتون » رسائل مماثلة كان لها اثرها في الحياة الاجتماعية في عصرهن وما تلاه .

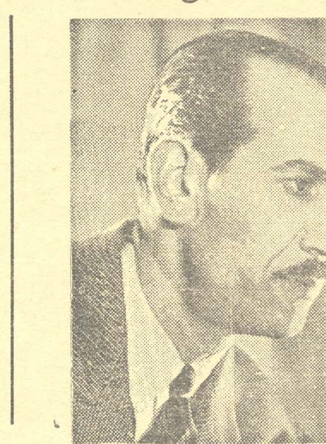
ولم تكن رسائل « مدام دوسفينيه » وهي ابعدهن في كتابة الرسائل صيتاً ، مجرد دفقات عاطفية سطرتها على الورق او مواضيع انشائية ، او قطع ادبية احسنت سبكها ، بل كانت في الواقع عملاً فنياً رائعاً ، سكبت فيه عصارة فكرها وخيالها وقلبها ، فجاءت رسائلها مؤرخة لروحها ، معبرة عن نفسها بكل ما تزخر به هذه النفس من طلاقة وسحر وحساسية

---

(١) راجع كتاب « الاسلوب » تأليف احمد الشايب - الطبعة الرابعة ص ١١٣ - ١١٤

دافقة (٢)

ولعل من الشائق ان نعرف الآن كيف استغل « الشاعر القروي » موهبته الخصبة في رسائله ، وان نحـــدد تجربته الوجدانية والقومية في مجال هذه الرسائل ، وان نستجلي علاقتها بدقة تعبيره عن عواطفه ، وقدرته في تأدية المعاني السامية لحياة امته وحياته ، وعمق تجاوبه في كتابتها مع القيم التي يؤمن بها ، وتوضيحه مايعمر به قلبه الكبير من ظمأ لايرتوي الى المحبة . وتفاعلها مع شعوره الروحي ، وانسجامها مع نزعته الانسانية الصافية . وليس أدل على ارهاف شعوره ، وعمق لوعته وسمو عواطفه وشمولها واتساعها من هذه الرسالة التي استعرت بنيران حبه لامه وزخرت بألمه العظيم على فقدها وقد بعث بها الى صديقه الشاعر « نعمة الحاج» وهي جواب على رسالة وردت اليـــه يقول فيها :



اخي الاعز نعمة : لم يخامرني شك في انك تبادر الى ارسال البلسم . اجل لم يكن حزني على امي تفجعاً . ولم اعول وراء نعشها كالطفل . ولكنه حزن يطول لانه يمشي الى منتهاه على مهل .. قريباً ينقضي شهران على وفاتها . ولاازال اسعى الى قبرها وفي يدي حبقة او وردة او طاقة ياسمين . وقد صرت لا ابخل بالدمعة على كل ضريح من اجل ضريحها . ومن الغريب اني البث احياناً نصف ساعة حيال قبرها لااشعر الالم . فاذا وجدتني في الشارع الحافل بالناس اسبلت عيني على الدمع حتى لا اكاد ارى الطريق ، فأتصنع الرشح لاغطي وجهي بمنديلي واتلقط به شؤوني ، واؤكد يانعمة اني لولا جنون قلبي بامي واتجاه عقلي اليها ، وتفكيري في مصيرها لاخرجت في رثاء امي ديواناً لايقل في حنانه وحنينه عن حماسة « الاعاصير ».

ولكني مبلبل الخاطر ، مشتت الذهن لا اكاد اوطـــن النفس على السفر الى بلادي لأكمل رسالتي العليا حتى يصدمني الواقع بمنطقه المفحم. اني شيخ عاجز لا قوة لي غير ايماني . فقد فقدت ذلك الشباب الفائر النشيط الذي لا يكل ولا يمل . والوطن الاكبر واسع المساحات شاسع الابعاد صعب المواصلات بيد ان لبناننا الحبيب الصغير يصلح مركزاً ومجالاً وهو يغريني بالرحيل والاتيان ببعض الحركة الجديدة . احب ان اكون قدوة في خدمة امتي العربية بغير الاقوال . ولو بأن التقط بيدي قشرة موز عن رصيف الشارع لأقي عابراً عليه من الزلق ، ولأقدم مثلاً على النظافة وخدمة الآخرين . اننا مهما ضعفنا لا نعدم وسيلة الى النفع . وعلى هذا الاساس تتولد عندي الشجاعة على نزول الساحة . والله في عون المخلصين

صنبول ١٤-١-١٩٥٥

ويخيل الي ان هذه الرسالة النابعة من روح الشاعر قد عبرت ادق تعبير واصدقه عن الرعشة التي عرته ، والهزة التي استحوذت على كيانه لفقد امه . وان هذا الالم العظيم الذي عناه لفقدها قدتحول الى طاقـــات متفجرة من العواطف الانسانية التي تجلت في قوله الرائع :

« وقد صرت لا ابخل بالدمعة على كل ضريح » كما جسم هذا الالم الحنين للعودة الى بلاده التي احبهـا اصفى مايكون الحب واتقاه بعد ان هجرها مرغماً ، كيما ينجز رسالته القومية التي وهب ذاته لها ، وعاشها بصدق طوال حياته.

ومن رسائله ، رسالة مؤرخة في ١٤/٣/١٩٤٠ بعث بها الى صديقه الاستاذ عبد اللطيف الخشن صاحب جريدة « العلم العربي » الصادرة في « الارجنتين » وهذه الرسالة تسجل بل تؤرخ فعل جماعة ضلت السبيل ضلالاً بعيداً ، ووقفت رمزاً كئيباً مؤلماً للخيانة والغدر ، وانبرت بتحد ظاهر مخجل عنواناً لعبودية الاجنبي ، وراحت تستمد تجربتها من مطامعه وغدره لا من واقع امتنا ووعيها ، لأنها لم تؤمن قط بطموحها ، بل ظلت متجهمة المعالم ، عابسة الوجه لكل ما يبعثها على التحرر والانطلاق ، وما برحت هذه الجماعة الضالة المضللة تسلم زمامها للمستعمر يضعها في الموضع الذي يتمكن من طريقه خلق الفوضى واقتراف الاثم والتآمر على سلامة امتنا وحريتها ووحدتها ..

كتب شاعرنا الى صديقه يقول :

اتتني رسالتك حين كنت اشعر شعوراً خفياً انك ستكتب لي . لكثرة ما خطر على بالي موقفكم من مهازل « الحزب القومي السوري » وهذه الضجة التي يثيرها فيطرب لها المستعمرون

Histoire illustrée de la littérature Française
تأليف « دانييل مورينه » ص ٩٦

Histoire de la littérature et de la Pensée Françaises
تأليف « دوغرانج » ص ٤٢٥ ومابعدها

ويرقص لها اليهود رقصة « الجاز » مستبشرين بلسان جديد يضاف الى برج بابلنا . ولعله سيكون امضى سلاح لتمزيقنا اذا لم يبادر الشعب العربي الى الثورة على حكامه . فوالله ما خلق هذه البلبلة الا غضّنا على قذى هؤلاء المتربعين في الدسوت . حتى اتخذ هذا الحزب تخاذل زعمائنا وحكامنا وخياناتهم حجة يدعو فيها الى « القومية السورية » منفصلة عن القضية العربية العظمى التي لا يقض مضاجع الاستعمار سواها ، واني لأقسم لك انه بعد ان اتضح عداء الحزب الجديد للعروبة لا بد من أن يكون حيتان الاستعمار قد شرعوا يمدونه بالمساعدة دون ان يعلم لكي يمضي في جنونه ، ويمضوا في الضحك في سرهم بالرغم من علمهم انه يشتغل لاستقلال سورية . وماذا يخافون من فئة استقلالية تصارع اختها الاستقلالية قبلها وتستعد لافنائها ، فتجعل من سورية ساحة حرب يفتك فيها الأخ بأخيه . ومن سائر الأقطار العربية المتحدة بالروح والمبدأ بلقاناً ثانياً في قلب الشرق .

تلك هي النبوءة التي تنبأ بها « الشاعر القروي » منذ ثمانية عشر عاماً ، اوحاها اليه وعيه بماهية حياتنا المقبلة ، واعتماده على عقله بدعوة امته لاتباع السبيل السوي الذي تسير عليه لبناء عالمها الامثل الذي ننشده . وقد تميز هذا العقل بطابع الشك بكل مالايمت الى حقيقة قوميتنا بصلة ، وتحذيرنا منه لأنه سيغدو في قابل خطراً علينا وعليها . وليس بدعاً ان يتجه شاعرنا هذا الاتجاه المنطقي ، وان يتمرد على الموقف الواهي الذي كنا نقفه بالأمس حيال تلك الجماعة ، لأنه موقن بان كل تسامح من جانب حكامنا ، او لامبالاة من جانبنا معناه اغتيال لقيمنا الثابتة . وكبت لانطلاق شعورنا نحو الوحدة الكاملة والتحرر التام ..

وثمة رسالة اخيرة وردتنا منه مؤرخة في ٢٢ – ١٠ – ١٩٥٦ احببنا ان نختم بها بحثنا ، وقد ضمنها معادله الشعوري نحو «سوريا» واستلهامه ميزاتها في حركة التحرير العربي ، وصور فيها ايمانه ببعثنا الجديد الذي غدا مثار غنانا ومبعث قوانا الاخلاقية والوجدانية ، ومبلور عواطفنا التي نستمدها من ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، وقد جاء في الرسالة قوله :

.. فسوريا في عقيدتي عرين العروبة ، لاتنجب غير الاشبال وما ألف سمعها قط صوتاً كالزئير في مواقف الكرامة ، ومجالات العز والاباء . ولما كنت ارسل صيحاتي الوطنية الى بلادي من اقصى الارض لم يكن يخامرني ادنى شك في ان هذه البطارية الصغيرة النابضة بالحماسة في صدري النحيل لن تصادف من قلوبكم خشباً او مطاطاً يعزل كهرباءها ويقتل طاقتها . بل معدنا عربياً كريماً موصلاً يضاعف بحيويته قوتها ويعمم تأثيرها ويخلد نارها ونورها . وكان يقيني بالبعث يتجدد مع كل صباح . وبطولاتكم الخارقة وعروبتكم المثالية السباقة الى نشدان الوحدة ورفع علمها فوق كل علم .

هكذا تتضح لنا في رسائل « الشاعر القروي » قوة عاطفته الوطنية ، وصدق احساسه بقوميته كما اتضحا في شعره ، فكأن تجربته وعاطفته واحساسه ؛ طاقات مبدعة ، انسجمت جميعها فتحولت الى سمو فصراع خلقا هذا الشاعر العربي المبدع الذي كان شعره بدء تحول أثر تأثيراً عميقاً في اتجاهنا القومي ، وعبر اجلى تعبير واصفاه واصدقه عن اهدافنا ومثلنا وتطلعنا الى تحقيق وحدتنا العربية المرتقبة .

دمشق — **سعد صائب**

من جمعية الأدباء العرب

صيحة للجهاد

ولو لم تكوني فرنجية
لكنت سعادي قبل سعاد
ولكنني عربي المنى
عربي الهوى عربي الفؤاد
لعمرك يا « مود » [1] لولا ذووك
لما ميز الحب بين العباد
ولا اكرهوا شاعراً ان يقول
هذي البلاد وتلك البلاد
فهم او غروا بالعداء الصدور
وهم اضرموا النار تحت الرماد
فلا تعذلي شاعراً زاهداً
وكم هام بالحب في كل واد
فاني حرام علي هواك
وفي وطني صيحة للجهاد

١ – فتاة انكليزية تحببت اليه

الشاعر القروي

قديس القومية العربية

بقلم : عبد الله يوركي حلاق

كانت « الضاد » ومازالت وستبقى الى آخر لحظة من لحظات حياتها ، تجاهر بفضل شعراء المهجر ، وتقرّ بجميلهم على التجديد والابداع ، والنهوض بالشعر العربي ، الى مصاف الشعر العالمي النابض بالقوة ، والموشّى بالروعة ، والمتربّع على سدة الخلود .

والمتعمقون في دراسة الأدب العربي – قديمه وحديثه – يعرفون جيداً ، ان شعرنا قد حفل بالمعاني المبتكرة ، وتحرر مما كان يرهقه من قيود ، حين انطلق من الشرق الى الغرب . فمنذ نحو الف عام ، كان للشعر العربي في الاندلس دولة عزيزة الشأن وطيدة الاركان ، وكان الشعراء يحلّقون في سماء الفنّ ، ويملأون الدنيا بشْو عاطفي رقيق شجي ، لم تعرفه الاذن العربية في عهد الجاهلية ، ولا في صدر الاسلام ، ولا في زمن الأمويين في الشام والعباسيين في بغداد . ذلك ، ان شعراء العرب ، وقعوا في تلك الجزيرة الخضراء ، على مفاتن الطبيعة ، ومواطن الجمال ، فانطلقوا من عقال القافية الواحدة ، وتفننوا في النظم والانشاد ، وابتدعوا الموشحات ، وحرصوا على ان يأتوا بالبليغ النفيس الخلاب ، فكان لهم ما أرادوا ، وكان أن اضافوا الى دواوين العرب ، آثاراً زادت الشعر ثراء ورواء وبهاء .

وما يُقال عن شعراء الأندلس ، يُقال عن شعراء المهجر الاميركي . فقد نشأت في الاميركتين : الشمالية والجنوبية جمهرة من بلابل القريض ، غرّدث في خمائل الفصحى ، وصدحت في حدائق الالهام ، فهزّت القلوب ، وانتزعت الاعجاب ، وأسكرت العواصف بخمرة الوصف الجميل ، والفن الاصيل .

والذين قرأوا آثار ايليا ابو ماضي وفوزي معلوف وشفيق معلوف والياس فرحات والشاعر القروي ، يعلمون أي يد بيضاء أسداها هؤلاء الموهوبون واخوانهم من شعراء المهجر الاميركي ، الى لغتنا وقوميتنا وجيلنا العربي الصاعد ، ويجاهرون بأنهم أدخلوا الى شعرنا الواناً جديدة زاهية ، من الوصف والتصوير والتحليل الدقيق الانيق الجذّاب ، وبأنهم نهجوا في نتاج قرائحهم ، نهجاً قويماً يعتمد على المعاني المستوحاة من صميم الواقع ، والمستمدة من مجتمعنا واحداثنا واساليب عيشنا .

ولهذا ، فان شعراءنا النازحين ، يشبهون الى حد كبير ، شعراء الاندلس قديماً . فقد استطاع اولئك الشعراء ، ان يبدعوا في ترجمة مشاعرهم ، وان يتفننوا في ضروب القول ، وافانين الوصف والغزل ، وان يطلعوا على الناس ، بمقطوعات من الشعر ، لم يألفوها من قبل ، ولم يعرفوا مثلها لشاعر قديم ، ولكنهم ما كادوا يطالعونها ويتذوقون معانيها اللطيفة ، وتشابيهها الطريفة المستحبة ، حتى انسوا بها ، ومالوا اليها ، ورأوا في رشاقة اوزانها ، وبساطة سبكها ، وتنوع قوافيها ، ما يسهل للشاعر سُبل التعبير عن احساسه ، ورسم دقائق قلبه ، وخلجات نفسه .

ونحب اليوم ، ان نقف وقفة قصيرة ، عند شاعر فذ كبير من شعرائنا المغتربين ، وان نقول كلمة موجزة في شاعريته الخلاقة ، وفي ما قدمه الى ابناء يعرب من آثار نفيسة ، وخدمات جلى [1] .

ولا نرانا مغالين ، اذا قلنا ، ان لغتنا لم تعرف في جميع عصورها ، شاعراً اخلص لامته ووطنه اخلاصَ الشاعر القروي لهما . فقد نذر نفسه ، منذ انشد الشعر ، لقوميته العربية (ووقف قلمه على الدفاع عن عزتها ومكانتها ، وراح يصلي اعداءها ناراً حامية ، يقذفها قلبه العامر بالايمان الوطني ، والزاخر بالاباء والنخوة ، كما يقذف البركان الهائج حممه المدمرة ، ولهبه المحرق .

والحق ، ان الشاعر القروي ، مؤمن بعروبته ايماناً تتزعزع الراسيات ولا يتزعزع . وفي سبيل هذا الايمان العلوي الوطيد ، منعت دواوينه من دخول سورية ولبنان في عهد الانتداب ، وحيل سنوات عديدة ، بينه وبين عشاق أدبه في هذه البلاد ، وكان يعد قارىء شعره في نظر المنتدبين مجرماً يستحق اشد العقاب .

وكيف يجيز الاجنبي لدواوين القروي ان تقرأ ، وفي كل بيت من ابيات قصائده الوطنية ، سوط يلهب ظهور المستعمرين ، وفي كل مقطع من مقاطعها سيل من النقمة يجتاح الأعلاج المغتصبين .

لقد لقبت الشاعر القروي بقديس القومية العربية ، لانه لاقى في سبيلها مالاقاه كثير من القديسين ، في سبيل المحافظة على عقيدتهم الدينية من عذاب وتنكيل واضطهاد ، ومثلما فاز

---

(١) بينا في العدد المزدوج ٣ و ٤ الصادر من « الضاد » في عام ١٩٥٣ بعض ما للشاعر القروي من فضل أدبي واسع على الشعر والوطنية الحقة .

اخيراً اصحاب تلك العقائد السامية ، واستحقوا هالة القداسة المعقودة على رؤوسهم ، هكذا فاز الاستاذ رشيد سليم الخوري واستحق من مواطنيه كلهم ، الاجلال والاكبار والاحترام.

★

دعانا الى هذه المقدمة ، ما قام بين استاذنا الشاعر القروي ، وبين صديقنا الاستاذ وديع ديب ، من سوء تفاهم ، حول ناحية دقيقة تعرض لها شاعر العروبة الاكبر ، بدافع من وطنيته الفذة ، وقوميته الناصعة ، وغيرته الوافرة على مرابع الآباء والاجداد.

وخلاصة ذلك ، ان الشاعر القروي ، أمام ماراه من ظلم الاجانب ، واعتدائهم على حرياتنا وكراماتنا ، تمنى لو القى علينا السيد المسيح ، دروساً في القوة والاباء ومجابهة المعتدين ، الذين لا يخضعون الا للعنف والبطش والسيطرة ، فأثر هـذا القول في قلب الاستاذ الوديع ، وود لو ابتعد الرشيد عن اقحام الدين في السياسة.

والذي نعرفه وثيقة ، ان الاستاذ وديع ديب ، في طليعة مقدري شاعرية القروي ، وفي مقدمة المعجبين به وهو في نظره ونظرنا ، وفي نظر كل منصف عادل ، اكثر شعرائنا اخلاصاً للقومية العربية ، واشدهم تأثيراً في قلوب الناطقين بالضاد

وان شئت تعريفـاً ادق واوضح ، قلنا بملء الصراحة والاعتزاز ، ان الشاعر القروي هو المناضل الاول في ميدان الادب القومي في عهد انبعاثنا الوطني الحديث ولهذا ، فانه في معرض الذود عن امته المعذبة وبلاده المهددة ، لا يصنع شعراً يهمهم به في رؤوس الاطفال ، وانما يبريه سهاماً حادة يوجهها الى افئدة الظالمين فيمزقها شر ممزق.

وانا لنؤكد ان الشاعر القروي ، ما عرض قط في شعره لدين او لكفر كباحث في العقائد والمذاهب ، لانه ابعد الناس عن التدخل في شئون الدين . فالدين عند القروي ، وعند كل لبيب حصيف ، علاقة بين الخالق والمخلوق . اما الوطن فعلاقة بيننا وبين الارض التي ولدنا فيها ، وترعرعنا تحت سمائها ونصد عنها حراب الطامعين ، ونريد الخير لابنائها اولاً ، ولجميـع البشر ثانياً . وقد نهج القروي هذا النهج القويم . فسخر شعره لاستنهاض الهمم ، وتقوية العزائم ، والدفاع عن القوميـة العربية ، التي وقف عليها حياته وادبه واعذب آماله وامانيه.

ولعل العروبة لم تر في تاريخها الطويل ، شاعراً نفحها بما نفحها به الشاعر القروي ، من الوطنيات المليئة بالشمم والعزة والاخاء

فالحماسة تجري في ابياته على انبساط ، والعقيدة الوطنية الحرة تطل من كل قافية من قوافيه ، مثبتة بألف دليل ودليل ، ان صاحبها يضع القيم الاخلاقية والكرامات الوطنية فوق كل مرتبة ، وانه حرب على البطل والذل والتراخي ، وصاعقة تنقض على الاستعمار واذنابه ومريديه . « ففي حوران وجبل الدروز واطراف الجزيرة ، كان المجاهدون يرددون شعر القروي في مضاجعهم ، ويجودونه كما يجودون الآيات [1] ».

وهاهي الشهباء ، عاصمة الشمال ، ومدينة سيف الدولة ، موطن هنانو والجابري ورفاقها الميامين ، تعج بمحبي الشاعر القروي ، وعشاق ادبه ، وفي طليعتهم صديقنا الطبيب الشاعر الدكتور علي الناصر ، الذي يرى الشعر القروي ، المثل الاعلى للشاعرية الوطنية الصادقة.

وكيف لا يرى فيه هذا الرأي السديد ، وقد قرأ « أعاصيره » و « زمامه » ، واعجب بحماسياته ووطنياته ورباعاته . ولقد سالت دمعة الاعجاب على خد الطبيب الشاعر ، كما سالت على خدي ، ونحن نقرا له هذين البيتين الخالدين :

بنت العروبة هيئي كفني
انا عائد لاموت في وطني
أأجود من خلف البحار له
بالروح ثم اضن بالبـدن ؟

وليس هذا بغريب ، فشعر القروي من ذوب قلبه الطيب ومن عصارة حسه المرهف ، ومن نور مقلتيه المشعتين بأضواء العبقرية . انه يصور بريشة الوحي المصفى ، الاثباج المتلاطمة في اعماق النفوس ، ويسمعك بوضوح عجيب ، مايدمدم في صدور الشعوب المرهقة المتحفزة ، من اعاصير الآلام المبرحة ويجعلك تلمس بأصابع يمينك ماحفرته سياط الظالمين على جباه الضعفاء ، وظهور المستسلمين ، من اخاديد حمر وزرق وسود لا تمحوها الا انتفاضة الاباء ، ووثبة الثأر ، وخنق العار.

ان الالهام البكر ، والتجديد المستحب ، والبيان النضيد المتجلية في قصائد القروي ، لتستحيل السنة فصيحة وحناجر قوية ، تصرخ في كل من يحاول ان يمس شاعريته ، او ينكر جهاده ، او يسيء فهم معانيه : انك مخطىء ، فالنجم يظل نجماً لامعاً في اجواز السماء ، ولو كره الحاقدون.

بيد ان الاستاذ وديع ديب ليس حاقداً ، ولا ناقداً ذا

---

(١) « أدبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » للاستاذ جورج صيدح طبعة ثانية صفحة ٥٣

غرض ، لاننا عرفناه منذ امد مديد ، محبا للقروي ، قادراً شعره ، معجباً بنبوغه ، مجاهراً بان ام اللغات مدينة له باروع الوطنيات واسماها ، وان ادبنا في المهجر النائي ، يباهي وسيباهي على مر العصور ، بآثار الرشيد ومآثره ، وبسورة العاطفة المنبعثة من ينابيع الفن الرفيع السلسال .

واذا كان الاستاذ ديب . قد اخذ على الاستاذ رشيد سليم الخوري ، ثورته الجامحة على مايثبط العزيمة الوطنية ، او يوهن الوعي القومي ، فان السيد المسيح ، وهو رمز الوداعة والمحبة ومثال الفداء ونكران الذات ، قـد حمل السوط وضرب الصيارفة الذين انتهكوا حرمـة الهيكل ، وصاح في وجوه الفرنسيين : ياأولاد الافاعي . لقد فعل ذلك وهو الاله المتجسد القادر على كظم الغيظ وضبط النفس ، والحامل رسالة التسامح والتحابب بين البشر ، فكيف لايثور على الضيم ، ولايشن على دعاة التخاذل واللامبالاة غارة شعواء ، وهو انسان يطوي بين جوانحه شعور امة يبصرها عرضة لاطماع الاشعبيين وغرضاً لدعاة العنصرية والتفرقة والانقسام ؟

ان الشاعر القروي كما قال في رده اللطيف الكريم على الاستاذ وديع ديب ، يستطيع ان يقبل الف اسخريوطي يحتال على صلبه ، ويقوى على جرف العدوات كلها ، بما يغمر قلبه من فيض العاطفة الانسانية السمحة ، ولكنه لا يستطيع ان يتهاون في حق امته ، او يصبر لحظة واحدة على ما ينال من سيادته او يخدش تاريخها او يهدد بقاءها بالفناء .

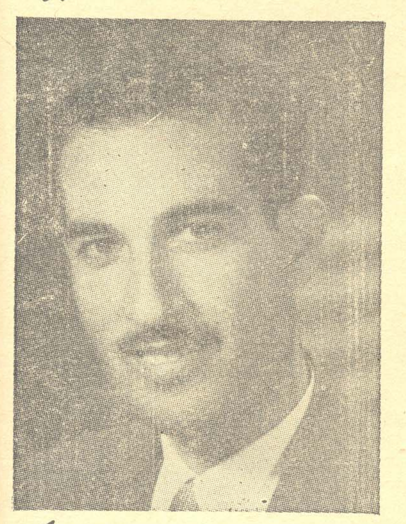
ان الشاعر القروي ، ابعد الناس عـن شبهات الانانية والغرور والاستئثار واقربهم الى التضحية والانسانية والايثار فعرش شهرته في الوطن وخلف البحار ، لم يقم في قلب كل عربي مؤمن بقوميته ، الا على اسس وطيدة بناها بنثار وحيه واصالة عروبته ، ونتاج قريحة سخية خصبة ، تتدفق بشلالات من الشعر الحماسي الحي ، وتسقي تربة الآباء والاجداد ، بالعطر والسحر والحب الطهور .

اما ادبه الموجه الرصين ، فقد علمنا ، ونحن تحت كابوس الانتداب ، اروع دروس الوطنية الصحيحة ، ودفعنا الى القومية المثلى ، وجعلنا نحذو حذوه في حب بلادنا ، ومسقط رؤوسنا وملاعب فتوتنا وصبانا . واني لاقر فخوراً ، واعترف مباهياً ان شعري الوطني ، شعاع من شمس شاعريته النيرة ، وان خرائده البكر ستبقى في جدتها ورونقها وسمو اشراقها ، مابقي للنقد النزيه وجه لم يشوهه التعصب والهوى .

لقد اختارهما الحظ في السحب السابع
فربحا الجائزة الكبرى
من
يانصيب معرض دمشق الدولي



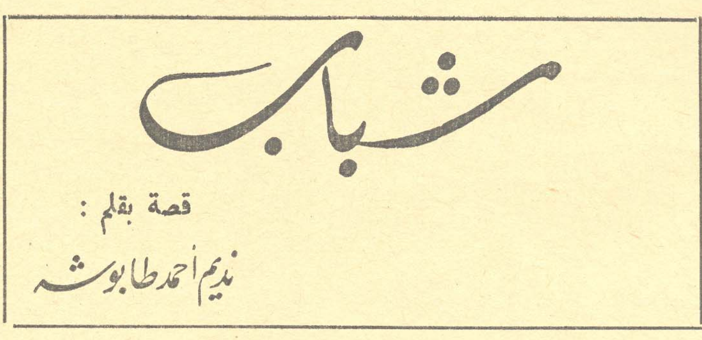
السيد نجم العبدالله الدرويش المهاوش
من الرقة
ربح نصف الجائزة الكبرى
(١٠٠٠٠) ل.س



السيد عبدالرزاق بن شاكر
من ابو كمال
ربح النصف الآخر للجائزة الكبرى
(١٠٠٠٠) ل.س

في كل شهر ثلاثة سحوب
عدد الجوائز (٣٢١٢٥) ، قيمتها (٥٠٠,٠٠٠) ليرة سورية

يجري السحب القادم في مدينة دمشق بتاريخ ١٥/١٠/١٩٥٨



دخلت الى مقهى « سيف الدولة » وحاولت ان انتقي مكاناً رطباً استريح فيه ، الا ان ضجيجاً قد علا . فقلت في نفسي بشيء من التهكم والتبرم : انه سعيد .

اخذ الضجيج يتفاقم بشكل يثير الاعصاب فالقيظ شديد ، والقضية ممجوجة لكثرة تكرارها ولولا تلك الرطوبة النسبية في المقهى وقربه من منزلي لما كنت افر اليه بين حين وآخر .. لولاهما لفضلت البيت فضجيج اولادي في الواقع اقل منه بكثير.

ومع ذلك جلست في مكان شعرت بأن نسمات رقيقة تعوده بين الحين والآخر .. وكان سعيد — وهو عامل المقهى والمدبر الوحيد لما يريده الزبائن — قد جلس الى طاولة مربعة امام احد الشبان . وقد اطبق كل واحد على راحة صاحبه يشد عليها قدر طاقته ، بينما انضم جمهورهم الى قسمين كلّ يشجع صاحبه ويثبت اقدامه .

— طيب سعيد .

— طيب فارس .

— لقد احمرت اصابع الخصم .. يا سعيد .

— لا تخف يا فارس .. انه ادعاء .. فالخصم شاخ منذ امد بعيد .. ها هو يلهث .. ويتصبب عرقاً ..

ان هذا التطاحن معروف لدي وكذلك الفاظ التشجيع اما النتيجة فلقد اصبحت اؤمن بأن سعيداً لن يغلب ابداً . رغم انه قد ناهز الستين .

وبالفعل فلقد استسلم فارس. بينما راح سعيد يدور دورانه المعروف حول الزبائن وهو يقول بهزء وسخرية وربما بشيء من التأفف المصطنع : شباب آخر زمان .. كانت النساء اقوى من شباب هذا الجيل .

وحينما وصل الى المكان الذي انعزلت فيه قال : اهلاً وسهلاً بالاستاذ .. ماذا تريد ان تشرب اليوم ؟ كازوز ؟

كان حلقي جافاً فاكتفيت بأن هززت رأسي بالايجاب مع ابتسامة سريعة سرعان ما غاصت وانا امسح العرق المتصبب على جبهتي ، بينما راح سعيد يصيح :

— واحد كازوز .. يا ولد .

ثم انفتل راجعاً الى حلبته المفضلة وقال لحينه :

— صدقوني .. ان جيلكم خلق متعماً هرماً بعكس جيلنا الذي اشتبك في حرب طاحنة وقاسى مرارة الجوع والعري اما انتم فلم تروا شيئاً كهذا .. ولو انكم دافعتم عن بئر السبع او شناق قلعة ..

فقاطعه احدهم قائلا والشغف يحفزه :

— هل اشتركت فيها ؟

فاستغرب سعيد جهل صاحبه فقال :

— طبعا اشتركت .. في بئر السبع .. وايضاً في شناق قلعة ..

ثم التفت الى الجميع وقال :

— صدقوني يا شباب ان الحرب في شناق قلعة كانت حرباً مروعة اجتمع لقتالنا هناك من استراليين وانكليز وقبارصة وافرنسيين من جميع الملل على الاطلاق مدة ستة اشهر .

كانت اساطيلهم تضرب بلا هوادة نضطر معها الى التراجع فاسحين بذلك مكانا لاقدامهم . لقد كانوا كالجراد الا اننا كنا نعود اليهم ونشتبك معهم في قتال مرير .. انهم جبناء يخافون من رؤية الحراب المشرعة .. كانوا يقذفون بأنفسهم الى البحر عند رؤيتها تاركين اسلحتهم واغذيتهم .

كان كل هجوم منا يشتد مع اشتداد الجوع ويقسو مع قساوة القيظ الشديد .

ثم توقف قليلا عن الكلام واخذ نفساً عميقاً وقال وهو يهز رأسه بأسى ظاهر .

— حتى كانت آخر مرة كثرت فيها السفن بشكل هائل .. واما القنابل فكانت اقوى من السابق وابعد مرمى حتى اننا قبعنا اكثر من شهرين في خنادقنا لا نلوي على شيء . وكان الاعداء قد دفعوا بنا الى الوراء وتمركزوا على الشاطىء .

هبط اليأس الى نفوسنا كسيل وتفشت الامراض اذ لم يكن هناك طبابة ولا اطباء وحتى الطعام قد نفد من زمن بعيد. حتى القيادة نفسها قد يئست من الوضع الى ان أتى عدد كبير من الواعظين ووزعوا على السرايا يحثونها على الجهاد وفعلا تحرك الجمع والواعظون في المقدمة .

كان يوماً عصيباً بالنسبة لنا ولهم .. انهزم الحلفاء في نهاية الامر. في الحقيقة كان الفضل يعود الى الواعظين اولاً .

لقد استبد بسعيد الحماس وخاصة عندما رأى بريق أعينهم يريد ان يستشف مابذهنه فقال وهو يقبض على شعره ويشد :

ــ : صدقوني ان شعري قد تساقط من شدة الرطوبة في الخنادق وان جنوداً كثيرين ماتوا من الجوع وان رائحة الموتى سمرت في خياشيمي ستة شهور .

صحيح كانت حرباً طاحنة ولكن كان هنالك رجال يتحملون .

وقال له احدهم بملل ظاهر .

ــ : كفاك ادعاء وتخريفاً .

فأجابه سعيد بجدة : انا ادعي واخرف ؟

فرد عليه محدثه ببرود محاولا ان يثيره : بلى انت . كم من العمر لديك ؟

فصرخ سعيد : وما شأن العمر بذلك ؟ اتريد النزال انت ايضا ؟

فأجابه محدثه بشيء من السخرية : نزال . نزال . ستموت قبل ان تنازل مرة اخرى . فليس بعمرك من مزيد .

كبح سعيد جماح نفسه ، وقال بصوت خفيض :

ــ : لاباس بذلك . دعنا نرى . سآخذ الكازوز للاستاذ واعود اليك . وربما كان بعمري بضع دقائق اخرى .

ثم تناول الكازوز وهرول بتجاهي الا ان خصمه الجديد انصرف مسرعا .

فصرخ سعيد باعلى صوته : ياحمد . . الى اين انت هارب ؟

فوصله صوته وفيه من البرود وعـــدم الاهتمام مافيه : سأعود حالا .

الا ان سعيد اعتبر ذلك نصرا فانتشى ثم اخذ يردد : شباب آخر زمان . . كانت النساء اقوى من شباب هذا الجيل .

ثم توقف قليلا ، ونادى بعلى صوته ؟ يامحمود . . ياولد .

وانتظر حتى التفت اليه محمود فاكمل : سأصل الى البيت وأعود حالا .

قال ذلك وهو يرفع بيده علبة دواء وكأنه يريد ان يدله على السبب الذي دفعه الى الذهاب . وخرج قبل ان يسمع الجواب . لم يكن لسعيد في هذه الحياة سوى والدته التي اقعدها المرض منذ سنوات . كان يحبها حبا جما عطفه يفوق كل عطف واحترامه لها يكاد لايوصف . . ولو كان في حالة السكر الشديد .

ان سعيد اعتاد ان يحتسي الخمر فقط عندما يغضب اويداهمه الحزن اثناء البطالة واذا احتسى لايتوقف قبل الاغماء واذا عاد بعدها الى منزله سبب لجيرانه ، وانا واحد منهم ، ارهاق الاعصاب ومرد ذلك الى اصوات الاولاد في الشارع وهم يركضون خلفه « سكيرو . . سكيرو . . سكيرو . . »

واذا طاب له ان يتكلم اخذ يلوك ماحدث له في صباه او شاهدته عيناه في مناسبات يجهد نفسه لاقتناصها وان حدثته نفسه بان الاصغاء قد يشوبه شيء لايقحم نفسه .

لازلت اذكر مرة انه اتيحت له فرصة للكلام والجمع غفير لم يعط لنفسه الوقت الكافي لانتقاء موضوع مناسب ، لانه يثق بنفسه وبقدرته على قص الحكايات المناسبة التي يقدمها الى جمهوره المطيع .

ان كل ماقام به هو تلمظ الشفتين واستقامة الجلسة وملء الصدر مرات متواليات من دخان نارجيلته .

ثم قال : اسند الينا مرة امر ارشاد قافلة حتى بئر السبع كنا ستة من الجنود العرب ورقيب تركي . . وكانت القافلة تبعد عن مركزنا مسير يومين . ولقد مات في الليلة الاولى ثلاثة من الجنود من شدة البرد اذ انشقت السماء عن ثلج لم تر عيني مثيلا له . . واما الليلة الثانية فلقد كانت اكثر دفئاً من سابقتها لان الريح قد هدأت نوعاً ولاننا اصبحنا في قلب الوادي نجتاز ممراً ضيقاً على كتف جدول ماء صغير .

لقد سلم الباقون بعون الله وقدرته انها النهاية لكل من يتجول بعيداً في ذلك الطقس . ولكن الله ــ لامر ما ــ لم يتخل عنا .

ثم سكت قليلا اذ تذكر نارجيلته فأخذ يداعبها بهدوء يدل على ان صاحبه كثير الدراية وحكيم . عنده من الحكمة الشيء الكثير . ومن لا يحب الحكمة ويبتغيها ؟

ثم القى بنظرة الى رأس النارجيلة وسحب نفساً طويلا حاول ان يسترضيها به لانه سينقطع عنها قليلا . ثم رفع رأسه وثبت نظره في مكان ما على الحائط بينما ترك الدخان يخرج كيفياً من فمه وطاقتي انفه كمن يحاول ان يجمع شيئاً علاه غبار النسيان فطمس اكثره ثم اكمل قائلا :

كنا في حالة جوع شديد عندما شاهدنا بيتاً صغيراً وسط بستان من الزيتون كان لا بد من دخوله طلباً للدفء والراحة وربما للطعام ايضا اذا كان لصاحب البيت شيء منه .

لقد دخلنا وتراكضنا الى اوقد بينما انهمك صاحب البيت وزوجه بتحضير الطعام لنا .

اقتربت ابنتهما الوحيدة مني لا ادري لماذا اقتربت مني بالذات كان لها من العمر خمس سنين . جميلة . وديعة كقطة فداعبتها

حتى اطمأنت الاطمئنان كله.

ثم احضر الطعام. فقذفنا بأسلحتنا جانباً واخذنا نزدرد الطعام بشراهه وسرعة. كان الطعام شهياً. لم اذق طعاماً أشهى منه منذ عامين. الا ان الرقيب عكر علينا هذه الهنيهات القليلة. اذ لقم بندقيته وصاح:

ـ سأقتل كل من يقترب مني.

وصوبها باتجاهنا فوقفنا مشدوهين فبكت الطفلة الصغيرة. والتجأت الي وهي ترتعد. وربما كانت تدرك ضعف والديها، وخاصة عندما امسك الرقيب بأمها، التي حاولت الافلات منه وعاجلها بضربة بأخمص بندقيته. مسكينة لقد سقطت على الارض تتلوى.

الواقع ان زوجها حاول ان ينتشلها من الارض فوجه الرقيب بندقيته اليـــه فأمسكنا به نستمهله لاننا نعرف ذلك الرقيب. لا يعرف الرحمة ولم يسمع بها.

وعبثاً حاولنا اقناعه بأن يترك المرأة. لقد قلت له فيما قلت لولاهما لمتنا من البرد.. والجوع ايضاً.. انظر لقد زودونا بالطعام الكثير وسيكفينا حتى نعود الى قطعتنا.

الى ان البندقية انتقلت الى صدري وصاح:

ـ هه.. مجنون. ابن عرب مجنون لا تريد سوى الطعام.. خذه انت. اما انا..؟

وارسل ضحكة هستيرية. بينما راحت يده تتلمس وضع المرأة المتلوية عند قدميه ونظره مثبت الينا. وقبل ان يضع عليها علا صراخ الطفلة اكثر من ذي قبل كأنها تدرك ماذا يريد فانتفض لصراخها وحدجها بعينيه لحمراوين فازداد صراخها اكثر فاكثر. فقلت لها وانا امسح دموعها، بعد ان ضممتها الى صدري لا تخافي يا صغيرتي لا تخافي.

فقال له احدنا واسمه عمر: اذن اسرع فلقد تاخرنا.

فاستحسن الرقيب فكرته، فمال على المسكينة يريد تقبيلها، والصغيرة تصرخ اكثر فاكثر.. فقفز عمر الى بندقيته وامسك بفوهتها وهوى بها على رأسه فسقط فوق المرأة قبل ان يقبلها المرة الثانية. فتناثر مخه على الحائط.

لقد اذهلتنا سرعة عمر ومغامرته. ولقد ازدادت دهشتنا عندما قال لآمر القافلة لقد مـــات الرقيب وثلاثة جنود من شدة البرد.

انه لعمل خير اليس كذلك؟

لقد قبلت المسكينة يدي عمر وهي تبكي. ولقد بكيت انا ايضاً.

فقاطعه احدهم: لماذا لم تسرق هذه البطولة لنفسك؟.

فاجابه سعيد كمن يريد ان يفتعل الهدوء وعدم المبالاة: لست بحاجة اليها.. الا يكفي انني شاهدتهـــا.. يقيني لو كنت انت لمت قبل ان تقضي الساعات الاولى لهذه المهمة.

ـ العاجز وحده يموت.. وانا لسته..

ثم اخذ النقاش مجراه الطبيعي الى ان وصـل الى مرحلة السباب ولصق الاهانات.. كما كان يحدث في كل مرة.

لقد عاد سعيد سريعاً كمن نسي شيئاً فعاد يبحث عنه لان الزمن الذي استغرقه لايكفي لاكثر من الوصول الى البيت ووضع الدواء بجانب امه والعودة على جناح السرعة. ولكنه عندما شاهد احمدا واكثر المتفرجين في المقهى تباطأ في سـيره كمن ادرك غايتـــه ثم فرك راحتيه واقترب من الجمـع وقال بحماس ظاهر:

ـ يبـــدو لي ان عمرك طويل كسلحفاة.. الا زلت تبغي النزال؟.

فاجابه احمد بلغة الناصح: انت بحاجة الى دار عجزة وليس الى نزال. فهل تحب ان احملك الى هناك وبدون مقابل؟

فرد عليه سعيد ببرود: عظيم دار العجزة للمغلوب.. دعني اجرب حظي.. هه ماذا تقول؟.

فاجابه احمد هازئاً: منظرك يوحي بالموت. وساقك عندما تسير كأنها ركبتا من القصب. ثم عاد فقال له وهو يحـاول ان يهينه بطريقة اخرى: الواقع انك مت من امد بعيد... يوم ان عدلت نهائياً عن الزواج. يا عزيزي.. لو كنت «رجلا» لما اخترت هذا القرار. ثم اخذ نفسا طويلا واكمل انت ادرى بحالتك من... ليس فيك عضو ينم عن الحياة.

ثم توقف قليلا عن الكلام ونظر الى ساعدي سعيد بشكل ظن سعيد انه يريد ان يعترف بقوة ساعديه وهذا امر لابد منه لما يتمتعان به من القوة الا ان احمد خيب ظنه هـذه المرة ايضا عندما قال والسخرية بادية في عينيه:

ـ لقد هجرتك الحياة.. ولكنها لم تهجر خيالك ومرد ذلك الى التخريف. شأن جميع المعمرين.

ثم خاطب الجميـع قائلا ونظره يتنقل بينهم: اليس هـذا عين الصواب؟.

فصرخ سعيد بحدة وقد ضاق صدره: تخريف.. تخريف

انك لا تملك سوى هذه البضاعة . اتريد النزال ام لا ؟.

فرد احمد ببرود : ليس الآن .

نهض سعيد كعادته مزهوا وهو يقول : شباب آخر زمان كانت النساء اقدر من هذا الجيل .. جيل ميت .. معدوم.. واحدهم لن يتخطى الاربعين .

اخذ سعيد يلوك مثل هذه الالفاظ وهو يلتفت الى الزبائن فقطع احدهم عليه شهيته للكلام عندما اشار الى نارجيلته فعلم سعيد ماذا يريد فصرخ ، هات ناريا محمود .

الا ان شهيته للكلام عادت بسرعة فعاد الى الحلبة وقال : ذكرتموني بفتاة كانت تعمل بمرفأ بيروت تحمل الاكياس كغيرها من العمال .. صدقوني انها رفضت الزواج من رئيس فرقتها الا اذا اجابها الى طلبها .. اتعلمون ماذا طلبت ؟..

فرد بعضهم : ماذا طلبت ؟ ..

فأجاب بصوت عال وهو يضرب براحته وجه الطاولة : اريد زوجاً يحمل هذه البالة .

كان وزن البالة ياشباب حوالي ٦٠٠ كغ .

والظاهر ان حبه كان عنيفاً بشكل طرد الشك من قلبه فاندفع الى البالة فرفعناها له .

لقد امسكنا بقلوبنا وهو يسير. لازلت اتخيل ذلك المشهد كان كطفل صغير يحاول ان يسير وساقاه مثبتتان الى ارض موحلة صدقوني انه حملها الى داخل العنبر ولو ان رجله التوت عند بابه وذلك عندما تحطمت الخشبة الموجودة على عتبة الباب .. لقد كانت بالية .. فناءت بهذا الحمل الثقيل .

وقبل ان تتماثل رجله الى الشفاء كان قد تزوج منها مسكين .. مسكين .. لم ينعم بالحياة الزوجية اكثر من شهرين. اذ انتقلت الى العالم الآخر. مسكين .. لقد هجر النساء الى الابد لم يبق واحد من فرقتنا الا بكاها .

هكذا كانت الرجال ... وهكذا كانت النساء ... اما اليوم هه ...

فقاطعه احمد : اليوم احسن من سابقه ...

ـ : اذن لماذا لاتنازل ؟ ..

ـ : لاني اخاف عليك .

ـ : لاعليك ... جيلك على مايظن رؤوم كثير الحساسية .

ـ : اذن لي شرط .

ـ : اقبل كل الشروط .

نظر احمد الى الجميع واشار اليهم بالهدوء ثم وقف على قدميه واتكأ بيد واحدة على الطاولة ووجه الكلام الى سعيد . :

نزالنا سيكون كما يأتي . انت تركض الى ذلك العمود . اتراه ؟

ـ : بلى اراه .

فتابع احمد قوله : وانا اركض الى الذي بعده ... ثم نعود الى هنا ونجلس على هذه الطاولة ونضغط على راحة بعضنا ايعجبك هذا ؟ .

كان العمود الاول يبعد ١٥٠ م فقط والعمود والآخر مايتين . كان احمد يدرك الادراك كله انه لايستطيع الصمود اذا اطبق سعيد على راحته والكل ايضاً يدرك ذلك حتى سعيد. اما الركض فسعيد لم يجربه منذ اكثر من ربع قرن . ربما حدثته نفسه بان راحته تعوض له عن كل شيء .

تباطأ سعيد بالاجابة فاستحثه احمد بقوله : مسافتك قصيرة يمكنك ان تسرع فقط اما انا فيجب ان اركض قدر طاقتي حتى نعود معاً .

فتراءى لسعيد انه كلام معقول الا انه ادرك سريعاً انه اذا قبل ذلك يكون قد اعترف بضعفه فقال له باصرار :

بل سنركض معاً حتى العمود الثاني .

وسار حتى منتصف الطريق فتبعه احمد ووقف بجانبه . ثم انطلقا معاً بعد ان قال احمد يجب ان نعود معاً .

ثم عادا الا ان سعيدا وصل ممتقع الوجه متصبباً عرقاً . وانفاسه متلاحقة بشكل لم ير مثله واحد من الحضور . ثم تهالك على الكرسي كغزال سقط عياء من كثرة الجري .

فخاطبه احمد : ضع يدك في يدي .

فوضعها سعيد .

اكمل سعيد قوله وهو يمسح العرق بيده الاخرى عن جبينه : لنبدأ الآن .

الا ان سعيداً لم يستطيع ان يتحكم باصابعه فيضغط بها . اذ شعر ان حالته آخذة بالسوء فسمعه قد تضاءل قليلا وعيناه عاجزتان من ان تريا ما حولهما بدقة تماماً كما كان يرى عندما يضع نظارة والدته على عينيه . والارض اخذت تميل تارة نحو اليمين واخرى نحو اليسار وربما الى الخلف والامام ايضاً .

ادرك سعيد ساعتها ان واحداً مثله يجب الا يركض ولو ان ساعديه بقوة الفولاذ . وكاد ان يغمى عليه فسحب يده محاولا ان يكشف بها عن صدره .

البقية على الصفحة «٦٠»

في ذكرى غوركي

بقلم

نسيب الاختيار

كان ذلك قبل اعوام ، حيث الدنيا ربيع والعمر زهر ، وزهوة الفتوة المجنحة ، تحملنا الى الآفاق البعيدة التي لا حدود لها ولا نهـاية ، فستحلق في الاجواء السحرية الرحاب ، ولا رائد لنا ولا دليل .

كان كل شيء يمور في حياتنا ويتموج ، ويمد ذراعيـه في شوق لاهب ليضم اليه الوجود بأسره .

ولم تكن في رأسنا فكرة متفتحة مورقة ، كانت افكارنا مجرد ضباب ، تنساب في اجواء لا معالم لها ، متراقصة مترنحة ، في دنيا لا هدف لها ولا غاية .

وعلى لهب حماسة الشباب ، كانت حياتنا تمضي ، وفي اعماقها ثورة ، ثورة مبهمة غامضة ، لا كنة لها ولا مفهوم .

في هذه الفترة من الزمن عرفت مكسيم غوركي ، عرفته في قصة (الام) وكانت هذه المعرفة فجر حياة جديدة .

لم تعد حياتي كما كانت عليه في سالف ايامها ، حديقة تعبق بارج منثور هنا وهناك ، ليذهب ابادید في الآفاق ، ولا زهوة فتوتي عاطفة جياشة عابرة ، ولم تعد ذراعي تمتد لتعانق عالما من فراغ ، ولا فكرتي مجرد ضباب يسبح في هواء ، ولا ثورتي انطلاقة لا غاية لها ولا مرام .

لقد بدل غوركي مفاهيم حياتي ، واخذ بيدي من سراب البيداء الى نور الحقيقه ، فكان لحياتي مضي .

عشت في الظلام والتمست الضياء في افكار ومشاعر عدد عديد من الكتاب والشعراء والروائيين ، اعتقاداً مني بان الاثر الادبي هو ثمرة تجربة ومعرفة ، ولكن هذه الثمرة لم تنقع غلتي لان الذين نصبوا غرستها وسقوها بتجاربهم وتعهدوها بمعارفهم غرسوها لاجل انفسهم وحدهم لينعموا بخيراتها دون سائر الناس .

ولم تكن تجاربهم ولا معارفهم من القـوة بحيث تجعل من الغرسة دوحة ، لان طبيعة هـذه المعارف وتلك التجارب كانت من الضيق والتقلص والانكماش بمكان يجعل من الصعب العسير على الغرسة ان تتطور الى دوحة .

هكذا كان شأني مع معظم الكتاب والشعراء والروائيين الذين عرفتهم فيما مضى من ايام حياتي ، اما حينما عرفت غوركي وولجت حديقته ، وجدت الثمرة التي طالما تقت اليها وصبوت ، وجدتها كما وجـد (ارخميدس) من قبل ضالته ، وكان غوركي رائدي ورائد الكثيرين من امثالي ، رائـد الكثيرين من الادباء الذين كانت حياتهم اسطورة ، واصبحت حقيقة .

كان غوركي من اولئـك الروائيين الذين عاشوا افكارهم ، فلم تكن الفكرة عنده نظرية ، هو محورها وهو دنياها ، وهي بالذات تحيا في اللانهايات ، وتتغذى بالتصورات ، كانت الفكرة عنده حقيقة حية ، حقيقة تصور وتعبر معاً عن حياة الناس ، الناس الذين تتألف منهم المادة الاولية لكل مجتمع ، فكان نموذجاً صادقاً لالامهم ، كما كان نموذجاً واقعياً لآمالهم ، ففي فنه المعبر عن الآلام ، كان غوركي فناناً ثورياً ، لا يبث شكوى ولا يهمس بنجوى ، وانما يتمرد على الالم ويثور عليه ، وينفذ فيما يبدعه الى الاعماق ، الى الاسباب الحقيقية التي خلقت الالم وبعثته ، فيرفع راية النضال ضدها ، ويمضي والمشعل في يده ليضيء حياة الناس . وفي فنه المعبر عن الامال ، لم يكن غوركي فناناً مثالياً خيالياً ، وانما كان فناناً يستمد مقومات مثاليته من الواقع ، ومن الواقع ، كان ينبثق المستقبل .

عاش غوركي الحياة في انطلاقها التجددي الابدي ، وكانت هذه الحياة المندفعة فيه ، ثورة ، فعاشها فكرة وقادة وعاطفة جياشة ، فكان رومانتيكياً على نحو جديد ، على نحو لم يعرفه تاريخ الادب في عصر من العصور ، عرف شعبه وعرفه شعبه ، لا بل عرفته شعوب الارض قاطبة ، ووجد الناس في غوركي صورتهم ، ووجدوا انفسهم ، كما وجدوا مبدعاته في طريقهم ومشعلهم ، فلم يكن غوركي غريباً عنهم ولا بعيداً منهم ، كان نموذجهم ، كان بهذا التجاوب العميق الرحب ، علم ادب قومه لا بل علم افكار ومشاعر كل ادب ثوري في مستقبل القرن العشرين .

لقد عرف الادب الروسي ، قبل غوركي ، عدداً كبيراً من الكتاب التقدميين امثال (تولستوي) و (دويستفسكي) و (نور كنيف) الذين تحدثوا عن مآسي الانسانية ، في افرادها وجماعاتها ، ولكنه ما من كاتب روسي تحدث عن هذه المآسي كما تحدث عنها غوركي ، اذ كان غوركي كاتباً من طراز جديد ، كان اول كاتب للبروليتاريا عرفه تاريخ .

وعرفت الاداب العالمية عدداً من الروائيين الذين تحدثوا عن المآسي الانسانيه فانكروا الظلم الاجتماعي ونقدوه ، عرف

الادب الانكليزي (دكنز) والفرنسي (بلزاك) وغيرهما من ادباء العالم ، غير ان اثار هؤلاء الروائيين كان يعوزها النضج التاريخي ، والمؤهلات الكافية لاماطة اللثام عن الوجه الحقيقي للمجتمع ، والمعرفة اللازمة للاسباب الرئيسية للمصالح المادية .

وعرفت الاداب العالمية عدداً من الروائيين الذين تحدثوا عن الشعب ، ولكنهم لم يتحدثوا عن دور هذا الشعب التاريخي اما غوركي فقد تحدث عن الشعب ، وحباه سمة القائد ، واضفى على الانسان في ذات العامل هذه الصفة القيادية ، و (زولا) حينما تحدث عن العمال لم يغفل دورهم كقوة تاريخية ، ولكنه اغفل دورهم كقوة قائدة في تطور العالم ، اما غوركي فقد ادرك بفضل نظريته الثورية ، وتجربته الواقعية ، ماغم على (زولا) فنظر الى العمال نظرته الى طبقة منظمة لها من تعاليمها ما يهبها قوة لتحرير العالم من الاستعمار الرأسمالي .

على ان اثر غوركي لم يقتصر على الادب الروسي وحده ، بل تجاوزه الى الادب العالمي ، فكل انسان وكل جماعة عاشت الظروف التاريخية التي عاشها غوركي ، وجدت فيما ابدع صدى لها ، ومشعلاً لطريقها ، ورائداً لنضالها .

ان هذا الكاتب الذي عبر في اثاره ، عن الشعب ومؤهلاته وقواه الكامنة ، اصبح مع الايام كاتب الجماهير في كل مكان كاتب الجماهير الذي لايشق لها طريق الحاضر فحسب بل طريق المستقبل ايضا .

* * *

كان غوركي من اولئك الروائيين الذين يؤمنون بفكرة يحيون بها كما يحيون لها ، على ان هذه الفكرة لم تكن مجرد صورة ذهنية ، وانما كانت حقيقة تجيش بالنضال وتموج بالتضحية ولم تكن هذه الفكرة خاطرة عفوية وسانحة ملهمة ، وانما كانت ابداعاً واعياً منسجماً ، بحيث أن الفكرة عند غوركي ، وليدة التجربة ، ومشعل العمل ، ومرشد الانسان والجماعات .

كما ان هذه الفكرة لم تكن عملاً فردياً يرجى لذاته ، وانما هي عمل جماهيري ، عمل اجتماعي مشترك ، ولم تكن الفكرة عند غوركي نزعة اصلاحية ، ترى انه في الامكان تحقيق تعاون بين مستثمر ، وانما كانت نزعة ثورية ، بناءة لعالم جديد ، هدامة لعالم قديم .

وكان شأن غوركي ، شأن كل فنان عظيم ، احب الحياة فوهبها نفسه ، واندغم في مداها الرحب وتلاشى ، فلم يقصرها على انسان واحد ، يجد فيه البداية والنهاية ، والغاية التي لاترقى اليها غاية ، وانما احب الحياة في انسانيتها المعذبة المضطهدة ، المتمردة الثائرة ، احب الحياة في انسانيتها المبدعة للخير ، والحقيقة والجمال ، فطوى بذلك الدنيا في عالم . تحقق في عينيه بسمة امل في رعشة حب . فما من شيء احلى في عينيه واعذب في قلبه ، من هذا الوجود الانساني الذي تجرد حبه له ، من نزوات الغرائز ، وشطحات الاحلام ، وارتقى بنفسه الى اسمى الدرجات ، الى حب الانسانية .

على ان هذا الحب المطلق المجرد للحياة الانسانية ، كان يسير الى جانبه في نفس الوقت ، كره لاعداء هذه الحياة ، اعدائها الذين حجبوا الانوار عن انظار ابنائها ، وقيدوا بالسلاسل ايدي واعناق شعوبها ، واستثمروا الافراد والجماعات ، وجعلوا من الحياة جحيما ومأتما للملايين ومئات الملايين من الناس ، مثل هؤلاء الاعداء ماينبغي لهم ان يحبوا ، ولن تكون الحياة عيدا ، ولن يكون حب الانسانية شاملا مالم يطهر العالم من وجه من هؤلاء الاعداء ، فما من حب مطلق للوجود الانساني في دنيا مازالت فيها . غيلان تدب فوق ارضها ، غيلان تزدود ماجناه الانسان وحققه .

ان حبا عاما شاملا لن يكون الا في مجتمع لايستثمر فيه الانسان الانسان ولا تستغل الجماعة الجماعة ، وسيظل هذا الحب مقتصرا على المعذبين في الارض الثائرين على جلاديهم ، الى ان ينمحي الظلم .

على هذا النحو تفتح قلب غوركي لحب الانسانية .

* * *

نشأ غوركي في مجتمع لاهم له الا مناهضة الحرية فالفكرة الحرة بين ظهرانيه مثل الوباء تكافح بمختلف الوسائل الفتاكة ، فلا شيء يمجد ولاشيء يعبد الا الطغيان ، وكان من جراء هذا العنف المبيد ان ظهرت نظريات بلغت اقصى غاية التطرف . ظهرت العدمية ، افكار كروبتكين وباكونين ، وامتدت افكار هذين الرجلين حتى شملت الادب الروسي ، وتجلت بصورة بينه واضحة في اثارتور كنيف ، لابل انها اصبحت جزءاً لايتجزأ من طبيعة الشباب النفسية ، وكان كلما ازداد الطغيان ، كلما تفاقم التمرد ، حتى ان مبادىء تولستوي الانسانيـــة المثالية المتسامحة لم تعد تجد لها في النفوس صدى ولافي المجتمع مدى ذلك لان الجيل الجديد . جيل كوركي ، لم يعد يؤمن الا بالثورة ، والثورة وحدها هي التي تحرره وتنقذه .

وقد كان من الصعب العسير على الشعب تقبل اي عمل

اصلاحي ، كانت العلة في الصميم ولاسبيل الا الاستئصال ، واستئصال العلة التي كان يشكو منها الشعب لاتتحقق الا في الانقلاب ، ومن هنا كانت الثورة طابع الجيل الذي عاش كوركي بين ظهرانيه فقد استغل في زمن هذا الفنان الثائر كل شيء حتى اسم الله كما يقول كوركي نفسه .

وكان الادب الرومي ادبا ارستقراطي النزعة ، لايحفل بآلام الشعب ولا يعني بآمال الشعب يعيش في معزل عن الحياة العامة ، واذا ما اطل على آفاق هـذه الحياة ، اطل عليهما من العلاء بكل كبرياء ، ولكن حروب نابليون مالبثت ان تركت فيه اثراً بعيداً قوياً ، فقد حمل نابليون معه مبادىء جديدة ، لاعهد للغرب السادر في ظلمات الجهل والفقر والظلم بها ، فتتأثر بهذه المبادىء وشعر بمكانه تحت الشمس ، وادرك ان في هذه الحياة الدنيا حقيقة وحرية ، كما كان الادب الروسي ادبا صوفي الوجهة ، اذ تأثر بالادب الالماني التجريـــدي ، تأثراً واضحاً ولكن ظهور دوستويفسكي وتولستوي وتوركنيف ، مالبث ان حرروه من هذه الوجهة الصوفية التجريدية ، وطبعه بطابع الصدق والاخلاص والانسانية ، وهكذا دخل الادب الروسي في مرحلة جديدة من مراحـل حياته ، وراح الادباء الروس يصورون آلام الطبقة الفقيرة كما هو الحال لدى تشيكوف ، ويتحدثون عن آلام وآمال الشعب كما هو الحال لدى بوشكين ، وكان من جراء هــذا الاتجاه الجديد ان شعرت القيصرية والاقطاعية والرجعية بالخطر الذي يهـدد مصالحها ، فابعدت بوشكين ولاحقت كورلنكو ، ونزل الادباء الروس الى الميدان وراحوا يعملون بكل ما أوتوا من قوة لتحرير الشعب عن طريق تصوير آلامه وآماله ، وقد كان معظم ادباء روسيا من الطبقة الشعبية الاتورگنيف وتولستوي ، ومع هذا فقد تحدثا عنه حديث انسان يؤمن بمهمة الشعب التاريخية .

ولما ظهر كوركي الى عالم الوجود ، ظهر والشعب الروسي تجيش في صدره ثورة مكبوتة ضد الظلم ظهر والادب الروسي حافل بالافكار التقدمية ، ظهر كوركي في الوقت الذي اخذت فيه النظرية الماركسية ــ اللينية ، تنمو وتشتد ــ فكانت نظرية فكانت هذه النظرية فكر كوركي في صور .

وكان كوركي ابن الشعب وكان ادبه ادب الشعب ، عرف البؤس وذاق مرارته القاسية ومن هذا البؤس الذي نزل به شق طريق الثورة ، فهو كما قال رومان رولان عنه « خرج من الجحيم مثل دانتي » ان انساناً مرهف الحس يضويه الجهـــل المحيق بابناء وطنه والظلم المنصب بصوته اللاهب فوق ابناء المجتمع والفقر ادفع الفاغر فاه لابتلاع الشعب ، بلى ان رجلاً نظير هــذا الرجل الذي اوتي قوة في الملاحظة ودقة في المشاهدة . يعز عليه ظلم الانسان للانسان وهو الذي خبز هذا الظلم وعاناه ولاقى من هول الفقر والجوع والظمأ الى ارتشاف المعرفة والعب من ينبوعها الفياض مايلاقية كل من لامعين له ولا معيل لا بل انه يثور ضد اوضاع مجتمع جائر ، ويعمل بكل ما اوتي من قوة على هدمه هاتفاً بصوت داو ان الذي يجب علينا هو تحطيم كل من يتعرض الحياة ويبيع غيره ليشتري لنفسه الراحة .. تحطيم كل من يعترض للحياة هذا هو الهدف الذي يسعى كوركي وراءه ، وحينما يقول الحياة يقصد بذلك الحياة النباتية لا تلك الدنيا التي يعيش فيهـــا الانسان كما تعيش المواشي البشرية ، وانما يقصد الحيـاة الحرة التي تفسح للانسان مجـــال التمتع بخفة في الوجود على اكمـــل صورة واتم شكل ، حيث تطرد من احسن الى احسن ، وتشع بالخير والحقيقة والجمـال هنالك يضم كما قال كوركي (الناس العالم الى قلوبهم ويحبونه بعمق فتغدو الحياة عظيمة ، وكل من احبها عظيما) هذه الحياة يتطلع اليها كوركي ان تحقق بسهولة ويسر وذلك لان اعداء الحياة كما يقول كوركي يطاردون كل محب للحياة ويزجون بـه في السجن ويحكمون عليه بالاشغال الشاقة ، لا بل انهم كما يقول في معرض حديث له ، يتوسلون بالجنود والجلادين والسجون ليؤمنوا راحتهم ويحفظوا مراكزهم ، مثل هؤلاء لايتخلون عن مصالحهم الاستثمارية عن طيبة خاطر ، بل يعملون بكل ما اوتوا من قوة للاحتفاظ بهذه المراكز ، فانطلق كوركي ينادي بأعلى صوته يجب ان نضحي بأعز مالدينا لاجل الحق . وهو اذا هتف بمثل هذا النداء فذلك لان اعداء الحياة هم اخصام الحق ، ولا سبيل للقضاء عليهم الا بالثورة والثورة في عرف كوركي ، هي دعوة قوى جديدة خالقة ، وهـذه القوى هي التي تخلق الانسان الجديد الشاب لا من الوجهة البسيكولوجية فحسب بل من الوجهة التاريخية ايضا هـذا انسان كوركي ، الانسان الذي يعرف القيمة السامية للفردية المتضامنة مع المجموع ويغرف من المجموع بكل حرية قوته) الانسان المتحرر من الاوهام واباطيل الجنس والطبقات والدول ، هـذا الانسان ، وحده هو الذي يستطيع تحرير المجتمع ، ومنه ومن كل مخلوق على شاكلته تصبح الجماهير قادرة على دعم مزاياها العقلية المبدعه وقواها الانسانيه

الخلاقة ويمتاز فن كوركي بصفة فارقة ، هي الايمان بالفكرة ، فكل بطل من ابطال قصصه يؤمن بفكرته ايمانا قويا عميقا ثم لا يلبث هذا الايمان ان يتحول الى تضحية تحفها الحماسة وتسير في ركابها الجرأة . وعبقرية كوركي لا تتجلى في الاسلوب الرنان ولا في الكلام الفخم الضخم ولا في الوصف المحلق في عالم التصور والاوهام في الاسلوب الثوري والكلام المتدفـــق حماسة والوصف الصادق الواقعي ، كل هذا يبدعه كوركي ابداع فنان يؤمن بالمستقبل ويعتقد بأن دولاب التاريخ يمضي قدما نحو مايهدف اليه الشعب .

ولم يعمد كوركي في كل ما كتب الى تصوير كل ماوقع تحت متناول حسه وخبره خبرة تامة وعرف عنه التفاصيل والاجزاء ، اي انه لم يصور الا الكائن الذي عاش حياته ، فأبطاله ابناء الشعب لان كوركي ابن الشعب ، ابطاله ماهم بالابطال الذين ينعمون بالحياة الوارفة الرفدة الشائقة ، بل هم الحفاة العراة الجياع (الذين يمتصون اكفهم من التعب كما يفعل الدب في الشتاء والذين يساقطون فوق الارض ليأكلوا من ثراها الاسود ثم يستسلمون للنوم ولو كان نوم الابـــد . والذين لا تجد فوق رؤوسهم غير بقايا قبعة ، ولا يرتدون غير سروال خلق مرقع بمختلف الالوان ويربطون اقدامهم بخيوط من معطف يسمونه حذاء) وقد استطـاع كوركي اجادة تصوير هؤلاء الاشخاص اجادة تامة ، بحيث تلمس البؤس في كل خط من خطوط حياة ابطاله وبالرغم من انه استمع الى التوراة والف ليلة وليلة وهو فتى على ظهر باخرة تمخر نهر الفولغا فلم يتأثر فنه بالاحلام المجنحة ولا بالخواطر السرابية بل كان ذلك الفنان الذي يدرك واقع الاشياء ويتأثر بالاعماق لا بالظواهر ويؤلف بين الافـكار والمشاعر .

نسيب الاختيار

شبـــاب

بقية مانشر على الصفحة ٥٣

علم الجميع خطورة الحالة فهبوا لمساعدته بما فيهم احمـــد صاحب المقلب .

لقد تجمهر اناس آخرون ليستطلعوا الخبر وكان بينهم رجل مسن فما ان سمع قصته حتى قال :

مخبول انه كما كان ... لقد ركض حتى كاد يموت تماماً كما فعل في مرفأ بيروت اذ حمل حملا ثقيلا من اجل فتاة وكاد يموت ايضا .. مخبول ومحظوظ .

ثم رفع صوته قليلا ؟

عليكم بالماء البارد فانه ينعشه

وانتهى ذلك النزاع على غير طبيعته فلقد نهض سعيد بعد لأي دون ان يردد :

شباب « آخر زمـــان » كانت النساء اقوى من شباب هذا الجيل .

اللاذقية ـ نديم احمد طابوشة

كيتيه كولفتس

بقية مانشر على الصفحة «٤٥»

زحف عمال النسيج وهذه الدعوة الى الثورة وهذه امرأة عامل وهذه وجه امرأة وهذه بطالة ونحو ذلك فقد احاطت الفنانة بجميع احداث عصرها . ودونت هذه الاحداث وشرحتهـا تبعا لما يجيش في خواطر الناس حولهـا ثم استشفت المستقبل وتنبأت بمستقبل الانسان وصورت هذه النبذات تبعا لما يختلج في قلوب الناس حولها ومعنى هذا انها سجلت حوادث عصرها وسجلت مستقبل الانسانية بفن اصيل خالد لانها استجابت لما يجيش في قلوب الناس والانسانية بأسرها حول هـذا المستقبل وبهذا باتت فنانة حية خالدة على غابر الدهر .

منير سليمان

عيوب الجسم تعالج بالمراسلة !!!

١ ـ هل انت قصير القامة : يمكنك ان تزيد طولك من بوصتين الى ست بوصات بطريقتنا الجديدة المؤكدة ـ النتائج مضمونة ١٠٠ ٪ . ٢ ـ هل انت نحيف : هل تريد ان تزيد وزنك عشرة ارطال او اكثر ؟ ـ لقد وجدت الطريقة لذلك اخيرا. ٣ ـ هل انت سمين : يمكنك ان تنقص وزنك وتتخلص من كتل الشحم التي تضايقك بطريقة سهلة مؤكدة. ٤ ـ هل تشكو تساقط الشعر او الصلع او الشيب المبكر .. اذكر العيب الذي تشكو منه وارفق مع الطلب مبلغ جنيه مصري واحد وارسله داخل مظروف محكم الغلق بالبريد الجوي المسجل باسم السيد (مدير معهد فؤاد ص.ب رقم ١٥١٣ بالقاهرة) يصلك العلاج اللازم فورا . ملاحظة : كل طلب غير مرفق بقيمة العلاج لايلتفت اليه .

حضن الام

اتذكر كيف كان الهُ موسى … الها قاسياً يلتـذ بالدم ؟
اذاً فاليك كيف غدا حنوناً … علينـا ان تألمنا تألم
روى الراوون ان عثروا بمصر … على درج غريب الخط مبهم
فحاول فهمه العلماء لكن … بدا لجماعـة العلماء طلسم (1)
الى ان حله الشعراء شعراً … ومن بالشعر كالشعراء يفهم
وذلك انه من قبل عيسى … توفي شـاعر في الشرق ملهم
اضاع العمر في طلب المعاصي … يحللُ ماكتاب الله حـرم
فـكاد من اللظى يلقى جزاءً … لما من سيء الاعمال قدم
ولكن بره الابوين غطى … مساوئه فخلص مـن جهنم
وجازاه الاله جزاء عبـد … تقي حسبما في الكتب علم
فنام بحضن ابراهيم لكن … قبيـل الفجر شاعرنا تبرم
وقام لربه يشكو ويبكي … بكاء صـير الفردوس مأتم
فهـدأ روعه وحنا عليه … وطيب قلبـه بحنانه الجم
ووسـده يديه وركبتيه … ومال عليـه بالتقبيل والضم
وقال لعبـده داوود رنم … لهـذا البلبل الباكي فرنم
فنام بحضنه الابوي حينـاً … وعاد يساقط العبرات عندم
الى ان ضج اهل الخلد غيظاً … وصاح الله من غضب الى كم
اطيق تذمراً من عبد سوء … يجرع كوثراً فيقـول علقم
تظلم في الثرى مـن غير ظلم … وحتى في النعيم معي تظلم
ارى الشعراء جازوا الحد اني … اكاد لخلقي الشعراء انـدم
علام بكاك ياهـذا وماذا … دهاك فلا تني تشكو تكلم
اصفحي عنك قد ابكاك ام ما … جزيت به من الاحسان ام ام ؟
فصاح العفو يامولاي مَن لي … سواك ومن سوى الرحمن يرحم
اتيتك راجيـاً نقلي لحضن … احب الي من نفسي واكرم
لحضن طالما قـد نمت فيه … قرير العين بـين الضم والشم
اما القيت راسك فوق صدر … حنون خافـق بمحبة الأم؟
فدعني مـن نعيم الخلد اني … نعيمي بين ذاك الصدر والفم
تربتني كعادتها برفـق … وتنشـد نم حبيبي بالهنا نم
فأطرق سيد الاكوان طراً … لشكوى شاعر الغبراء واهتم
وقال لنفسه هـذا محال … ايعـلم شاعر مالست اعلم
أينعم خاطىء في الارض قبلي … بما انا لست في الفردوس انعم
لأكتشفن هـذا السر يوماً … ولو كلفت ان اشقى وأعدم
وكانت ليـلة واذاصبي … صغير نائم في حضن مريم

الشاعر القروي

الشاعر العائد

بنت العروبة هيئي كفني   أنا عائد لأموت في وطني

بقلم :

عبد اللطيف اليونس

في زحمة هذه الاحداث التي يمر بها الشرق الاوسط اليوم . وهذه الاعاصير التي تتعرض لها بلدانه ، وتلفحها بلهب مستعر حاد .

وفي غمرة هذه الانباء المثيرة الخطيرة - التي تقف بالعالم كله على رأس منحدر لايعلم نهايته الا الله .

ووسط هذه التيارات الصاخبة العنيفة ، والجو المكفهر المشحون بشتى الاحتمالات والانفعالات ـ تهب علينا نسمة حلوة عليلة ، لطيفة بليلة ، نشوانة ظليلة ، من خميلة المهجر الريانة الجميلة .

ويطل علينا وجه عربي كريم ـ فيه صفاء العروبة ونقاؤها ، وسماؤها وبهاؤها ، واشراقها وضياؤها ، وجه « الشاعر القروي » ، الاستاذ « رشيد سليم الخوري » .

هاجر « الشاعر القروي » من قرية « البربارة » في لبنان منذ خمسة واربعين عاما ؛ قضاها متنقلا بين مختلف المهاجر الامريكية ، يؤدي رسالة العروبة كاملة ، ويفيض من وطنيته وايمانه ـ على كل مغترب ، في كل مغترب ، وعلى كل مهاجر ، في كل مهجر .

كان صوته يدوي في كل انحاء العالم الجديد . ويصل صداه الى الوطن الام ـ فيتغنى به كل حامل قلم ، وحامل رسالة . كما يتغنى به التلميذ في مدرسته ، والفلاح في حقله ، والعذارى في خدورهن ، والامهات لاطفالهن . كأن شعره غناءً وحداءً ، بروقا ورعودا ، « زمازم » و « أعاصير » .

اجل ... لقد حفل شعره بكل الاحداث التاريخية ، التي حفل بها تاريخ العرب ـ فكان لها « سجلا » حافلا ، و « تاريخا » شاملا .

وشعره الوطني اشبه بالملاحم الخالدة ، تروي فيها الوقائع ، وتذكر الحوادث ، وتسجل البطولات .

و « الشاعر القروي » ـ ككل صاحب رسالة ، قاسى في حمل رسالته وأدائها ، الامرين . ولقي من خصوم القضية العربية ، ومن كيد الكائدين واحابيل المرجفين ، ودسائس الشعوبيين المجرمين ، اعنف مايلقاه مؤمن تتعرض عقيدته للاذى ، وايمانه للامتهان .

وكم أوذي واضطهد . وكم تجرأ على كرامته اناس دفعهم للجرأة عليه حاقدون متعصبون . وشعوبيون موتورون وكان يعطف على هذه الفئة الضالة « المدفوعة » من ذوي النوايا الخبيثة ، والمقاصد المجرمة فيقول عنها :

وهون عندي « السب » ان لبعضهم
زغاليل اطفالا تعيش على « سبي »

ماارحب هذه الانسانية ، وماأوسع مداها ! وماأرقها واصفاها ! واغناها وأسماها ! واجملها واحلاها ! انها انسانية خيرة كريمة ، سمحة رحيمة . لاتحفل الا بالرحمة ، ولا تحقد الا على خائن . وهي تفرق بين خائن ضالع ، وبين غبي أبله ـ دفعه الغباء للتكسب والربح ـ عن طريق التصدي والتحدي . وكان « القروي » يتصور هذا « الغبي » فقيراً معوزاً ، لايستطيع ان يعول اطفاله الا عن هذه الطريق التي رسمها له ، ودفعه اليها ، صنائع الاجنبي ، وعبيد المستعمرين .

ويخاطب هؤلاء في قصيدته « شمس العروبة » :

من ثلث قرن لايزال سبابكم
جبلا على قلبي ـ خفيف المحمل
لولا اد راعي بالمحبة لاغتدت
كبدي لوقع نبالكم كالمنخل
ابكي واضحك للعذاب ـ كمرضع
شد الوليد بشعرها المسترسل

ثم يقول بلسان العربي ـ كل عربي :

الارض لي ، والدار لي ، والقول لي
والفعل لي ، والسيف لي ، والنصر لي

وقد استهل هذه القصيدة الرائعة بقوله :

شمس العروبة ـ هيل صبر المجتلي
شقي حجابك ، قبل شق الرمس لي
وتداركي مستعجلا لو لم يخف
سبق الحمام اليه لم يستعجل
أأرى نهارك قبل اغماض الردى
جفني ـ في ليل الخفير الاليل

اني لمحت سناك في غسق الدجي

رغم العصابة والحجاب المسدل

ولقـــد يرى بالروح شاعر امة

مـــالا يرى غير النبي المرسل

وصدق « القروي » فقد رأى بروحه مواكب النصر في العراق – قبل ان تبدأ ثورة العراق :

ان كان قد سكت العراق – فموقف

متبــدل بتبــدل الازمان

ولسوف يعرف كل غر جاهل

مـــاذا تخبيء ثورة البركان

ورأى بروحه ثورة لبنان – قبل ان تبدأ ثورة لبنان :

لبنان – يالبنان . بل ماضرني

لو قلت يابلداً بــلا سكان

اين التراث تراث ابطال الحمى

اين البقية من بني غسان

لاتنكروها فالدم العربي قد

جلت اصالته عن النكران

ولسوف تضطرب البلاد لصيحة

منهم تفتــح مغلق الآذان

ويعيدها الشعب المهيج كأنها

متفجر الديناميت بالاطنان

ورأى بروحه تحرر الاقطار العربية المتحررة – قبل ان تتحرر :

يامسلمون ، ويانصارى ، دينكم

دين العروبة – واحد لا اثنان

بيروتكم – كدمشقكم . ودمشقكم

– كرياضكم . ورياضكم – كعمان

ستجددون الملك من يمن الى

مصر الى شـــام الى بغدان

ان الشعر نفحة قدسية ، ومنحة سماوية . والشاعر المؤمن صاحب عقيدة ، وحامل رسالة . والمؤمن يرى بنور الله الذي خلق « منه » . ولقد رأى القروي بنور روحه – مالم « ير غير النبي المرسل » .

و « الشاعر القروي » انسان شريف عفيف . متواضع لطيف . الفضيلة ازاره ، والطهارة شعاره . لم يتبدل ، ولم يتبذل . لم يتقلب ولم يتعصب . طيب السريرة ، نقي القلب . غني النفس ، فقير اليد . عاش حياته كلها فقيراً . ولو افتقرت نفسه لغنيت يداه . ولكنه آثر غنى النفس والقلب ، واحتقر المال ، واعرض عن دنياه .

واكتتب المغتربون مرتين لشراء بيت له – وكان يتبرع بالمبلغ في كل مرة لنصرة فلسطين . ويأبى الاحتفاظ بدرهم كان احوج مايكون اليه . ولكنه « القروي » – فطر على التضحية والقناعة ، والاباء ونكران الذات ، فهو للتضحية عنوان ، وللقناعة امثولة .

واسمعه يخاطب المحتفلين بعيد الفطر – وقد اجتمعوا على مائدة أنيقة – تكفي لاشباع الف يتيم :

صياماً – الى ان يفطر السيف بالدم .

وصمتا – الى ان يصدح الحق يافمي

افطر – واحرار الحمى في مجاعة ؟!

وعيد – واحرار البــلاد بمأتم ؟!

بلادك فضلها عـــلى كل امة

ومن اجلها افطر ومن اجلها صم

وهو يكره الناس – لان بين الناس ضعيفاً يستغله قوي . وفقيراً يمتهنه غني . وجائعا يموت من الجوع – وفي الناس آلاف يموتون من تخمة . !

نحن الفلاسفة الحمقى – لنا ولع

بالغاب ، حتى غدونا نكره البشرا

لاننشق الريح هبت عن حواضرهم

حتى تجوز حقولا رضعت بقرى

* * *

ويعود القروي بعد خمسة واربعين عاما – ليرى آماله قد برعمت وازهرت ، واينعت واثمرت . وليرى صيحاته المدوية قد انبتت سنانا ونصالا ، وهيجت شجعانا وابطالاً ، وغمرت الدنيا العربية جمالاً وجلالاً .

وليرى صداها قد تجمد في الافق نجمة للضياء . وفي الحقل سنبلة للغذاء . وفي النفس العربية عزة وكرامة واباء .

عاد « القروي » – فلم تنكره « زهرة » نفحها من طيبه ، وغذاها من وجيبه . ولم ينكره « انسان » غمره بحبه ، واحتضنه بقلبه .

عاد « القروي » ليرى احلامه تجسدت حقيقة ، وامانيه

واقعا . وليرى صيحاته تلك قد تجمعت فيلقا زاحفاً ثائراً ، وجيشا مكتسحا منتصرا .

عاد « القروي » ليقيم في الوطن الذي احبه ونصره ، وهجه واسكره . عـاد – وقد كتب لاصحابه قبل ان يعود :

بنت العروبة هيئي كفني
انا عائد لاموت في وطني
أأجود من خلف البحار له
بالروح ؛ ثم اضن بالبدن ؟

ويحور العقيد الاديب يوسف شقوا – هـذا المعنى « وينشده في حفلة الجيش للقروي – هكذا :

بنت العروبة هيئي « سكني »
انا قادم « لاعيش » في وطني

وكم هو جميل هذا التحوير ، ومحكم ، وموافق للاماني العـذاب .

واخيرا – لا آخرا .. ان « الشاعر القروي » اعظم من ان يوصف ، واشهر من ان يعرف .

انه « الشاعر القروي » .. وكفى .

عبد اللطيف اليونس

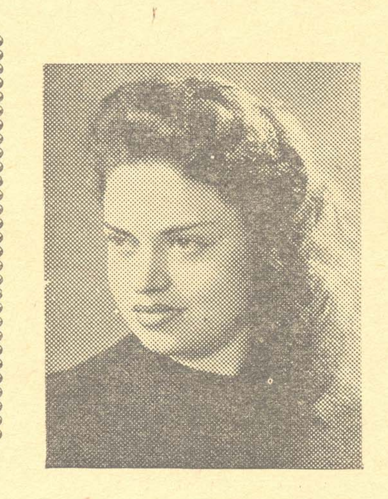
لعينيك يالبنـان أنقى تحية
يطير بهـا الاحرار من وطن حر
أذوب الى مرآك شوقاً كأنني
أزيد بقربي منك هجراً على هجر
فياليت شعري هل اوافيك في غد
قريب أم الايام تمعن في قهري
فلا أشتهي من مائك العذب قطرة
وإلا همت من مقلتي على ثغري

الشاعر القروي

الى الشاعر القروي

شعر

الدكتورة طلعة الرفاعي



سألتني « دمشق » : أي نشيدٍ
أسكر الليل .. فهو ساجٍ ندي
والورود الحمراء من بث فيها
الحب فافتر ثغرها الجوري
من شذا ارضنا الحبيبة حتى
أطرب المجدَ لحنُهُ العبقري ..
وعلى العهد عانق الشمس .. حتى
(ذوّبَ) الشمس قلبهُ العربيُ
فأجبت « الفيحاء » لما بدا لي
يسكب النور : شاعرٌ قروي ..

تحت الطبع

الوعي الثوري في الوطن العربي

للكاتب التقدمي الحر

ناجي علوش

تصدره جريدة الشعب – الكويت

يصدر قريباً

بحيرة الزيتون

ديوان جديد لشاعر المغاوير

يوسف الخطيب

تنشره جريدة الشعب – الكويت

تحية ... الى الشاعر القروي

شعر

توفيق صرداوي

اسفر الصبح وانبثق — وعلى ارضنا ائتلقْ
عربي الضياء من — افقنا هل واندفقّ
ايها الشاعر الذي — صاح بالركب فانطلق
ها هي الشام شارفت — قمة النصر والألق
لك منها تحية ... — لك قلبي الذي خفق
فاعاصيرك التي — سطرتها يد الأرق
جرفت نارها الدجى — وعلى نارها احترق

. . .

شاعري كل صيحة — منك اصغى لها الافُقْ
لم تكن قط . لم تكن .. — كلمات على ورق
كل حرف سَطَرْتَه — فرقةٌ أتبعت فرَق
زحفت وهي من لظى — شوقها الثرّ تَحترق
والكتاب الذي مشت — فيه افكارك الصدُق
صار فينا كتيبة — تقهر القائد اللبق

. . .

شاعر الساح والدما — شاعر الصبح والشفق
لاح في الافق مارد — من ربى دجلة انطلق
ثار فانهار سجنه — والتوى القيد وانسحق
شامخ الانف صاعدا — فوق نعش الدجى مرق
ظن هولاكو أنه — سحق الروح والعنق
هي بغداد أمنا — طوّحت بالذي فسق
ومضت كل خطوة .. — تنشر الطيب والعبق

. . .

أيها الشاعر الذي ... — أنطق الحرف ما نطق
عربي الضياء ما ... — عرفت شمسه غسق
جرح (عمّان) لم يزل — فاغر الشدق ما انغلق
داميّ النزف كلما — طلعت شمسه شهق
يأكل الترب من جوى — يشرب الآل من حنق
طعمة الذلّ ما ارتوت — من دم طُلّ وانهرق
سدرت في ضلالها — تعبد السحت والشبق
وعلى كل جبهة ... — لطخة الزيف والملق
باعت القدس واشترت — بالذي باعت الحمق

. . .

يا ربى القدس انت في — كل قلب حَنَا ودق
لن يغير النسور ان — نعق البومُ ما نعق
لك يوم صباحه — دونه عُسَّلُ الحدق

كتب وقراء

قصص «نافذة على الحياة» تثير مجدداً قضية الشكل المضمون

اقفرت حياتنا الادبية من القصة ، هذه حقيقة . . لا يمحوها ظهور قصة بين حين وآخر في احدى الصحف أو المجلات.. بل ولا يمحوها ان يتحدث قاص قديم عن أمجاده السابقة وجولاته الخالدة في ميدان كتابة القصة . والسر في هذا عجيب حقاً ، فالقراء كثر والمجلات اكثر ، والاحداث والافكار اصبحت اكثر طواعية للنقل والتسجيل تبعاً لتنوع حياتنا وتلونها ، والكتاب معروفون بأنهم ذوو أساليب وتزاويق مغرية . . فهل السر يكمن في تلاشي اصالة هؤلاء الكتاب بسبب من تعلقهم بسفاسف الحياة الادبية وما فيها من اغراءات الشهرة ، وذيوع الاسم ، وما يتبعها من زهو وخيلاء ، بل وغرور يفسد شهية صاحبه للكتابة ، ويجعله يعيش ضمن دوامة من التضخم الادبي الذي تصاب به الحياة الادبية عادة بين حين وآخر .. ام ان ثمة سراً آخر ؟

عرضت لي هذه الافكار وقت جلست اطالع مجموعة الاستاذ «اسكندر لوقا» التي سماها «نافذة على الحياة» واصدرتها دار اليقظة العربية ، فلقد جاءت هذه المجموعه بعد فترة صمت دامت طويلا.. لم تصدر فيها اية مجموعة اخرى تستحق ان يقال فيها حديث ما ، وهي لهذا قمينة بأن تحتل جانباً من اهتمامنا . . على الاقل لان الاستاذ اسكندر لوقا اسم معروف في دمشق ، له في السوق خمس مجموعات ، بعضها نفد ! ! . ولان مافي هذه المجموعة يثير مجدداً ، قضايا كانت تشغل حيزاً كبيراً من مناقشات الصحف والمجلات .

•

تضم المجموعة ١٤ قصة قصيرة جداً ، وقصر القصة . . بهذا الشكل يكاد يكون في بعض الاحيان عيباً وابتساراً لفكرة ذات مدى أطول ، ولذا فأنا آخذ على الاستاذ اسكندر – كملاحظة جانبية – عدم انسياقه مع افكاره ، وقطعها قطعاً يفسد حلاوة الانسياب الطبيعي للقصة . . خاصة وأن اسلوب الاستاذ اسكندر لطيف ومفهوم . وليس فيه من التعقيد ما يجعل القاريء يتنفس الصعداء اذا ما فرغ من قراءة الكلمة الاخيرة في القصة .

ان دراسة هذه المجموعة ، في الحق ، تتطلب مجالا اوسع من المجال الذي يتسع لي ، ولذلك فأنا أكتفي بذكر عدد من الظواهر التي لمستها في القصص بشكل عام ، على ان اعود الى التفصيل في سانحة اخرى .

١ – تعالج قصص هذه المجموعة موضوعات وأفكاراً مطروقة ، يجمل بنا دائماً ان ندل عليها لان في الادلال المستمر عليها نقداً ، حتى وان كانت طريقة المعالجة لاتوحي بهذا النقد . فافكار القصص وموضوعاتها جيدة من حيث المبدأ ، ولكن طريقة تقديها للقاريء تعتمد على الاثارة «الميلو درامية» ولست ادري لماذا تذكرت باستمرار وانا أقرأ أغلب قصص هذه المجموعة عدداً من الأفلام الايطالية والمصرية التي ترتكز على اثارة الجمهور . والضغط على اعصابه ، والعودة به الى العواطف البدائية .

ان الامثلة كثيرة . . ولعل قصته «فاجعة قبل الأوان» تصرخ بهذه الاثارة التي لامبرر لها .

٢ – في القصص محاولات جدية للتوفيق بين المضمون والشكل . على أن هذه المحاولات لا تتسم جميعها بالتوفيق ، فان أشكال القصص ، في الحق ، تقصر عن مضامينها تقصيراً واضحاً ، والنضج النسبي الذي يلمسه القاريء في مضامين هذه القصص لا يبدو واضحاً في اشكالها ، ولعل اضطراب المدى الزمني للقصة أبرز ثغرات اشكال هذه القصة . فان الاستاذ اسكندر لايتورع عن أن يقطع حوادث القصة – المفروض انها قطاع جانبي ذو مكان وزمان محدودين – فجأة ، ليستأنفها بعد ثمانية أشهر ! ! كما أن المؤلف يقحم نفسه في السياق غالباً كشخص ثالث . . غير مرغوب فيه ليقول مثلاً «وبقي أن أعلمكم . . . . » وغير ذلك .

٣ – ابطال القصه معروفون . نراهم على الغالب في مجتمعنا ، وهذه ميزة جيدة حقاً ، غير أن مستويات هؤلاء الابطال غير مستمدة من واقع حياتهم على الاطلاق . ان ملامحهم الوصفية تنبيء عن مستوياتهم وامكاناتهم ، ولكن احاديثهم محملة بمستويات أخرى ترتفع او تنخفض عن حقيقة المستويات التي أنبأتنا ملامحهم الوصفية عنها ، وهذا يعني أن الاستاذ اسكندر كان يحمل أبطاله أفكاره هو وليست أفكارهم أو أحاديثهم ، والأمثلة متوفرة ، ففي «حادثة على رصيف الشارع» يتحدث بائع الفلافل حديثاً يمكن أن تلتمسه في حديث طالب بكالوريا فلا تجده ! !

٤ – يسيطر على اغلب القصص طابع من القدرية .. يحار القاريء في تفسيره ، فان اتجاهات القصص تنبيء عن أن أبطالها محررون تمام التحرر ومخلصون لأفكارهم وسلوكهم ، تدل على ذلك طبيعة حركة تفكيرهم المستمر.. غير أنهم في النهاية يستسلمون استسلاماً تقليدياً لحلول ليست منهم ولم يشتركوا في وضعها ، بل ولم تكن حركة تفكيرهم لتؤدي اليها . ان هذه الظاهرة التي تنطبق واقعياً على اغلب الناس في مجتمعنا ، يجب الا تقدم على انها حلول ذات ارادة قاهرة لا يمكن تفاديها أو تبديلها ، فان ذلك يعطي الحياة لوناً قاتماً ويعطل الفرد ويجعله بلا هدف على الاطلاق !

والواقع أن تصوير السلبية ، أقصد سلبية الافراد تجاه الاحداث الطارئة يحتاج الى مقدرة فائقة جداً من قبل الكاتب ليقنع القراء بأن هذه السلبية انما جاءت نتيجة ظروف معينة ، مادية اونفسية او اقتصادية ، وانها ما كانت لتكون لو تبدلت هذه الظروف ، عندئذ تكون السلبية في القصة موجهة توجيهاً نقدياً ذا اثر لايقل عن اثر الايجابية بل يفوقه لأن الايجابية قد تجر وراءها سيلاً من الطابع الخطابي والتوجيهات المنفصلة عن تفاعل الشكل والمضمون .

عادل ابو شنب

مع مالك بن نبي في كتابه :

شروط النهضه ومشكلات الحضارة

بقلم : محمد العيساوي الجمني

مالك بن نبي ، كاتب جزائري ، في كتابته شيء من التفلسف . وفي بحوثه شيء غير قليل من الدقة . وهو يحيط اسلوبه بثوب من الضبابية ، والغموض ، والبعد عن الافصاح والتبيان و كتابه هذا : « شروط النهضة ومشكلات الحضارة » ليجذب بعنوانه الاخاذ القارىء الذي يراه في واجهات المكتبات ، ويجعله يتحسس جيبه باخلاص ليدفع ثمنه عن طيبة خاطر ، وارتياح ضمير ، وهدوء بال . ومن المسلم به أننا – جميعا – في حاجة ماسة الى معرفة النهضة ، وشروطها ، والالمام بالحضارة ، والوقوف على مشكلاتها . واعتقد انـــا – جميعاً كذلك - متفقون على ضخامة العنوان ، وجاذبية التسمية - شروط النهضة ومشكلات الحضارة - ولكن هل أتى المؤلف في كتابه هذا بشيء جديد في مجال النهضة ، وشرائطها ؟ وبحديث جديد في دنيا الحضارة ومشكلاتها ؟؟.

وهل يطابق اسم الكتاب مسماه ، وهل يجد القارىء بين دفتيه ماله اتصال بالعنوان ومعناه ؟؟ هذه الاسئلة المطروحة يجب التفتيش عن أجوبة لها في هذا الموضوع ، وهو ماسنفعله .

والكتاب عربه السيدان : عبد الصبور شاهين، وعمر مسقاوي ، وهو « في فلسفة الحضاره وفن التوجيه » وفي الكتاب : « تخطيط فكري شامل لحلول مشكلاتنا ، يتيح لنا ان نناقش اوضاعنا في هدوء ، وعلى بصيرة ، في ضوء فلسفة موضوعيةذات طابع اجتماعي تمتد جذوره فى اعماق التاريخ الحضارى للانسانية » وكتابة بن نبى : « مزيج من التفكير العميق ، والتعبير العلمي ، والايمان الرائع » وهو: « في ضوء هذه الفلسفة ، يناقش بعض المشاكل كمشكلة « الثقافة » ويحدد مفهومها تحديدا عمليالم يتح للكاتب في الشرق او في الغرب حتى الآن » . وقد : « اضاف الى لغة الكتابة كثيراً من الالفاظ والتعبيرات المبتكره التي لم يسبقه اليها كاتب أديب شأنه في ذلك شأنه في افكاره وفلسفته » هذه الجمل التي يراها القارى محصورة بين الاقواس أخذتها من مقدمة السيد عبد الصبور للكتاب . وهي جمل كما يراها القراء – مبتكرة في الاطراء ، والمدح ، وهي مغرقة في الدعوة ، والدعاية . وهذه البضاعة – بضاعة الشكر والمبالغة - كسد سوقها عند القراء الواعين على الخصوص . اما السيد « الخالدي » الذي قدم للطبعة الفرنسية : فكان بارعاً في التقديم ، والتحاص من التبعات الملقاة على عاتق المقدمين ، والمترجمين اذ قال في ختام مقدمته ما يأتي : « وانا لا أريد هنا ان اخالفه ، فأبدي له تقديري الشخصي كأخ لى و كأستاذ » وفي يقيني : ان الذين يهربون، من مسؤولية تقييم الآثار الأدبية والفنية هم ليسوا بأحسن ممن يحرقون أدمغتهم في ابتكار أساليب المدح ، والثناء ، ويجعلون الذين لهم صلة بهم فوق المستويات الاخرى ، الموجودة . والواقع اننا معشر القراء – واصحاب القرآات الواعية بالخصوص – نجد انفسنا في اكثر الاحايين تحت « دوش » بعض الكتاب ، والمعربين ، ونشعر حيال هذه الفورة الصاخبة كأننا أمام عمالقة ، آلهة كبيرة ، تفرض علينا اراءها ، وأفكارها بشيء من الشدة ، ونراهم بصراحة يريدون منا الايمان – بغير نظر وتفكير -- بما امنوا هم به ، ويجب علينا شفع ذلك بقولنا : امين . والواقع مرة ثانية: ان كتابنا وفلاسفتنا – اذا كان لنافلاسفه بالمعنى الصحيح – يحتاجون الى شيء ، ولو قليل من التواضع ونكران الذات . وهناك الشلة ، شلة المعربين الذين ينقلون لنا اثاراً غربية أو شرقية ، واحياناً من لغة أجنبية لكتاب عرب فرض عليهم الاستعمار جهلا كاملاً بلغتهم القومية كمالك بن نبي هذا. هذه الشلة تفرط في مدح المنقول، والمنقول عنه، وتغالي في الشكر وتغرق في الدعاية. فالسيد شاهين عندما يقول عن صاحب الكتاب : « وهو في ضوء هذه الفلسفة يناقش بعض المشاكل كمشكلة « الثقافة » ويحدد مفهومها تحديداً علميا لم يتح لكاتب في الشرق أو في الغرب حتى الان» مثل هذا القول زيادة عن كونه بعيداً عن الصحة والواقع زيادة عن ذلك يضربنا ضرراً كبيراً ، انه يزرع فينا فكرة الوصول الى الذروة في انتاجنا .وهذه الفكرة خطيرة جداً . حيث تجعلنا نتجشأ من غير شبع ، وهذة العملية لاتقل سفاهة ، وخسة ، وحماقة عن دور الهر الذي حاكى الاسد بانتفاخ بطنه . إننا لا نريد ادعاء ماليس نملك . لاننا نخيب عند الامتحان . وأنا اعتبر اعمال الكتاب في بلادنا العربية والمجيدين منهم – وبن نبي منهم بلا شك – هي مجرد تجربة، مساهمة، محاولة، واصحاب التجارب، والمساهمة، والمحاولات الناجحه هم الرواد الاوائل لقافلتنا الفكرية السائرة ، وأول الغيث قطر ثم ينهمر ، ومن سار على الدرب وصل .

وكتاب « شروط النهضة ومشكلات الحضارة » يحتوي على ١٥٧ صفحة، ومقسم الى فصلـــين يشغل الاول منها ٣٩ صفحة ، والباقي يشغلهما الثاني . والآن لنتبع « بن نبى » خطوة خطوة ، وباباً ، باباً . كما يقول النحاة ، وتحت عنوان : « الحاضر والتاريخ » يبدأ المؤلف كتابه بأنشودة رمزية يبشر فيها بانبلاج الفجر ، واشراقة الشمس ، وبصباح اليوم المشرق الجميل ، وبهبوب النسيم ، وبعبارة صحيحة بتغيير الوضع العفن الذي نعيشه بألم وامتعاض واشمئزاز الى حد الغثان . وهي انشودة على الاسلوب العتيق ، المغرق في العتاقة والقدم . وبعدها يتحدث عن « دور الابطال » ويقصد مؤلفنا بذلك الذين يهبون للذود عن حياض وطنهم ، وكل شعورهم محصور ان يخلدوا ، ان تسجل اسماءهم في التاريخ ، وان تذكرهم الاجيال التالية فقط . وهنا يذكر المؤلف صراحة الامير عبد القادر الجزائري ، الذي قام في وجه الاستعمار الفرنسي الذي اجتاح بلاده سنة ١٨٣٠ . ويذكر بعده الامير عبد الكريم الخطابي ، الرجل الذي حارب في جهتين : اسبانيا من ناحية، وفرنسا من اخرى ، ويختم المؤلف « دور الابطال » بجمال الدين الافغاني ونحن لايمكن لنا موافقة الاستاذ في اعتبارة عبد القادر الجزائري ، والخطابي قاما من اجل ان يذكرهما التاريخ . صحيح ان النجاح خالفهما في ثورتهما لكن الاسباب التي ابعدت الفلاح عنهما لم تكن كامنة فيهما ، بل في شعبيهما المتخلفين عن ذلك ومن المعروف ان الشعب العربي في الجـــزائر كان ضعيفا وقتذاك مهلهلا مخدراً ، نتيجة للفترة السوداء التي رانت عليه عند وقوعه تحت انياب الاستعمار التركي البشع . ونحن نتساءل : هل قاتل الاميران : – الجزائري والخطابي الاستعمار الفرنسي من اجل التاريخ ، والشهرة والخلود فقط ؟؟ بمعنى كان عملهما خاليا من الشعور بالواجب الوطني ، والفهم الصحيح بما سيجره الاستعمار على وطنهما اذا هما رضيا به عن طواعية ، واستسلما له في ذلة وانكسار ؟؟ ان الذين يعرفون الحركتين لايوافقون الاستاذ على هذا

الزعم بكل الاسف . وانا اعتقد اعتقاداً جازماً بأن حركة وثورة الجزائري هي التي اشعلت الثقاب والهبت حماس الشعب العربي في الجزائر . كما كانت ثورة الخطابي هزة عنيفة حركت النائمين وفتحت اعينهم على الفاجعة الاليمة. وفي اعتقادي : ان الاميرين سبقا جيلهما في الجزائر ومراكش . ولو هب الشعب العربي في الجزائر ومراكش كما هب اليوم لما بقيت ثورة الجزائر اربعة اعوام كما هي اليوم . وعلى جميع الحالات والاعتبارات فان الفضل للرواد الذين عبدوا الطريق ، ونقوه من الشوك بقدر الامكان . وتحت عنوان : « دور السياسة والفكرة » أشاد المؤلف بأفكار « الافغاني » الثورية الرجل الذي أيقظ الشعوب الشرقية من سباتها الطويل . وقد أثرت دعوته في الروح للشرقية ، فنبذ الناس : « النرجيله » و « الطربوش » و « الحرز » و « الزردة واخذت الجزائر من هذه النهضة بنصيب « وظهرت الفكرة الاصلاحية حوالي سنة ١٩٢٥ . تحركت المشكلة الجزائرية وقد أوتيت لساناً ينطق وفكرة تسير لها الطريق . « فحوالي ١٩٢٢ . بدأت في الأرض هينمة وحركة » . « فكأنما هذه الاصوات استمدت من صوت جمال الدين قوتها الباعثة ... ولقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات « ابن باديس » تنبه العرب في الجزائر وتساءلوا في لهفة: « كيف نمنا طويلا ? وهل استيقظنا حقاً . وماذا يجب ان نفعل ?? » هذه الاسئلة كانت بالفعل بداية اليقظه الفكرية الحقيقيه ، بالفاجعة الملمة بهم .وكانت احساساً بالألم - والاحساس بالالم يدفع الى التخلص منه - وكانت بحثاً عن الدواء الناجع . ويلخص المؤلف النتيجة ، نتيجة اليقظه فيقول : « لقد انطلقت الافكار . ثم تلاقت وتصارعت فكانت احياناً تنفجر شأن فقاقيع الهواء على سطح « الغلاية » وأحياناً اخرى تتحول مباشرة من حالة الجمود الى حالة التبخر والشيوع في صورة مدرسة أو مسجد او مؤسسة اصلاحية.» ويسير الى ان النهضة الاصلاحية قد بلغت قمتها سنة ١٩٣٦ . وبدأت في الانحدار ويأخذ المؤلف على « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » انحرافها عن الطريق . وهو يقصد بذلك ولوجها باب السياسة العام . ونحن هنا لا نوافقه على هذه المأخذ اذ نرى الخطر كل الخطر ينحصر في وقف الاصلاح على « المدارس » و «المساجد» و « المؤسسات الاصلاحيه » لاننا لانؤمن بالحركات المثالية ، المنعزلة ، المتعاليه على طبقات الشعب. فلا بد من الاندماج بالشعب، ومعه. وتعبئة كل قوى الشعب في سبيل الحرية والانعتاق ،والانحراف الذي اخذه استاذنا على « جمعية العلماء الجزائرية » هو الذي أسبغ عليها عليها صبغة الشعبية وادمجها في المجموعة الشعبيه ، وابعدها عن الخيال ، وجريمة العزلة . فالشعب لايتكون من أناس معينين بل من : التاجر ، والصانع ، والطالب ، والاستاذ ، والعامل ورجل الدين . وبالرغم مما في دنيا السياسة من التواءآت ، ومنعرجات ، وانحرافات في بعض سياسينا في بلادنا العربية. فان دخول الحركات الاصلاحية أمر ضروري ، وان كان ظاهره سراً مستطيراً. ولولا دخول الجمعية المعركة السياسية لما استجابت للحركة الثوريه في سرعة كما نعرف .

وتحت عنوان

« دور الوثنية » تكلم الاستاذ على فترة مظلمة مر بها شعبنا العربي في الجزائر الجريحة . الفترة التي انتشرت فيها الخرافة، والوهم، وعبادة الاصنام المتحركة ، الفترة التي عكف فيها الشعب على تقديس أشباه رجال الدين ، الذين نشروا في الشعب عقيدة « كل القوت وانتظر الموت» وكسروا جهود الشعب للعمل للآخرة ، والحساب ، والجنة . وانتشرت تبعا لذلك «الزوايا» ورجال الطرق الذين يمنحون عبيدهم « الاولاد » و (الرزق) و (طول العمر) . وصارت الحقيقة غريبة ، والفكرة شذوذاً ، وتحكيم العقل جنوناً . وهكذا أنشأ الشعب يرقص في جنون على دقات البنادير ، ويبتلع العقارب ، والمسامير ، ويبلع معها الخرافات ، والسخافات ، والاوهام ، والجهل ، والمرض ، والانحطاط الخلقي والاجتماعي ، واربع زوجات . . وتحدث المؤلف عن ميلاد (جمعية العلماء الاصلاحية) وسيرها أحد عشر سنة في طريق صحيح ، لاعوج فيه والتواء . وذلك عندما جعلت نصب اعينها الآية الكريمة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وقعت النكسة ، واستبدت (الحروز) ببطاقات الانتخاب السياسي .وهكذا عاد الشعب العربي في الجزائر الى عبادة الاصنام من جديد ، الاصنام المتحركة هياكل الرجعيه ، والجمود السياسي البليد وافتتح المؤلف (الباب الثاني)من الكتاب (بأنشودة رمزية) يحدث فيها عن حادثة آدم، ونزوله من الجنة ، وفترة الضعف ، والحيرة ، والخوف التي استولت عليه . ثم استرجاع قوته الذهنية ، وتصميمه على العمل ، والكفاح ، والنضال من اجل الحياه ويوم افضل وبعد ذلك تحدث عن كلمة : (من التكديس الى البناء) توصل الاستاذ فيها الى الحقيقة التالية وهي : (من التبين ان العالم الاسلامي يعمل منذ نصف قرن على جمع اكوام من منتجات الحضاره . اكثر من ان يهدف الى بناء حضارة) وهذا كلام صحيح لا غبار عليه ، وتذكرني هذه الكلمة بدعوة المرحوم سلامه موسى الذي كان ينادي دائماً وابداً قائلاً : (نريد مصانع لا مصنوعات) يعني : نريد ان نصنع الحضارة ، لاشراءها ، واستيرادها من الخارج . ويخلص الاستاذ الى ان الحضاره هي : انسان + تراب+ وقت ويضيف الاستاذ الي : الانسان ، والوقت ، والتراب ، شيئاً يسميه(مركب الحضاره) ويقصد بذلك (الفكره الدينيه) وانا لا ارى لزوماً لفكرة التدين عند صنع الحضاره . فحيث توفرت لدينا العناصر الاساسية المركبة من الانسان ، والوقت ، والتراب ، وفكر ، واحتياج . وشعور به . ويمكن لنا استحضار الفكره الدينية عند تشييد (مسجد) او (كنيسة) اما الاشياء الاخرى فلا لزوم للدين عند صنعها . وانا هنا اتساءل : هل اذا خلا الانسان المفكر الذي وجد : الوقت ، والتراب ، ووجد نفسه محتاجاً ، وشعر بهذا الاحتياج ، وكان مع توفر جميع الشروط خالياً من (فكرة التدين) لا يستطيع الخلق والانشاء ، والابداع؟؟ اذا كان جوابنا بنعم ، فـــان الحقائق تدمغنا ، والواقع يسخر منا ، والمشاهد المحسوس يكذبنا . . ولا يفهم من هذا انني ضد الدين لا . ولكنني لست من من القائلين باقحامه في كل شيء . وفي « الدورة الخالدة » دورة التاريخ يورد الاستاذ نبذة من كلمات « نيتشه » وهي : « انه من السنن الازلية ان يعيد التاريخ نفسه ، كما تعيد الشمس كرتها من نقطة الانقلاب» ويتساءل الاستاذ قائلاً : « هل المبدأ القرآني سليم في تأثيره التاريخي ؟ وهل يمكن للشعوب الاسلامية تطبيق هذا المبدأ في حالتها الراهنة ؟ ونحن من الطبيعي اذا اتفقنا على الاجابة على السؤال الأول بـ « نعم » فلا يمكن ان نمنح نعم للسؤال الثاني . واعتقد ان الحديث في هذا الباب من قبيل ضياع الوقت فيما لاطائل تحته ، ولافائدة منه . ومن العجيب جداً ان يقول الاستاذ: فالحضارة لاتظهر في امة من الامم الا في صورة وحي يهبـــط من السماء ؛ يكون للناس شرعة ومنهاجاً ، وهي على الاقل - تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي » وهو يعتبر المرحلة الحضارية الاولى ابتدأت من غار حراء ، وانتهت بحادثة « صفين » ومن المعلوم ان هذه الفترة ليست فيها حضارة لمعناها الحقيقي اذ كانت فترة « زرع ايمان فقط » ولم تبدأ الحضارة الا في اواسط الدولة الاموية تقريباً وتوسعت في الدولة العباسية ،اذ صارت حضارة عقلية يطلق عليها اسم حضارة . وبعد ان اكد المؤلف ان اصل كل حضارة هو وحي سماوي . تبين ان هذا كلام غير مقبول واقعيـــاً ، تكلم عـــلى ما سماه « بالحضارة الشيوعيـــة » وراح يفلسف ويحـــاول ان يردهـــا الى اصل غيبي سماوي ، ووصل الى ان سماها بـ « ازمـــة

الحضارة المسيحية » حسب تعبـيره . وراح المؤلف يقارن بين مجهود « استمانوف » في المشروع الاول للسنوات الخمس ، وبـين مجود« سلمان الفارسي » عند بناء مسجد المدينة . والواقع ان هذه المقارنة لاتصح أبداً اذ هناك فرق كبير بين من يساهم في بناء مجتمع ، شعب ، تقدمي ، قوي ، وبـين مساهمة انسان في بناء « مسجد » او « كنيسة » فلو المح الاستاذ الى الى مجهودات عمر بين الخطاب في اشياء اجتماعية لكان أحسن بكثير. وتكلم عن العنصر الاول من عناصر الحضارة وهو « الانسان » فقال : « يجب اولاً ان نصنع رجالاً يمشون في التاريخ مستخدمين : التراب ، والوقت ، والمواهب في بناء اهدافهم الكبرى » ويحصر البحث في ثلاث نواح وهي : توجيه الثقافة ، وتوجيه العمل ، وتوجيه رأس المال. ويشرح فكرة التوجيه فيقول : « هو قوة في الأساس ، وتوافق « في السير ، ووحدة في الهدف» وينبه الى العناصر الجوهرية اللازمة للثقافة وهي : « الدستور الخلقي ، والذوق الجمالي ، والمنطق العملي ، والصناعة بتعبير «ابن خلدون »ويعرف الثقافة بقوله : « هي مجموعة من الصفات الخلقية ، والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال اولي في الوسط الذي ولد فيه » وهو يرى الثقافة « سلوكاً » اكثر مما هي معرفة ، ويرى انه بتعريفه هذا للثقافة جمع تعريفي الثقافة عند الغرب « فلسفة الانسان » وعند الشرق « السوفيات » فلسفة المجتمع ويشير الى خطر « الحرفية في الثقافة » وخطر «الفرد المتعالم» الذي يتعلم لأجل الوظيفة فقط . او لكي يدخل في سلك «المثقفين» ويشير الى الفرق الشاسع بين (الثقافة) و (التعليم) وهناك امر يلفت النظر ، اذ يريد الاستاذ ان يدخل (الروح) و (الدين) حتى في صناعة(الراديو) عند (هرتز) و (بوبوف) و (برافلي) و (ماركوني) و (فليمين) هذا رأي غريب جدا . ونحن نقبل ادخال (الدين) او (الروح) في بناء (المسجد) او (الكنيسة) ولكن لانقبله في كل صناعة ، وكل ثمرة حضارية . وتحدث المؤلف عن (التوجيه الجمالي) ودعا في حرارة الى الاعتناء بناحية الجمال في مجتمعنا ، وفي جميع مرافق الحياة . ونقل لنا امراً من بلدية (موسكو) بتاريخ ٣/٨/١٩٥٧ . يلزم كل فرد غرامة ليس بالهين امرها ، يبصق في الشارع ، او يلقى عقاب سجارته، او يلصق اعلانا على الحائط في الطريق (ان الجمال هو وجه الوطن في العالم فلنحفظ وجهنا وفي موضوع (الصناعة) اقترح المؤلف : (انشاء مجلس للتوجيه الفني) وتحدث على (توجيه العمل) وعرفه بقوله : (توجيه العمل هو سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد في ذلك جهد السائل ، والراعي ، وصاحب الحرفة والتاجر ، والطالب ، والعالم ، والمثقف ، والفلاح ، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء) وعن توجيه رأس المال تحدث المؤلف عن الخلط الشائع عندنا في عدم التفريق بين (الثروة) و (رأس المال) . وعرف (رأس المال) فقال : المال المتحرك الذي يتسع بمقتضى نموه لمحيط اكثر من محيط الفرد واقصى من المقدار الذي تحدده حاجياته الخاصة) وفي قضية المرأة يكتب الأستاذ كلاماً دسماً بالخطأ والصواب ، وتراه مقسما بين الرجعية ، والتقدمية ، فهو مصيب عند اعتباره لمشكلتهـــا (مشكلة المجتمع) لكنه مخطىء اشد الخطأ عندما يرمي الطرفين : التقدمي ، والرجعي على السواء بالجنس فهذه التهم ان صحت في اناس. فانها لاتصح في آخرين وذكرني قول المؤلف هذا بخطباء المنابر الذين يقسمون سامعيهم الى فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، وهم يدفعون كلامهم بشيء من الحدة ، والقوة ، الفرض فيظهرون كالآلهة تماماً حيث لاتسأل عما تقول ، او تفعل . فالمؤلف يسم دعاة التحرير ، ودعاة الجمود بدافع واحد : (هو دافع الغريزة الجنسية طبقاً لتحليل فرويد) ونراه يتساءل في خوف ، وحيرة ، واشفاق : (هل يجب نزع الحجاب ؟ او هل يسوغ للمرأة التدخين؟ او التصويت في الانتخابات او هل يجب ان تتعلم ؟ واياك أيها القاريء الظن بأن المؤلف سيجيبك اجابة صريحة ، واضحة . فهذا مالايمكن العثور عليه . بل انه يترك ذلـــك الحل والاجابة حسب مصلحة المجتمع ونحن لاندري هل تأتي للمجتمع فائدة من جهل المرأة مثلاً ؟ اوعدم نضجها وفهمها السياسي ،.. ومشاركتها في شؤون وطنها وادارة بلادها ؟! وفي مشكلة تعدد الزوجات يتساءل هكذا : (هل تعدد الزوجات افضل من الاقتصار على واحدة ?? اوالعكس?? وهنالا يجيب على هذا السؤال كذلك بل يتركه لوافع المجتمع . وهو لايغفل تفوق عدد النساء على الرجال . اين ذلك ؟ وقعت هذه الحادثة في المانيا . فاعتبر المؤلف ان المرأة اكثر من الرجل في جميع الدنيا !! يؤسفني ان اقول: انه بقدر ماعند المؤلف من تعقل في بعض المشاكل ، نراه يرمي عقله ، ويسير في البحث خالياً منه في بعض الاحايين ، ولعل وجهة نظره - وهو من المحافظين على مايظهر - تملي عليه ذلك . وفي بحث (مشكلة الزي) دعا الاستاذ باخلاص الى نبذ اللباس القديم من (جلابية) و (جبة) و (قفطان) وانواع كثيرة لاأعرف اسماءها . وهو يعرف ذلك . اكتب هذه الكلمة وأنافي مدينة (حمص) جالس في مقهى . ونظرت فرأيت أنماطا من اغطية الرأس الكوفية والعقال ، وحاسر الرأس ، ومطربش ، ومكلبك ، ومعمم . هذا المظهر مخجل جدا ، لايتناسب مع مقتضيات العصر الحديث. واستغفر اخواننا في مراكش فاني نسيت (الغندورة) واخواننا في (ليبيا) فاني نسيت (الطاقية والحرام) ان العصر الذي نعيشه عصر علم، وميكانيك . فيجب ان نسير مع التاريخ ، ونماشي التطور ، ولانتخلف عن القافلة السائرة ، قافلة التقدم . والحضارة ، والحياة ، فلنطور لباسنا ككل شيء .. وأعجبني حديث (بن نبي) عن (التراب) العنصر الثاني من عناصر الحضارة بعد(الانسان) فالحقيقة انه نبهنا باخلاص الى خطر الرمال السائرة في جنون من جنوب (المغرب العربي) الى وسطه ، وشماله وهذا سيجرنا حتما الى صيرورة (المغرب العربي) صحراء قاحلة ، جدباء تنذر السكان بالجفاف ، واليأس والموت . ودعا في صدق الى (التشجير) ، الى غرس ملايين الاشجار ونبهنا الى تجارب الذين سبقونا في هذا الحال . وضرب المثل بجنوب (فرنسا) و (هولاندة) وانا كانسان شاهدت ماشاهده الاستاذ ، وتألمت كما تألم ، اشاركه في هذه الدعوة الى (التشجير) العاجل ، والى النفخ في حقارة الخطر ليستيقظ (العرب) في المغرب الى الخطر الذي يهدد مستقبلهم ومستقبل الاجيال الآتية والا فكارثة (برقة) في ليبيا في الطريق . انها على استعداد للهجوم علينا وتغطية الخضرة بالجفاف والبؤس والتعاسة ثم المكوث الا كيد وفي الحديث عن العنصر الثالث من عناصر الحضارة (الوقت) نبهنا المؤلف الى خطر الاستهانة بقيمة الوقت ، وعدم تقدير (السير الزمني) والواقع ان وقتنا لم يزل مقتولا بوسائل كثيرة ، وغير نافعة طبعاً فعبارة : « هيا نقتل الوقت » يجب ان نعبر عليها بالآتي : هيا ليقتلنا الوقت ومن عادة الزمن ان لاينتظر الذين لايسيرون معه. بل يتركهم ويسير ، ان الوقت من ذهب ، فمتى نعرف هذا الكلام ؟ واعجبني ايمان المؤلف في آخر الفصل حيث قــال : وهناك حيث تهدد الصحراء وجودنا ، وحيث لانملك في ايدينا سوى هذه العناصر الثلاثة سيرى العالم ازدهار حياتنا من جديد ... هنالك حيث يخيم الجهل والفقر ، سيشهد الناس على سيطرة الصناعة والفن ، والعلم والرفاهية) فالى الاعتناء جدا بالانسان ، والتراب ، والوقت ، الى وضع الحضارة . والى المناداة بحب الخير ، والحق ، والجمال والى الثقافة الواعية، الفعالة، المجدية ، والى العمل، المنظم ، المدروس حيث نقطف الثمرة الناضجة الطيبة . هذه ارتسامات . وملاحظات على كتاب (شروط النهضة ومشكلات الحضاره) للاستاذ : مالك بن نبي . سجلتها . غير معتقد بأني الممت بما في الكتاب منها (كبيرا) بل من اللازم القول : اني قرأت الكتاب بعناية لاينقصها التأمل ، والتفهم ،

البقيـــة على الصفحة « ٧٥ »

القروي في عيد الفطر

بقلم

سالم عز الدين

لسنوات خلت . . ولكنها لازالت عالقة بخيلتي كأنها الساعة هذه كنت في بدء مرحلة الدراسة المتوسطة حين دخل الصف استاذ اللغة العربية وبيده ديوان من الشعر . . والقى على مسامع الطلاب قصيدة رائعة قدم لها بقوله : ان هذه القصيدة للشاعر الحر الذي امضى حياته في مقارعة الاستعمار والظلم . فلم يلن أمام الطغيان بل كانت قصائده الثائرة حافزا للشباب الثائر ونيراناً تلفح الظلم وتحرقه . . وان هذه القصيدة التي جادت بها قريحة شاعرنا العربي رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي » في احد اعياد الفطر السعيد والمجاهدون الاحرار من ابناء سورية العربية وباقي البلاد العربية التي يرتع فيها الظلم مشتتون ومنفيون في البقاع وفي كل مكان . . لانهم أبوا ان يروا بلادهم ترزح تحت نير الظلم . . وتلقى الهوان من المستعمر المتجبر الغاشم . .

هذه المرة الاولى التي عرفت بل وسمعت بها بالشاعر القروي . فرسمت له في مخيلتي صورة مكللة بهالة من النور محاطة بالاجلال والاكبار . ولقد بقي نورها الساحر يشع من تلك الشخصية القوية التي لم تهدأ ولم تحد من عزيمتها الثائرة الايام ولا بعدها عن الوطن . بل زادتها الايام قوة ، وزادها البعد حنيناً وحباً للوطن وتأججاً وثورة وبعث فيها العزم على متابعة النضال . . نضال القلم المبدع والفكر النير فكان خير مدافع وافضل مرشد . . واكبر مناضل في سبيل الوحدة العربية . . ومقارعة الاستعمار . .

* * *

لقد بكى الشاعر الكبير . بكى الاحرار في العيد وتذكرهم في غربتهم بعيدين عن بلادهم يحنون اليها بشوق وتأبى عليهم نفوسهم الغالية العودة الا لتتحرر . . يكابدون الآلام والعذاب في منفاهم يصبرون على الجوع . . وهناك من هو من اخوانهم في ارض الوطن . . من يسمع الاهانة ويرى ما يعانيه من ظلم كل من ينتقد اعمال الاستبداد . . فيصمت على مضض . . يرى بلاده مكبلة فيبكي . . ولكنه لا يمكنه ان يرفع رأسه . . والظلم طغى والاستعمار في الارض بغى . . فصاح شاعرنا الكبير . .

صياماً الى ان يفطر السيف بالدم
وصمتاً الى ان يصدح الحق يافمي
افطر واحرار الحمى بمجاعة
وعيد وابطال الجهاد بمأتم

الله — انه يصرخ : صيام دائم الى ان تتحرر بلادنا العزيزة . والى ان يفطر السيف دماً . . من دماء اعدائنا الذين اباحوا حمانا — وشردوا ابناءنا وداسوا كرامة بلادنا — اصمتوا حدادا على الحرية المغتالة . . وحتى يغني الحق منتصرا . . فهو الآن ذليل . . ولا بد من يوم ينتصر هذا الحق ويزهق الباطل فان الحق لا محالة منتصر ولو بعد حين .

لن نفطر . . واحرارنا جياع في غربتهم يقاسون العذاب ويتجرعون الغصص . . كأنهم في مأتم — مأتم بلادهم — لن يكون عيدا الا بعودة الاحرار ولن يعود الاحرار الا بانتصار الحق وقهر البغي . هكذا يصرخ بحنجرة تكاد تخنقها الغصة . . وتغلب عليها الثورة فيقول :

بلادك قدمها على كل ملة
ومن اجلها افطر ومن اجلها صم
فما مس هذا العيد اكباد ظالم
ولا هز هذا الفطر ارواح نوم
لقد صام هندي فروع دولة
فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم

لقد صام قديس الهنود الثائر « غاندي » فهزم اكبر دولة استعمارية تتحكم بلاده . . وحطم كبرياءها وأبى شخص واحد الا ان يهزم بصيامه الطغاة فكان له ما اراد هكذا يجب ان يكون صيامنا ماقيمة هذ الصيام . . الملايين الصائمة وما اجدى لبلادنا . .

ثم يقول . . ان هذا العيد لم يحرك في نفوس النائمين من شعبنا شعورا ليتذكروا اخوانهم البعيدين عن ارض الوطن ولم يجعل اولئك الظالمين يشعرون بعظيم جنايتهم باستعبادهم شعباً ابياً حرا . . وينسحبون تاركين البلاد لاصحابها . . ثم يصرخ منفعلاً . .

بلادك قدمها على كل ملة
ومن أجلها افطرو ن اجلهاصم

صم لاجل بلادك .. لتحرر .. عند ذلك العيد الحق ، تفطر .. وتفرح وتختال جذلاً فرحاناً كما تشاء اخوانك بخير وبلادك حرة .

وحينما كان الاستعمار - وهذه طبيعة كل استعمار - يزرع بذور التفرقة بين الشعب ويزيد الشقاق والخلاف .. ويثير النعرات الطائفية والاقليمية والدينية .. متبعاً المثل القائل « فرق تسد » لم يسكت على ذلك شاعرنا .. ولم يخش بطش الطغيان بل صرخ بالشعب، ليس الآن العيد العيد في الوحدة. وفي الحرية.. وان ذلك لقريب، علينا نبذ النعرات وتناسي الحقد والضغنية والا نجعل من الدين سبباً للتفرقة . . فيجعل الاستعمار من بلادنا له مقرا او ملاذا .

بل يجب ان نزداد قوة ..

ويثور تدفعه عاطفة وحب جامح نحو بلاده .. يثور على الاديان .. وليس كفرا ولا الحادا .. ولكنه حين رأى ان الاديان اضحت اداة بيد المستعمر يزيد بواسطتها الخلاف وعنصرا للتفرقة يستغلها الاستعمار في سبيل اضعاف شعبنا وبالتالي كسر معنوياته .. ويصرخ ..

هبوني عيدا يجعل العرب امة
وسيروا بجثماني على دين برهم
لقد شتت هذي المذاهب شملنا
وقد مزقتنا بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحد بيننا
واهلا وسهلا بعده بجهنم

السويداء - سالم عز الدين



ليلة العرس

– قصة بقلم :

ياسين رفاعية



كوخ الحارس الخشبي يحملني ، أشعر بدوار هائل ، ان معدتي تتخبط ورأسي يدور بي كأني في دوامة ، وعيناي تحترقان ، أكاد لا ألمح بهما جيداً ، ويداي مسدلتان بجانبي ، ميتتان لا أقوى على رفعها ، وفكري مشوش .. يكاد يحمل كل ذكريات سني حياتي ، تتسابق فيه ، تريد أقوى صورة فيها ان تبرز الى الامام ، وان تطمس كل معالم الذكريات الصغيرة اللطيفة ، لتكون هي الوحيـــدة السائدة على فكري .

انها صورة تعذبني للغاية ، تمتص كل حيوية اقتنع بها ، انها قاتمة ، قاتمة .. وانا أود ان انهض عن كوخ الحارس الخشبي ، لكن شيئاً ما ، قوياً ، كان يلصقني به ، كأن مسامير حديدية طويلة قد دقت بكتفي الى الخشب الصلب .

ثمة أصوات .. أصوات بعيدة تترامى الى مسمعي ، لم أتبين ما كانوا يصرخون به ، ولكن اصواتهم عالية شديدة ، انني احاول ان اركز فكري قليلاً ، ليتوضح لي صراخهم .. لا بد انهم يقتربون ، فالبيت يبتعد عني خطوات .. ومصابيح كهربائية تزين واجهته ، لابد انهم آتون ، وهو بينهم يلتفون حوله كالحلقة ، وعلى جانبيه ابوه وعمه وبقية اخوته .

آه .. انني احاول ان اشد رأسي عن صدري ، انه ثقيل شديد الوطأة ، يجب علي أن اكون منتبهاً ، لا بد لي ان اشهد كل ماسيجري هنا .

« انني لأتخيل الوجه النحيل الرائع ، والعينين السماويتين الضاحكتين والشعر المنسدل كشلال ذهب .. على كتفين وعنق بلون الثلج .. انني لاتخيلهـا الآن مرتدية ثوباً أبيض طويلاً يلامس الارض ، تجلس على مرتفع خشبي تلفه سجاجيد فخمة ، وبجانبها مقعد آخر ، فارغ ، ينتظر قدوم صاحبه ، النساء يأكلنها بأعينهن ، يتحدثن اليها .. يبار كن لها عرسها .. ويتمنين لها اولاداً عن قريب ، ولا بد للثغر الفستقي الملتصق بوجهها ان يبتسم .. لابد للسانها ان يتكلم ، لا بد ان تقول لهن .. ! »

آه .. انني أتقزز ، وصدري يهبط ويعلو بعنف ، وحلقي يحترق كأن كتلة من الغار تلتهب حوله ، انني احاول ان اقذف بكتل من فولاذ قيدت رأسي بصدري ، فأهزه هزات متوالية ، علني اعود صاحياً .. ولو قليلاً .

المال هنا يشتري كل شيء ، يغري اقوى العقول ، ومدينتي تبيع انسانها بحفنة من نقود .

« ان عينين سماويتين لا يمكن ان تبرحا فكري قط ، كانتالي ، بنيت فيها مستقبلاً مشرقاً كنت اود ان اعيشه .. ووددت من كل قلبي ان احيا مع صاحبتها ايامي المقبلة .. كان يخيل الي ان السعادة التي لا يعرف اكثر الناس سبيل الوصول اليها .. قد وصلت اليها ، انا لوحدي ، دون الناس جميعاً ، كانت عيناهـــا السماويتان ترسمان لي هذه الاحلام الرائعة بخطوط واضحة ..

كنت كلما انتظرتهـا في منعطف الطريق الى مدرستها ، والتقت اعيننا ، عيناي الحالمتان وعيناها الرائعتان اجد ان السماء قد ارسلت لي سعادتي طائعة مختارة .

كانت تبتسم لي .. وتغض الطرف بعض الاحيان ، ثم لا تلبث ان تلتفت نحوي مبتسمة ، كأنها تشجعني على انتظارها . وتجرأت مرة : وقلت لهـــا : مساء الخير .. لم تجب : وتوردت وجنتاها اعرف ان عائلتها من مستوى عائلتي تماماً ، لاننا نقطن في حي واحد ، وظل شيئاً واحداً يغريني .. سأطلب يدها في المستقبل حالما احصل على عمل ، واظن ان اهلهـا لن يبخلوا بها ، وخاصة اذا سئلت رايها ، لانها حتماً ستوافق فهي تعرف حبي لها .

كانت الايام تمر بي وانا شبه حالم ، اذ ان طيفها لم يكن يضايقني قط ، كان يحملني ـ احياناً ـ الى كنوز ثمينة ، وحدائق غناء ، ومياه دافقة ، وكنت احلم ـ احياناً ـ الى رحلات لا

تنتهي ، اعانقه ويعانقني ، واهمس بأذنه احلى الكلمات ويهمس بأذني اجمل الاقوال ، كنت سعيداً في هذه الرحلات ، اتمنى لو لم تنته احلامي .. كان كل ذلك يدفعني باصرار الى ان اجد عملاً لكي تكون بجانبي ايامنا المقبلة .

– مساء الخير .

قال لي الحارس ، ثم اردف : ماذا بك .. اسكران ؟!.

– مساء الخيرات

قلت ذلك بكلمات ممطوطة ، ثم تابعت : لا .. انني اشعر بصداع قوي .. قال : اتريد ان اذهب بك الى البيت ؟..

ولم اكن اود الذهاب الى بيتي ، ان امي لم تعتد ان تراني بمثل هذه الحالة قط ، ثمل ، ورائحتي عرق . قلت للحارس : لا .. انني سأنتظر الصحاب .. قال : اذهب واشترك معهم .. انهم متحلقون يرقصون الدبكه حول « العريس » . قلت له ! سأنتظرهم هنا .

وهرول وراء صفارة ،اتت على مايبدو من حارس آخر .

« ابتسمت امي .. عندما قلت لها : أماه .. انني .. اريد ان .. اتزوج .. فأجابت : انك تسرعت،على الاقل .. احصل على عمل .. ماذا تريدني ان اقول لاهل من تريد ان تتزوجها اذا سألوني عن عملك .. ؟! أأقول لهم : انه يبحث الآن عن عمل ..؟ قلت لها : يا امي انني سأجد العمل .. انها جميلة ، قد يطلب يدها غيري .. فتضيع علي الفرصة ، وربتت على كتفي ، ثم تساءلت : هل تريد فتاة معينة ؟ .. قلت اجل يا امي .. تستطيعين ان تقدمي لهم الخاتم وتطلبين مهلة محدودة .. استطيع بعد ذلك ان اقدم لهم المهر الذي يطلبون .

وظلت الابتسامة مرتسمة على شفتي امي ، ثم قالت : احصل على عمل قبل كل ذلك ..»

« في الواقع ، كنت بحاجة للعمل او كنت موظفاً في الانتاج ، وكانت قد الغيت هذه الدائرة ، وبتنا نعيش على التعويض الذي نلته وعلى المرتب التقاعدي الذي تركه لنا ابي المرحوم وكان قبل موته قد جاهد كثيراً حتى استطاع ان يشتري البيت الذي نسكنه ، وقد امرت الحكومة دوائرها . ان يكون لموظفي الانتاج الحق قبل غيرهم في التوظيف ، من هنا .. كان املي الحصول على عمل ، ممكن التحقيق .

كان حب صاحبة العينين السماويتين ، ينمو في قلبي كشجرة ذات جذر قوي حي .

وصارحت بعض اصدقائي في الحي عن حبي هذا ، وقال واحد منهم : والله انها جميلة .. وتستحق ان يحبها كل الناس ، وكانت هي لا تحاول قط ان تظهر غضبها بالنسبة لي ، وكانت تبتسم لي دائماً .. حتى ان صورة الابتسامة لم تكن تترك خيالي لحظة ..»

اقترب الآن الجمع ، وهم يهزجون ويصرخون .. وبدا لي ذلك الشاب يتوسطهم .. كان حليق الذقن ، لامع الشعر كرأس حذاء جديد .. ادخل جسده في بذلة انيقة سوداء ، وكانت تتدلى من عنقه ربطة بيضاء فاخرة ، انه يمشي مزهواً ، متغطرساً ، وكان واحد منهم يرتدي لباساً عربياً ، يصرخ : « عريس الزين يتهنـــا .. يطلب عللي ويتمنى .. عريس الزين يا غالي .. ما بيعه لو طلب الثمن غالي .. » وكان الاخرون يرددون معه هذه الكلمات بصوت واحد شديد .

وكان بينهم الذي همس بأذني منذ شهر « لقد خطبت .. انه رجل يعمل على الاقل وهو ابن فلان.. التاجر المعروف.. اتذكره .. ؟ لقد رضي أهلها بهذا الخاطب ..

لم اصدق ، وكانت الصدمة شديدة ، شديدة الى درجة افجعتني وآلمتني كثيراً ، وعلمت امي السبب ، فذهبت الى بيتها تخطبها لي ، فاعتذروا لان الفتاة قد خطبت – هكذا حدثتني اختي – ونقمت على امي لانها لم تأخذ بوجهة نظري في البداية ، ولعلها فرحت : لان الفتاة قد اخذها غيري ، فقد كان المهر كبيراً بشكل لم اكن استطيع ان اقدمه على الاطلاق .. مهما طال الزمن ، ومهما كان نوع العمل الذي اشتغل به ..»

وما ان وصلوا امامي ، حتى هب الجميع بصوت واحد « صلوا على محمد ، مكحولة العين ، نير وغضير ، وعادينا .. وهيه ماشاء الله .. وكان»

ماشاء الله وكان .. رسخت هذه الكلمات بذهني ، وكاد الدمع يطفر من عيني ، فالفتاة التي احببتها من كل قلبي .. ستستقبل هـــذا الرجل في فراشها .. الفراش الذي تمنيت لو اشاركها به .. لاضم راسها الجميل الى صدري .. واقص عليها طرائف تضحكها .. وحكايات تدعها تحلم احلاماً جميـــلة .. لكن هذه الامنية لمن تتحقق .. لانني فقير .

كنت ما ازال متكوماً بجانب كوخ الحارس ، كانت بي رغبة ان اغمض عيني ، لكي لا اشيع حبي الى مقره الاخير .. الا ان شيئاً فوق ارادتي اجبرهما على الانفراج .. حتى ان الخمر الذي ملأت معدتي به ، قد ابطل مفعوله بالمرة .. وبدا لي انني صحوت تماماً .

« البقية على الصفحة ٧٥ »

موكب العلم والحضارة

بقلم ...

السنة الجيوفيزيائية :

اختيرت المدة الواقعة مابين تموز ١٩٥٧ ونهاية عام ١٩٥٨ لنشاط دولي جديد سمي « السنة الجيوفيزيائية » وسيكون هذا النشاط العلمي اهم نشاط دولي مشترك قام به العلماء حتى الآن لأنه سيضم فعاليـــة ست وثلاثين دولة ستتبادل الملاحظات الجيوفيزيائية والفلكية والجوية التي تحصل عليها تبعاً لبرنامج تقرر بالاتفاق بين المؤسسات العلمية الدائمة مضافاً اليها مؤسسات موقتة وزعت في مختلف نواحي الكرة الارضية .

صواريخ السنة الجيوفيزيائية :

١ ـ اطلقت الولايات المتحدة الاميركية اول صاروخ علمي الى طبقات الجو العليا مفتتحة السنة الجيوفيزيائية الدولية وقد وصل الصاروخ الى ارتفاع ٢٥٦ كيلو متراً وذلك بأربع دقائق وثلاثين ثانية ضارباً رقماً قياسياً جديداً في الارتفاع والغرض من ذلك الحصول على المزيـد من المعلومات حول درجات الحرارة في الجو .

٢ ـ اطلق الاتحاد السوفييتي في ٢١ شباط ١٩٥٨ صاروخاً من طابق واحد للسنة الجيوفيزيائية وهو مجهز باعتدة للمراقبة الى علو ٤٧٣ كيلو متراً ضارباً الرقم القياسي العالمي السابق في الارتفاع وكان يزن ١٥٢٠ كيلو غراماً .

انفجار شمسي

اعلن مرصد اثينة انـــه سجل انفجاراً هائلاً على الطرف الجنوبي الغربي فمن سطح الشمس الساعة الثانية والدقيقة العاشرة من صباح ١٩٥٧/٧/٦ والمرصـــد بني كجزء من برنامج السنة الجيوفيزيائية الدولية .

القمر الصناعي

منذ خمسين سنة يوم كان الطيران في خطواته الاولى وضع قسطنطين تسيولكوفسكي . استاذ الرياضيات في مدينة كالوغا الروسية . الاسس النظرية لصنع المحركات النفاثة من اجل الانطلاق الى الفضاء الكوني .

ومنذ ربع قرن في مطلع عام ١٩٣٣ اطلق الاتحـــاد السوفييتي اول صاروخ بمحرك واحد يستخدم وقوداً سائلاً الى الفضاء الكوني .

وفي اواخر آب ١٩٥٧ انطلق اول صاروخ ماليستيكي عابر للقارات ومركب من عدة طوابق وهكذا تمت خطوة جديدة نحو ترويض الفضاء الكوني .

اما اليوم الرابع من تشرين الاول ١٩٥٧ فانه سيخلد في التاريخ بوصفه يوم اطلاق اول قمر صناعي في العالم .

وبعد شهر تقريباً ارتفع قمر صناعي ثان الى الطبقات العليا من الجو ، وكان يزن اكثر من نصف طن بقليل ويحمل في متنه كلباً ، وقد ارتدت هـــذه التجربة اهمية علمية هائلة فقد غدت رحلات الناس الى الفضاء الكوني امراً ممكن التحقيق .

الدورة السنوية لاكاديمية العلوم

عقدت اخيراً في موسكو الدورة السنوية لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي وقد دامت هذه الدورة اربعة ايام وقد عرضت فيها النتائج التي اسفرت عن اطلاق القمرين الصناعيين وقد تحدث البروفسور توبتشييف عن اثر الطيران الكوني على الكائن الحي وذلك من وجهة النظر البيولوجية وقد قال : كان لتسارع القمر الصناعي كي يتغلب على قوى الجاذبية اثره البعيد في نفس الكلبة « لايكا » وتدل المعلومات على ان سرعة نبض القلب قد بلغت ، بعد الاطلاق مباشرة ، ثلاثة اضعاف ماكانت عليه من قبل . متى اذا تواصل تسارع القمر بعد ذلك ، بل وتعاظم هذا التسارع ايضاً انخفضت سرعة النبض ، ان صورة القلب الكهربائية لم تكشف عن وجود ايما اعراض مرضية .

ومع تزايد وزن جسم الكلبة تزايداً ظاهرياً تباطأت انفاسها واصبحت اقصر ، وحين بلغ تأثير التسارع اوجه اصبحت سرعة التنفس ثلاثة اضعاف اواربعة اضعاف ماتكون عليه في الاحوال السوية .

وقد اوضح البروفسور توبتشييف آخر الامر ان دراسة المعلومات التي التقطها العلماء بالاضافة الى نتائج التجارب الخبرية السابقة ، تؤكد ان الحيوان قد تحمل الطيران منذ انطلاق القمر حتى وصوله الى مداره تحملاً مرضياً الى حد بعيد .. !!

هل تعلم ...

بترول الشرق الاوسط

اذاع مكتب الامم المتحدة في القاهرة تقريراً من مكتب الاحصاء التابع للامم المتحدة تضمن ان من بين الـ ٣٠٠ مليون طن من البترول المتداول تجارياً في العالم كل عام ، ١٦٢ مليوناً من الشرق الاوسط اي مايعادل ٥٤٪ ويصدر بترول الشرق الاوسط من الطرق الاتية :

٥٠٪ من طريق قناة السويس .

١٠٪ من طريق خطوط البترول العربية التي تنتهي عند صيدا في لبنان .

٧ ٪ تحملها انابيب البترول العراقية السورية .

٥ ٪ تحملها انابيب البترول التي تنتهي عند طرابلس في لبنان

اما استهلاك هذا البترول متوزع كما يلي :

٦٠٪ لدول غرب اوروبا و ١٢٪ لشمال امريكا و ١٥٪ للشرق الاقصى و ٨٪ لاستهلاك الشرق الاوسط نفسه و ٥٪ لبلدان اخرى مختلفة .

دخل قناة السويس

صرح المهندس محمود يونس رئيس مجلس ادارة هيئة قناة السويس بأن دخل الهيئة في المدة من شهر تموز ١٩٥٧ حتى نهاية شهر حزيران ١٩٥٨ بلغ ٤٠ مليون من الجنيهات وقال المهندس يونس ان عشرة ملايين من الجنيهات من هذا المبلغ قد خصصت لمشروعات تحسين القناة .

هذا وقــد بلغت تكاليف ادارة القناة وصيانة المعدات والآلات والكراكات وشراء آلات ومعدات جديدة ٢٤ مليوناً من الجنيهات بينما بلغ صافي الفائض ٦ ملايين من الجنيهات وذلك عدا حصيلة الاتاوة التي تحصلها الهيئة لحساب الحكومة والتي يبلغ مقدارها ٥٪ من رسوم المرور .

حرارة السيارة

هل تعلم ان سيارة متوسطة من موديلات ١٩٥٧ تنشر من الحرارة عندما تسير بسرعتها المعتادة في المدينة مايكفي لتدفئة منزل مؤلف من ٢٤ غرفة في ابرد ايام الشتاء وابقاء درجة الحرارة فيه ٢٠ درجة مئوية ، يضيع ثلث هذه الحرارة من السيارة بواسطة المشع (الرادياتور) والثلث الثاني خلال جدران المحرك وانبوب الدخان واما الثلث الاخير فينطلق مع الدخان .

اكتشاف كتابة هيروغليفية في حماه

عثر على جانب مجرى نهر العاصي امام ناعورة المأمورية في حماه على حجر بازلتي طوله ١٢٥سم وعرضه ٩٠سم عليه كتابة هيروغليفية . وقد ابلغت مديرية الآثار لايفاد خبير للكشف على هذا الاثر العلمي الهام .

رسالة العلوم

مجلة علمية هدفهـــا تنسيق جهود العاملين في الحقل العلمي وتحقيق نهضة علمية شاملة ، يصدرها الاتحاد العلمي للجمهورية العربية المتحدة فرع الاقليم السوري . يباع عددها الاخير في المكتبات العامة طافحاً بالمقالات والدراسات العلمية . الاتصال بها عن طريق ص . ب ٩٩٠ .

ليلة العرس

(بقية مانشر على الصفحة ٧٢)

اقتربوا به من الباب ، عندئذ ، تخطى عتبته ، فودعوه بأهازيجهم فزغردت النساء .. بينما راح عقد الجميع ينفرط .. ان الصمت قليلاً ، كان قلبي يبكي وانا اتقيأ .. وكان عن بعد ، كلب جائع ينبح ..

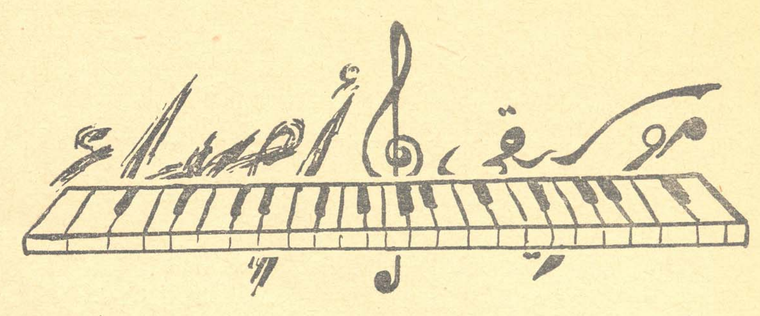
دمشق ياسين رفاعية

شروط النهضة ومشكلات الحضارة

(بقية مانشر على الصفحة ٦٧)

ورغم عدم اتفاقي مع المؤلف في العقيدة السياسية . فالرجل كما هو معروف من دعاة (الوحدة الاسلامية) والعاملين في سبيلها . بينا ارى -والكثيرون معي - ان الاشتغال لما سوى (القضية العربية) هو من قبيل الهروب من المعركة ، والتفتش عن زوايا بعيدة عن الصراع ، والسير في طريق الفكرة (الهربيه) وكل هذه الاعتبارات والاراء . لاتمنعني من القول : ان هذا الكتاب من الكتب التي يجب ان يقرأها شبابنا ، ويتفهما ، وينقدها ، والكتاب لبنة لا بأس بها في بناء دنيانا الجديدة ، وجيلنا الصاعد ، ومستقبلنا الزاهر ، بعد تنقيته من رواسب الرجعية ، وامراض الجمود الفكري . فللمؤلف والمترجمين تحيتنا واكبارنا

القاهرة : محمد العيساوي الجمني



من بتهوفن الى اورف

بقلم

صميم الشريف

في استطاعتنا ان نقسم اتجاه الموسيقى منذ عهد بتهوفن الى اتجاهين رئيسيين يبدآن معاً وبوقت واحد تقريبا ، ورأس الاتجاه الاول بتهوفن . وسيد الاتجاه الثاني شوبرت ، فمن بتهوفن جاءنا براهمز وسيبليوس ، وهذا الاخير مات قبل شهور وكان اتجاهه ينحصر في التعبير عن فكرة الجمال . . الجمال المطلق .

ان براهمز الذي خلف بتهوفن في دفاعه عن الابداع ضمن الاطار الكلاسيكي كان دقيقاً في توليد الانغام واستنباطها ، وقد وقف وحده في الميدان يدافـــع عن الكلاسيكية ضد الذين خرجوا على قالب السوناتا الكلاسيكي وهو يقول في هـــذا : « ان الثورة على الاوضاع الفنية لمجرد الثورة لاتخلق فناً جديدا »

ان براهمز لم يكن مخطئاً لأنه كان يدافع عن الكلاسيكية التي يدين بها ، ولانه لم يكن مؤمنا بتطور الفن وتحرره من قيوده الا ضمن الاطار الكلاسيكي . وهذا وحده هو الذي حدى بماهلر ان يقول لبراهمز في نقاش جرى بينهما امام ضفة نهر : انظر الى هذا النهر ، ان مياهه تجري ولكن نبعه لاينضب .

لقد صدق ماهلر وصدق براهمز ، فمن ماهلر نبع نبوغ شتراوس ، وشوستاكوفيتش ، ومن براهمز جاء رسول الجمال سيبليوس .

نعود الى الفئة الثانية والى سيد الاتجاه الرومانتيكي شوبرت . وشوبرت كان يحب الشعر كثيراً والغناء اكثر وموسيقى هايدن وموتزارت وبتهوفن تملك عليه حسه وحياة الناس الذين يعيش بينهم تستأثر بقسط كبير من اهتمامه ومن هنا ولدت اغانيه (ليدر) التي غير بها مجرى الغناء الشعبي في المانيا والتي اعتبرت اساس الغناء في المانيا فيما بعد . فألف الكثير منها (الليدر) وهو منشئها وبطلهـا دون منازع ، كما انه الف سيمفونياته وتقيد بالقالب الكلاسيكي الا انه توسع في الحركة الرابعة ، واستعان بالحان الاغاني الشعبية وهذا سر روعة الحان شوبرت الرائعة

ومن بعده استلم بروخنر وبرليوز وليزت وهوغو وولف وماهلر واكثر هؤلاء ثاروا على قالب السوناتا الكلاسيكي وخرجوا عليه .

ان الكلاسيكية المحضة انجبت انسانها الاول بتهوفن ، والموسيقى المتحررة مازالت تنتظر انسانها الذي ظهر متأخراً في شخص غوستاف ماهلر . ولقد اتجهت الانظـار اول ما اتجهت الى فاغنر الذي خلق حركة « الايتموتيف » ولكنه كان عنصريا آمن بمذهب القوة الممسوخ الذي نادى به صديقه « نيتشه » وهكذا فقد الفن الانساني ، الانسان الذي انعقد عليه الامل حينا من الزمن .

ولكن هل نتجاوز فاغنر دون ان نقف قليلا عند مذهبه الموسيقي ؟ !

الانصاف يقتضي منا ان نبحث في فن هذا الرجل الذي دمج في شخصه وفي فنه وفي وقت واحد سادة الاتجاهين :

مذهب فاغنر في الموسيقى الغنائية

كانت الغنائية « الاوبرا » الالمانية خاضعة الى ماقبل ويبر وفاغنر الى فن الغنائية الايطالية حتى ان « موتزارت » نفسه لم يستطع ان يحرر الغنائية الالمانية من القيود الايطالية الاقليلا

ان الابطال الحقيقيين الذين حرروا جميع المسارح الاوربية من السيطرة الايطالية ـــ اي سيطرة اسلوب الغناء الايطالي ـــ هم الثلاثة جلوك وويبر وفاغنر .

وجلوك الالماني ظهر في فرنسا وقام باصلاحاته في باريز واصطدم ببوتشيني الايطالي ولكنه انتصر عليه في النهاية .

اما ويبر وفاغنر ، فهما بطلا الغنائية الالمانية وما يهمنا من هؤلاء جميعا مذهب فاغنر في الغنائية الذي اخذه فيما بعد شتراوس وطبقه على كل انواع الموسيقى مستعيناً بطريقة « ماهلر » في الهارمون والتلوين .

ان المصدر الرئيسي الذي استوحى منه فاغنر غنائياته ومذهبه المعروف في الموسيقى هو مايلي :

١ ـ طريقة الموسيقى « جلوك » في الالقاء الغنائي .

٢ ـ طريقة ويبر في التصوير عن طريق الفرقة الموسيقية التي اعتبرها اللبنة الاساسية في التعبير عوضاً عن الغناء .

٣ ـ سيمفونيات بتهوفن وخاصة سيمفونيته التاسعة ، وقداسه الرائع .

نخلص من هذا الى مايلي :

١ ـ ان تفكير فاغنر كان تفكيراً سيمفونياً اذا قبلنا بالتطور الذي قام به بتهوفن في سيمفونيته التاسعة وفي الحركة الرابعه حين اضاف الاصوات الانسانية للتعبير عن الفرح الانساني

٢ ـ ان نبوغ فاغنر كان لايكفي وحده ليبدع روائعه تلك لولا ان موسيقى ليزت الهنغاري وبرليوز الفرنسي واغاني شوبرت النمساوي قد استهوته هي الاخرى قبل ان تستهوي خليفته شتراوس » .

٣ ـ التلوين الموسيقي الذي عثر عليه فاغنر عند « برليوز وليزت » هو الذي اوحى اليه بنغمات معينة عرفت فيما بعد بالنغمات الدالة اي « لايتموتيف » .

٤ ـ النغمة الدالة ، هي عبارة عن لحن مستطيل قصير ، أو طويل ، هذا اللحن يرمز الى شيء مادي بعينه او غير ذلك « فتريستان » له لحنه الخاص في غنائية « تريستيان وايزولت » « وتانهاوزر » هو الآخر له لحنـــه الدال عليه ، وسيغفريد والهولندي التائه ايضاً لهما ألحانهما الدالة عليهما . وهكذا نجد لجميع أبطال مسرحيات فاغنر انغاماً دالة عليها حتى جعلت هذه النغمة الدالة أحد النقاد المتعصبين للكلاسيكية والمتشيعين لبراهمز يقول حين كان الصراع الفكري محتدماً بين الكلاسيكيين والرومانتيكيين : « أن هذه النغمة هي بطاقة تعريف يحملها فاغنر لابطال مسرحياته للتعريف باشخاصهم » .

من هذا يتبين لنا أن الفرقة الموسيقية أصبحت في المسرح الالماني بعد فاغـنر القوة الرئيسية ، فالمستمع الى اية مسرحية من مسرحيات « فاغـنر » يستطيع أن يفهمها دون الاستعانة بالغناء بينما لايمكنه ذلك قط بالنسبة للغنائية الايطالية او الاسبانية لان الغناء فيها شيء رئيسي ، والموسيقى فيها من أجـل خلق انسجام يساعد الغناء .

هـذا ملخص لمذهب فاغنر في الموسيقى التي نهضت خلال القرن التاسع عشر وتبوأت مركزها الممتاز في القرن العشرين وما زالت تتقدم تقدماً يبشر بازدهار وخير عميم في هذا المجال .

لقد قلنا بان الفن الانساني فقد في « فاغنر » الانسان الذي انعقد عليه الامل لان فاغنر آمن بالتفوق العنصري وآمن بالانسان المتفوق واعتنق بشكل مطلق افكار « نيتشته » في هذا السبيل ومن هنا كان الـــترقب صعباً ، و « بروخنر » كان يأمل في « ماهلر » ولكن هذا غارق حتى اذنيه في مجادلات بيزنطية مع « براهمز » . وبروخـنر واثق من ان ماهلر فيه من القوة ما يكفي لحمـل هذا العبء والنضال في صف الرومانتيكية ، ولكن آمال ماهلر كانت ابعد من ذلك ، فألحـــان شوبرت واغانيه الشعبية ، وروائعة بتهوفن التاسعة ونشيد الفرح في ختامها تستهويه . انـه انسان . ولن يكون الا معبراً عن آمال من صفع نابليون بتمزيقه سيمفونيته الثالثة ، ومعبراً عن آلام النغم التائه . ان الحروب التي دمرت كل شيء في البلاد تؤلمه ، وانين الجرحى ليس انيناً المانياً او فرنسياً او ايطالياً انه انين انساني فاياك ان تكون الا انساناً . انساناً يحب الناس جميعاً لافرق بـين بوهيمي ونمساوي وبروسي وروسي وفرنسي ويجب على الجميع ان يغنوا للأرض نشيدهـــا الذي يملأ عليه حياته وقلبه فكانت قطعته الخالدة فيما بعد « نشيد الارض » ان ماهلر الذي الف عشر سيمفونيات وكثيراً من الأغاني ، ومؤلفاً ضخماً هو نشيد الارض يثبت مذهبه الموسيقي على المتناقضات الملمـوسة والموجودة في العالم ، فالجمال عنده لايستمر ، لان هناك قبـح ايضاً ، والخير موجود والشر موجود ، الا ان الحب الانساني اقوى من القبح واقوى من الشر لان الحب ينبع من الخـير وينبع من الجمال . واذا كان فاغنر منذ ان استطاع ان يسمو بها لغنائه وان ينتشلها من المصير المحزن الذي كانت غارقة فيه فان ماهلر استطاع ان يرتفع ايضاً بالسمفوني الى عالم الفكر وان ينفي عن الموسيقى التجريـــد باعطائه كل نوتة موسيقية المعنى الذي يريد .

واذا كان براهمز العظيم قد حافظ على الكلاسيكية ووقارها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فانـه اعطى الفرصة لسيبليوس ورخمانينوف ليحافظا على الرومانتيكية في اطار رائع توخى فيه سيبليوس جمال الطبيعة وروعتها فهو يقول « اصوات

الطبيعة هي اصوات الله » كما ان رخمانينوف اعطى مفهوما جديداً للعاطفة والحب من خلال موسيقاه وبينما نرى شتراوس يتابع طريقة فاغنر في التأليف الموسيقي ويتزعم المدرسة الالمانية في التأليف الموسيقى نجد سترافنسكي يقول عن هذا العظيم « ان الانسجام والتناسق معدوم في قطعه . وفي الوقت نفسه نرى شوستاكوفيتش يتابع طريقة ماهلر في التأليف الموسيقي ، ويتعرض لاكبر هجوم من نقاد البرافدا من جراء ذلك ، واما سترافنسكي التائه بين مختلف الاتجاهات الموسيقيه فبعد ان كان يندد بشتراوس الكبير نجده قد طلع علينا بتآليفه الموسيقية فكانت صدى لماهلر وشتراوس وشوستاكوفيتش في الناحية التلوينية كما كانت افكاره صدى لعالم الآلة الذي طغى على العاطفة كما في قطعة بتروشكا ، وتقديس الربيع ، وسيمفونيته ذات الحركات الثلاث .

غير ان العاطفة تأبى الا ان تكون هي الاقوى دائما ، وتأبى الا تطغى على افكار سترافنسكي الذي قدم لنا في الآونة الاخيرة الحانا ذكرتنا برائد الموسيقى العظيم باخ . ومن خلال هذا الخضم من الاتجاهات الفردية والفكرية والغائيه عند الموسيقيين يبرز فجأة موسيقي الماني جديد . وكل راس مال هذا الموسيقي اغاني وغنائيات تعود بتاريخها الى ماقبل الميلاد . اي الى العهد الوثني وكل مافعله هذا العظيم انه قدم هذه الالحان بعد ان هذبها ووضع لها موسيقى وحشية تتفق والعهد الوثني الذي كانت تقدم فيه على مدارج روما واثينا وغيرها ، ان الموسيقى المرافقة لها خالية من العلوم الموسيقية والهارموني الذي استعمله هو هارموني الاصوات الانسانية فقط . بقي ان نعرف اسم هذا الموسيقي الذي احدث كل هذه الضجة في العالم . انه كارل اورف ، الذي انتزع الزعامة الموسيقية من جديد واعادها الى بلاده .. المانيا .

وبعد فمها اسهبنا او اوجزنا فاننا لن نستطيع ان نفي اتجاهات اولئك العباقرة حقها ، واعتقد ان قبسا من النور يلقي بعض الضوء على اعمال الخالدين خير من الظلام والجهل الذي يغرقنا به بعض الجهلة والمدعين •

دمشق صميم الشريف

في المكتبات

من كتب
سعد صائب

• في ظلال الوعي

فيه وحدة الفكرة ، وحرارة الاسلوب ، ونبل الغاية

• صراع مع الغرب في حضارته وتياراته الفكرية

فيه شعور لاهب بمشكلة الانسان العربي في عصر الحضارة الجديدة

• آن الاوان

قال عنه سعيد عقل انه كتاب كل كلمة منه بذور اصلاح

• مع الفجر العربي

كتب عنه محرر زاوية النقد في جريدة « الشعب » في الاقليم المصري انه مثالي في موضوعه واهدافه مثالي في فكرته واسلوبه

• اشما — اسطورة صينية

قال عنها نظير زيتون ان فيها انفة ، وفيها بطولة وفيها تضحية وفيها تسام الى المثل العليا التي ينشدها كل شعب حي حريص على مناقبه ونضائله

• شعراء رمزيون وشعراء معاصرون

أعمق دراسة ظهرت تتناول الشعراء فرلين — رامبو مالارميه — بودلير — فيرهارن — فاليرى — بول جيرالدي وغيرهم مع مقتطفات من اشعارهم منقولة نقلاً اميناً باسلوب عربي مشرق

كما سيصدر قريباً

• فنانون ومعارض

تسجيل للمرحلة التي يجتازها الفن في الاقليم السوري مع دراسة شخوصه ، ولوحات من نتاجهم

• باقة زهر من الشرق والغرب

فيه رائعة طاغور « كاشا وديناباني » ومختارات من روائع الشعر في الشرق والغرب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

• من ضيوف دمشق الامير العربي والشاعر المبدع الشاعر صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة وقد كان موضع الترحيب والتكريم من معارفه الكثيرين الذين يقدرون فيه الالمعية والوطنية الصادقة. وكانت اولى الحفلات الادبية التي اقيمت لتكريمه بعد عودته من ديار الغرب هي التي اقيمت في منتدى سكينه وضمت النخبة المختاره من ادباء الاقليم الشمالي.

• سافر الاستاذ نزار قباني الى الصين في ٢٠ من ايلول المنصرم ليتسلم مهام منصبه كسكرتير أول لسفارة الجمهورية العربية المتحدة

• توفي الكاتب الرائد سلامة موسى عن واحد وسبعين عاماً قضاها في خدمة الثقافة الحرة والادب الانساني.

• زار القاهرة الاستاذ كاظم جواد في طريق عودته من مؤتمر «ستكهولم» وكان الشاعر كاظم جواد ضيفاً على دمشق طيلة فترة الظلام التي عاناها العراق الشقيق. وفي القاهرة سوف يصدر ديوانه الاول «أغاني الحرية»

• يصدر الشاعر يوسف الخطيب ديوانه الثاني تحت اسم «العندليب المهاجر» وكان ديوانه الاول بعنوان «العيون الظماء للنور»

• صدر في العراق الشقيق اولى بوارق الحياة الادبية «مجلة الثقافة الجديدة»

• انجز الاستاذ حنا مينة روايته الجديدة «الشراع والعاصفة» التي تدور احداثها عن حياة البحر والبحاره في كفاحهم لاجل الرزق وصراعهم مع الانداء. والرواية الجديدة في نحو ٤٠٠ صفحة وستصدر قريباً. وكانت روايته الاولى «المصابيح الزرق» التي صدرت عام ١٩٥٤.

• اجتمع اعضاء الجمعية العربية للدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية في دمشق وانتخبت الهيئة الادارية من السادة:

ناظم الطحان	رئيساً
انطون حمصي	نائباً للرئيس
نقولا بنوت	أميناً للسر
هيثم بشير	خازناً
احمد عنبر	محاسبا
وداد فقير	مديرة المجلة
وداد لحمي	مديرة الاستعلامات والمكتبة

والثقافة ترجو للهيئة الادارية التوفيق في مهمتها والاستمرار في نشاطها.

• يصدر في حلب قريبا العدد الاول من مجلة «الشاطىء» وهي مجلة ثقافية هدفها تفتيح المواهب المغمورة وتوسيع العلاقات الثقافية العربية بين أبناء العهد الجديد وتقوية اواصر التعاون العربي وزيادة التفاهم بين شباب الوطن العربي وتحرير العقول من نير الرجعية والجمود الفكري، والتعبير الصادق عن تجارب الامة العربية تعبيراً يبرز خصائصهم القومية ويصور حياتهم اصدق تصوير ويغذي وجدانهم بالقيم القومية والانسانية ويردد نضالهم في سبيل الوحدة الشاملة والتحرر الكامل. وسيكون اصدار «الشاطىء» بشكل متجول اي ان كل عدد منها سيصدر في بلدة عربية كبرى، ويشرف على هذا المشروع الثقافي الهام زهدي قرقناوي واحمد توتنجي ونعمان سراج الدين من حلب.

• ستصدر قريباً مجموعة شعرية جديدة بعنوان «مولد حب» للأديب اللامع الشاعر محمد كناكري.

• جاءنا من السيد عبد المنعم ألتونجي من حلب ان فئة من الشباب ألفوا فيما بينهم رابطة باسم «اليراع الثائر» لاذكاء الادب العربي في نفوس الشباب ولنصرة القيم الانسانية واعداد رحلات ثقافية تهدف الى توطيد الصداقات بين الشباب المؤمن الحر المكافح والثقافة ترجو لهذه الرابطة النجاح.

• ما تزال الاوساط العلمية والادبية في دمشق تنظر ببالغ الاهمية الى السفر الجريء الذي فاجأ به الطبيب العليم محمد صبحي ابو غنيمه الناس تحت عنوان «نظرة في اعماق الانسان» وقد علمنا ان عدداً غير قليل من كتابنا يضعون الدراسات الواسعة عن الكتاب والتي ستتولى «الثقافة» نشرها في اعدادها القادمة. هذا بالاضافة الى ما كتب عن هذا السفر في المجلات والصحف اليومية.